المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن

وكالة الجامعة للدراسات العليا

والبحث العلمي

عمادة الدراسات العليا

كلية الآداب

قسم اللغة العربية

(من بلاغة القرآن الكريم في سورة التوبة)

دراسة بلاغية تحليلية

رسالة مقدمة للحصول على درجة دكتوراه الفلسفة في الآداب/ فرع اللغة العربية وآدابها

تخصص(بلاغة ونقد)

إعداد الطالبة: زكية بنت محمد بن مبارك السليس العتيبي

المحاضر بكلية الآداب جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن

إشراف:

د. عبد العزيز بن عبد الرحمن الشعلان

الأستاذ المشارك في قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي بكلية اللغة العربية

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

العام الجامعي: ١٤٣٢-١٤٣٣هـ/٢٠١١-٢٠١٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

- أسباب اختيار الموضوع
- أهداف البحث
- الدراسات السابقة
- منهجي في البحث
- خطة البحث

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمدُ لله الذي علّم بالقلم،علّم الإنسانَ ما لم يعلم،والصلاةُ والسلام على نبي الأمم سيدنا محمدٍ خير مَنْ أسلم، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى اليوم الأعظم.

أما بعد:

فلم تعرف العربيةَ تاريخها الحافل خطاباً أبلغَ ، ولا أسمى من خطاب القرآن الكريم ولا غرابة في ذلك!

فهو الكلام المحكم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه" بهرت بلاغته العقول، وظهرت فصاحته على كلّ مقُول، وتظافر إيجازه وإعجازه،وتظاهرت حقيقته ومجازه وتقارن في الحسن مطالعه ومقاطعه،وحوت كلّ البيان جوامعه وبدائعه، قد أحكم الحكيم صيغته ومبناه، وقسّم لفظه ومعناه، إلى ماينشط السامع،ويقرّط المسامع، من تجنيس أنيس وتطبيق لبيق، وتشبيه نبيه، وتقسيم وسيم، وتفصيل أصيل، وتبليغ بليغ، وتصدير بالحسن جدير"[1]

ممتنع في محاكاته ومجاراته ،يحيطُ بالمعنى إحاطة السوار بالمعصم بدقةٍ متناهيةٍ وأسلوبٍ أخاذ. جمع بين فنون البلاغة، و سخرها لخدمة المعنى.

من هنا نشأت فكرة موضوع رسالتي:(من بلاغة القرآن الكريم في سورة التوبة)رغبة في نيل شرف التدبُّر في آي الكتاب الحكيم، علّي أسهم بجهد متواضع في خدمة هذا الكتاب العزيز.

---

(١) البرهان في علوم القرآن:١/٢١ ومابعدها

وقد دعاني إلى اختيار هذا الموضوع المبارك أسباب عدة أجملها في :

أسباب اختيار الموضوع:

تظافرت أسباب كثيرة لتشكل في مجملها الرغبة الحقيقية في اختيار هذا الموضوع أوجزها فيما يلي:

١. مشاركة في تأصيل قواعد علم البلاغة من هذا الكتاب الخالد الذي جعله عبد القاهر الجرجاني منبعا لعلوم البلاغة، وحدد على ضوء آياته أبوابها في كتابه: (دلائل الإعجاز).

٢.أن الدراسات البلاغيّة حول القرآن الكريم لم تأخذ نصيبها الكامل بعد، فلا يزال كتاب الله ميدان رحب، تسرج فيه خيول الفكر.

٣. إبراز مذهب أهل السنة والجماعة في بعض فنون البلاغة خاصة فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته كلما أمكن ذلك.

٤. أن هذه السورة –حسب علمي–لم يسبق أن دُرست بلاغياً دراسة كاملة، وفق علوم البلاغة الثلاثة مجتمعة في بحث واحد.

٥.أنّ علم البلاغة تشبع بالقواعد، وكثرة التقسيمات، والتفريعات، فآثرت أن يكون بحثي في البلاغة التطبيقية على هذه السورة .

أهداف البحث:

لكلّ باحث من وراء بحثه أهداف يطمح إلى تحقيقها، ومنأهمّ أهدافي:

تقديم دراسة علميّة وافية يتبين من خلالها الأسرار البلاغيّة في سورة التوبة.

- الذود عن كتاب الله تعالى ببيان عقيدة أهل السنة والجماعة، والرد على من خالفهم خاصة في أسماء الله وصفاته.

- أن البلاغة العربية لازالت في حاجة إلى تطبيق من كتاب الله عزّ وجلّ – لدعم مباحثها وقواعدها كما أسسها عبد القاهر الجرجاني – رحمه الله- في نظرية النظم و طبق عليها في كتابيه: (دلائل الإعجاز) و (أسرار البلاغة)،ولكن المتأخرين ركزوا على التنظير دون التطبيق.

الدراسات السابقة:

من خلال البحث ، والتنقيب وسؤال الجامعات، ومراكز المعلومات تبين لي : أنه لا توجد دراسة بلاغية تشمل علوم البلاغة الثلاثة حول سورة التوبة، وإنما دراسات لبعض الظواهر البلاغيّة فيها وهذه الرسائل هي:

- الأساليب الإنشائية في سورة الأنفال والتوبة، آمنة على عثمان،ماجستير كلية الدراسات الإسلامية في جامعة الأزهر.
- مواضع التقديم في سورة التوبة، سعيد أحمد جمعة، ماجستير، جامعة الأزهر.
- بلاغة المتشابه اللفظي في سورة التوبة، ريم بنت زيد بن عبد الرحمن القحيز،جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي ماجستير١٤٢٩هـ.

هذا فيما يختص بالدراسات البلاغيّة في سورة التوبة، أما الدراسات غير البلاغية فأجملها فيما يلي:

- البلاغ الأخير في سورة التوبة عبد الحميد محمود طهماز دمشق دار القلم ١٩٩٣م، كتاب.
- المنافقون كما تحدثت عنهم سورة التوبة، زينب عبد الرحمن الدخيل، كلية التربية للبنات بالرياض، قسم الدراسات الإسلامية، ماجستير١٤٠٨هـ
- المنهج القرآني مع غير المسلمين في ضوء سورة التوبة عمار جبار الدليمي جامعة صدام للعلوم الإسلامية، ماجستير.
- سورة التوبة دراسة نحوية تفصيلية، علي عبد الوهاب خليل، جامعة الأزهر.

- سورة التوبة دراسة وتحليل: غازي يوسف قدور، جامعة بغداد للعلوم الإسلامية، دكتوراه ١٩٩٨م
- علاقة المسلمين بغيرهم كما جاءت في سورة التوبة: عبد الله محمد الزعبي جامعة الإمام كلية الدعوة والإعلام بالمدينة المنورة ،ماجستير ١٤٠٣هـ.
- مسائل العقيدة في سورة التوبة: شريفة صالح السنيدي، الرياض ،كلية أصول الدين ،جامعة الإمام ١٤١٥هـ.
- معالم الجهاد في سورة التوبة دراسة موضوعية:صفوان حاج إسماعيل ،جامعة آل البيت ماجستير ٢٠٠٠م
- موقف القران الكريم من خصومة كما تصوره سورة التوبة: عمر أحمد علي، جامعة الأزهر كلية أصول الدين، العقيدة والفلسفة،رسالة دكتوراه ١٩٧٣م
- وقفات مع سورة التوبة: عمر بن موسى الحافظ، الرياض، دار القاسم ١٤١٦ هـ ،كتاب
- أهداف ومقاصد موضوعات سورة التوبة دراسة تحليلية:حسن عبد الله الخطيب،الجامعة الإسلامية في غزة،كلية أصول الدين،رسالة ماجستير،١٤٢٩هـ٢٠٠٨

منهجي في البحث:

- اعتمدت في البحث على المنهج التحليلي الوصفي ،مستأنسة بنظرية النظم التي أرسى قواعدها عبد القاهر الجرجاني_ رحمه الله_.
- اعتمدتُ كثيراً على بعض كتب التفسير ذات الاتجاه البلاغي، كالزمخشري والبيضاوي،وبعض شراحه، والشوكاني،وأبو السعود وغيرهم من المتقدمين ،ومن المتأخرين اعتمدت على تفسير ابن عاشور ، وتفسير الشيخ الشعراوي ، لاستخراج السرّ البلاغي في بعض الآيات.

-حرصتُ على إيراد كلام المفسرين بالنص، ثم إيراد ما يفسر هذا النص، أو يكمله، أو يستدرك عليه من كلام مفسر آخر، ثم التعليق عليه ما أمكن ذلك.

- حرصت أن أبدأ في التعليق بكلام القدماء من أهل البلاغة في المسألة البلاغيّة التي أقف عندها.
- حرصت عند الوقوف على الآيات على تحديد موضع الشاهد بوضعه بين قوسين بعد ذكر الآية الكريمة، ثم ذكر الأقوال البلاغيّة فيه.
- قدمتُ لكل مبحث بتوطئة تناسب الموضوع.
- اعتمدتُ على جملة أخرى من المراجع المساعدة، وذكرتها عند التوثيق.
- اكتفيت بذكر اسم الكتاب مختصراً في الحواشي عدا الكتب المتشابهة في عناوينها فقد ذكرت بجوار كل كتاب اسم المؤلف وقمتُ بترحيل معلومات الكتاب كاملة للمصادر والمراجع في آخر الرسالة.
- حرصت على التنويع بين علامتي التنصيص، والقوسين، إذا ماتتا لت العلامتان فعمدتُ إلى وضع موضع الشاهد بين قوسين هلاليين، لاسيما إذا كان التعليق على الآية سيأتي نصاً .
- رجعت إلى بعض الكتب المتخصصة في العقيدة في مبحث المشاكلة خاصة وذلك لإتباع منهج أهل السنة والجماعة في موقفهم من موضوع الأسماء والصفات.

<u>الصعوبات التي واجهتني في البحث</u>:

- واجهت البحث جملة من الصعوبات كان أشدّها على نفسي: خشيتي الوقوع في الزلل في كتاب الله عزّ وجلّ - فالبحث في القرآن الكريم ليس بالأمر الهين. فهو أمر يحتاج من العدة والعتاد، مايفوق جهدي المتواضع .

- كثرة أقوال بعض المفسرين واختلافها حول المسألة البلاغيّة مما حدا بي إلى إيراد عدة أقوال في المسألة الواحدة.

- طول البحث وتفرّق مادته حيث تكوّن من أربعة أبواب يندرج تحت كلّ باب عدة فصول، يندرج تحتها عدة مباحث.

– توقف مركز الملك فيصل للبحوث، ومكتبة الملك فهد الوطنية عن العمل لفترة طويلة لأعمال الترميم والبناء، مما حال بيني وبين حصولي على معلومات كافية حول الرسائل التي أثبتها ضمن الدراسات السابقة في بحثي.

– عدم التفرغ الكامل للبحث لانشغالي بالتدريس، والتصحيح والإشراف على طالبات التطبيق الميداني وبعض الأعمال الإدارية المتعلقة بسير الاختبارات، والمراقبة، ورئاسة النشاط الطلابي ووكالة السير.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة الموضوع أن ينتظم البحث في مقدمة، وتمهيد، وأربعة أبواب، ثم خاتمة: تتضمن أهم نتائج البحث ومقترحاته.

المقدمة:

تضمن تعريفاً بالموضوع وأهميته ،وأسباب اختياره والأهداف من دراسته ،والدراسات السابقة ومنهج البحث.

التمهيد:

ويتناول التعريف بالسورة و سببَ نزولها ،والسبب في عدم البدء فيها بالبسملة وأسماءَها وسبب تسميتها بالتوبة ، وموضوعاتها وعلاقتها بسورة الأنفال.

الباب الأول: البناء الفني للجملة

الفصل الأول: أحوال الكلمة في الجملة من خلال السياق، ويتضمن ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تنوّع الصيغ.

المبحث الثاني: التعريف والتنكير.

المبحث الثالث: الدقة في استخدام حروف المعاني من خلال السياق.

الفصل الثاني:أحوال الجملة الخبرية ويتضمن ثلاثة مباحث هي:

المبحث الأول: أسرار التعبير بالجملة الاسمية، والجملة الفعلية، والإطلاق والتقييد ومتعلقات الأفعال.

المبحث الثاني : التقديم والتأخير وأسرارهما البلاغية.

المبحث الثالث : القصر طرقه وأسراره البلاغية.

الفصل الثالث: أسرار التعبير بالجملة الإنشائية، ويتضمن ثلاثة مباحث هي:

المبحث الأول:الأسرار البلاغيّة لأساليب: الاستفهام في الجملة.

المبحث الثاني:الأسرار البلاغيّة لأساليب: الأمر، والنهي، والنداء في الجملة.

المبحث الثالث: خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر ويتضمن أربعة مباحث هي:

١- الالتفات.

٢- التعبير عن الماضي بالمضارع وعكسه.

٣- خروج الخبر إلى الإنشاء وعكسه.

٤- وضع الظاهر موضع المضمر وعكسه.

الباب الثاني:ألوان التصوير البياني وأسرارها البلاغية ويتضمن ثلاثة مباحث:

١- الفصل الأول: التصوير بالتشبيه أنواعه وأسراره.

٢- الفصل الثاني: التصوير بالمجاز العقلي والمجاز المرسل، والاستعارة.

٣- الفصل الثالث: التصوير بالكناية والتعريض.

الباب الثالث: أحوال الجمل ويتضمن أربعة فصول هي:

١- الفصل والوصل وأسرارهما.

٢- الجمل الحالية : أنواعها في السورة وأسرارها.

٣- الإيجاز أنواعه وأسراره البلاغيّة.

٤- الإطناب بصوره وأسراره البلاغيّة.

الباب الرابع: فنون البديع ويتضمن فصلين هما:

الفصل الأول: فنون البديع المعنوي:

١- المطابقة والمقابلة.

٢- المبالغة.

٣- التقسيم.

٤- تأكيد الشيء بما يشبه ضده.

٥- المشاكلة.

الفصل الثاني: فنون البديع اللفظي:

١-الجناس وما يلحق به.

٢-رد العجز على الصدر.

٣-رعاية الفاصلة.

الخاتمة:

وتشمل أهم ما توصل إليه البحث من نتائج وتوصيات.

الفهارس:

١-فهرس الآيات.

٢-فهرس أهم المصادر والمراجع.

٣-فهرس الموضوعات.

شكر وتقدير

ماكان لهذه الرسالة أن تظهر للنور لولا توفيق الله وتيسيره،ثم ّ توجيهات شيخي الدكتور: عبد العزيز بن عبد الرحمن الشعلان–أمدّ الله في عمره على الخير–فكم جاد على هذا البحث من فيض علمه، وثمين وقته،وحرصه على أن تظهر هذه الرسالة بالمظهر الذي يليق بكتاب اللهعزوّجل ّ – فله مني خالص الدعوات في ظهر الغيب أن يبارك الله له في علمه ووقته،وجهده.

ثم أتقدم بالشكر العظيم لجامعتنا الناهضة(جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن) ممثلة في القائمات عليها من مديرة، ووكيلات على جهودهن المبذولة لأجل الباحثات .

كما أتقدم بوافر الشكر،و الامتنان لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وأخص بالشكر القائمين على كلية اللغة العربية، وعلى رأسهم القائمين على قسم البلاغة والنقد.

كما أشكر الأستاذين الكريمين المناقشين على موافقتهما على مناقشة هذه الرسالة وما بذلاه من جهدفي سبيل تقويمها ، أثابهما الله ونفعني بعلمهما.

وصادق شكري، وعرفانيامتناني إلى والديّ الحبيبين على كلّ دعوة سرت من أفواههما في سهام الليل، لتستقر في روحي طمأنينة ورضا،وتوفيقاً .

ولا أنسىفي مقام العرفان كلّ من وقف إلى جواري بالمؤازرة، والدعاء، وتذليل الصعوبات.

اللهم اجزهم جميعاً خير الجزاء،وثقّل موازينهم، واختم بالصالحات أعمالهم.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

التمهيـــد

- التعريف بالسورة.
- سبب نزول السورة.
- سبب عدم البدء بالبسملة.
- أسماء السورة.
- سبب تسميتها بسورة التوبة
- موضوعات السورة وعلاقتها بسورة الأنفال

التمهيد

التعريف بالسورة:

نزلت هذه السورةُ الكريمة في السنة التاسعة من الهجرة في المدينة المنورة، وهي من أو آخر ما نزل على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من القرآن الكريم.

وقد تضمنت: أحكاماً نهائية في العلاقات بين الأمة الإسلامية، وسائر الأمم، و تطرقت إلى عدة تصنيفات في المجتمع الإسلامي، فذكرت:

- المؤمنين لمخلصين وذكرت صفاتهم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ (١١١) ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ (١١٢)﴾

- جماعات أُخرى من الأعراب منهم المخلصين، ومنهم المنافقين.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلۡأَعۡرَابُ أَشَدُّ كُفۡرٗا وَنِفَاقٗا وَأَجۡدَرُ أَلَّا يَعۡلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ (٩٧) وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغۡرَمٗا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ (٩٨) وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرۡبَةٞ لَّهُمۡۚ سَيُدۡخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ (٩٩)﴾

- آخرين خلطوا عملاً صالحا وآخر سيئاً .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾

- المتآمرين من المنافقين الذين جعلوا من الدين ستاراً يغطون به نفاقهم.

فقد استأثر وصف السورة ، وأكثر بالحديث عنهم، وفضحهم ، ووصفهم بأهم ما يميزهم

لكشف أقنعة الزيف عنهم، ليُعرفوا على حقيقتهم، فهم يتكررون في كل زمان وفي كل مكان بصفاتهم التي ذكرت في هذه السورة، **ومن أهمها:**

أولا- أن غايتهم هي المنافع الدنيوية الزائلة .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَوۡ كَانَ عَرَضٗا قَرِيبٗا وَسَفَرٗا قَاصِدٗا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلشُّقَّةُۚ وَسَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسۡتَطَعۡنَا لَخَرَجۡنَا مَعَكُمۡ يُهۡلِكُونَ أَنفُسَهُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾

ثانيا- الكذب والحلف عليه.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَسَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسۡتَطَعۡنَا لَخَرَجۡنَا مَعَكُمۡ يُهۡلِكُونَ أَنفُسَهُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾

ثالثا- البُعد عن الجهاد في سبيل الله

قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱرۡتَابَتۡ قُلُوبُهُمۡ فَهُمۡ فِي رَيۡبِهِمۡ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ۞وَلَوۡ أَرَادُواْ

ٱلۡخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةٗ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾

رابعا- السعي لهدم الصف المسلم عن طريق إثارة الفتن .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ٱبۡتَغَوُاْ ٱلۡفِتۡنَةَ مِن قَبۡلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلۡأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَظَهَرَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾

خامسا- الحزن لنصر المسلمين والفرح بانكسارهم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِن تُصِبۡكَ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡۖ وَإِن تُصِبۡكَ مُصِيبَةٞ يَقُولُواْ قَدۡ أَخَذۡنَآ أَمۡرَنَا مِن قَبۡلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمۡ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾

سادسا- الكسل في إتيان الصلاة، والإنفاق من غير طيب نفس.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا مَنَعَهُمۡ أَن تُقۡبَلَ مِنۡهُمۡ نَفَقَٰتُهُمۡ إِلَّآ أَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمۡ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾

سابعا-الجبن والخوف.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمۡ لَمِنكُمۡ وَمَا هُم مِّنكُمۡ وَلَٰكِنَّهُمۡ قَوۡمٞ يَفۡرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوۡ يَجِدُونَ مَلۡجَـًٔا أَوۡ مَغَٰرَٰتٍ أَوۡ مُدَّخَلٗا لَّوَلَّوۡاْ إِلَيۡهِ وَهُمۡ يَجۡمَحُونَ ﴿٥٧﴾

ولا ريب أن يستحوذ الحديث عن النفاق، والمنافقين على هذه المساحة الكيرة من السورة، فالنفاق مرض عضال، يضر بجسم المجتمع المسلم، ويهدف إلى تدميره، و فقدان الثقة بين المؤمنين، والتمهيد لسيطرة الكافرين عليهم .

إنّ أخطر المصائب التي حلت بالمسلمين في تاريخهم المعاصر،إنما حلت بهم ، بسبب النفاق وأهلهلذلك كان من الواجب التحذير منهم، ببيان صفاتهم،وكشف أعمالهمونواياهم كما جاء في هذه السورة الكريمة.

ففيهابيانٌمسجلّ لأقوى مواجهة بين المسلمين و أعدائهم من المنافقين، ومن يقف و راءهم من المشركين واليهودوصلت إلى ما نسميه اليوم بالحرب النفسية، استخدم كلّ طرف فيها أقوى الوسائل وأشدهافتكاً ، من سلاح الشائعات، والإرجاف، إلى أسلحة التشكيك، والكيد، والتضليل وغيرها ،مما يعاني منه عالمنا اليوم.

سبب نزول السورة:

لمعرفة أسباب النزول أهميةٌ في الوقوف على المعنى، إذ لايمكن معرفة تفسير الآيات إلا بالوقوف على أسباب نزولها، يقول الزركشي في فوائد معرفة أسباب النزول:" وأخطأ من زعم أنه لاطائل تحته، لجريانه مجرى التاريخ، وليس كذلك،بل له فوائد منها: وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم، ومنها:تخصيص الحكم به عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب،ومنها: الوقوف على المعنى...، ومنها أنه قد يكون اللفظ عاما،ويقوم الدليل على التخصيص،ومن الفوائد أيضا: دفع توهم الحصر "(١)

كما أن تعريف البلاغة هو:(مطابقة الكلام لمقتضى حال المخاطب)، ومعرفة أحوال المخاطبين، غالبا من معرفة أسباب النزول.

وزاد السيوطي على هذه الفوائد بقوله:" ومنها: الوقوف على المعنى وإزالة الإشكال، ومنها معرفة اسم النازل في الآية، وتعيين المبهم فيها"(٢).

---

(١) البرهان في علوم القرآن:١/٤٥ ومابعدها.

(٢) الإتقان:١/٦١ ومابعدها

وقد رأيت أنعتمد على أحد الكتب المتخصصة في أسباب النزول لهذا العلاّمة،إذ وقع اختياري على كتاب:(لباب النقول في أسباب النزول) للشيخ جلال الدين السيوطي_ رحمه الله_.

وسوف أقف على شيء مما ذكره من أسباب نزول بعض الآيات، ثم أُحيل على الباقي لكثرته وقد أقف على شيء منها عند الحديث عن بعض الآيات إن لزم الأمر.

ذكر الشيخ السيوطي- رحمه الله - أن سبب نزول قوله تعالى :

١- ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٩)﴾

هوأنّ العباس -رضي الله عنه-حين أُسر يوم بدر قال: إن كنتم سبقتمونا بالإسلام والهجرة،والجهاد، فإننا كنا نعمر المسجد الحرام ، ونسقي الحاج ،ونفك العاني، فأنزل الله-عزّ وجلّ - هذه الآية [1] وذكر أن سبب نزول قوله تعالى:

٢- ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ (٢٥)﴾

أنّ رجلاً قال يوم حنين:لن نُغلب من قلة، وكانوا اثني عشر ألفا، فشق ذلك على النبي _صلى الله عليه وسلم_، فأنزل الله هذه الآية. [2]

(١) لباب النقول في أسباب النزول:١١٥

(٢) السابق:١١٦

كما ذكر سبب نزول قوله تعالى:

٣- ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾

وهوأنّ المشركين كانوا يأتون إلى البيت و يأتون معهم بالطعام يتاجرون فيه،فلما نُهوا عن أن يأتوا البيت، قال المسلمون: من أين لنا طعام؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية. (١)

وقيل:إنّه لما نزل قوله تعالى:(إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا) شق ذلك على المسلمين، وقالوا: من يأتنا بالطعام،وبالمتاع، فأنزل الله عزّوجلّ - هذه الآية (٢)

وذكر سبب نزول قوله تعالى:

٤- ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَـٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾

وهوأنّ الكفار كانوا يجعلون السنة ثلاثة عشر شهرا، فيجعلون المحرم صفرا فيحلون فيه المحرمات، فأنزل الله هذه الآية. (٣)

---

(١) لباب النقول في أسباب النزول:١١٦

(٢) السابق:١١٧

(٣) السابق بصفحته

وسبب نزول قوله تعالى:

٥- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ٣٨﴾

أنه حين أمر المؤمنون بالنفير إلى غزوة تبوك بعد الفتح _وكان ذلك صيفا_ اشتهوا الظلال وشق عليهم الخروج، فأنزل الله هذه الآية .(١)

كما ذكر سبب نزول قوله تعالى:

٦- ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٤٣﴾

وهو أنه عندما أذن الرسول_ صلى الله عليه وسلم_للمنافقين، وأخذ الفداء عن الأسرى وهو لم يؤمر فيهما بشيء عاتبه الحق عزّ جلّ - بهذه الآية.(٢)

كما ذكر أن سبب نزول قوله تعالى:

٧- ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ ٱئۡذَن لِّي وَلَا تَفۡتِنِّيٓۚ أَلَا فِي ٱلۡفِتۡنَةِ سَقَطُواْۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ٤٩﴾

أنه لما أراد النبي – صلى الله عليه وسلم- أن يخرج إلى غزوة تبوك قال للجد بن قيس: يا جد بن قيس ما تقول في مجاهدة بني الأصفر؟ فقال : يا رسول الله إني امرؤ صاحب نساء ومتى أري نساء بني الأصفر أُفتن ،فأذن لي ولا تفتني، فأنزل الله هذه الآية وقيل أن السبب في نزولها أن النبي – صلى الله عليه وسلم- قال : اغزوا تغنموا بنات بني الأصفر : فقال ناس

(١) لباب النقول في أسباب النزول:١١٧

(٢) السابق:١١٨

من المنافقين : إنه ليفتنكم بالنساء، فأنزل الله هذه الآية . [١]

وذكر أيضا أن سبب نزول قوله تعالى:

٨- ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾

هوأنّ نبتل بن الحرث كان يأتي رسول الله_ صلى الله عليه وسلم_ فيجلس إليه ويسمع منه وينقل حديثه إلى المنافقين، فأنزل الله هذه الآية[٢]

أما سبب نزول قوله تعالى:

٩- ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾

فمارُوي عن أبي مسعود – رضي الله عنه – عندما قال: لما نزلت آية الصدقة كنا نتحامل على ظهورنا، فجاء رجل فتصدق بشيء كثير، فقالوا: مُراء، وجاء رجل فتصدق بصاع، فقالوا: إن الله لغني عن صدقة هذا، فنزلت هذه الآية [٣]

أما سبب نزول قوله تعالى:

١٠- ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ ﴾

ما روي عن ابن عباس عندما قال أمرَ رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ النّاس أن

(١) لباب النقول في أسباب النزول:١١٨

(٢) السابق :١١٩

(٣) السابق : ١٢١

يبعثوا معه وذلك في الصيف، فقال رجال : يا رسول الله الحر شديد، ولا نستطيع الخروج فلا تنفر في الحر، فأنزل الله هذه الآية. [1]

وقيل : إنّ سبب نزولها أنّه عندما خرج رسول الله_ صلى الله عليه وسلم في حرّ شديد إلى تبوك قال رجل من بني سلمة : لا تنفروا في الحرّ فأنزل الله هذه الآية.

وقيل: سبب نزولها إنّ رجلاً من المنافقين قال: لا تنفروا في الحر، فنزلت هذه الآية[2].

وسبب نزول قوله تعالى:

١١ -﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١٠٧﴾

أن من بنوا مسجدَ ضرارٍ جاؤا إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو متجهز إلى تبوك فقالوا :يا رسول الله إنا بنينا مسجداً لذي العلة والحاجة والليلة الشاتية والليلة المطيرة، وإنا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه، قال : إني على جناح سفر، ولو قدمنا – إن شاء الله – أتيناكم فصلينا لكم فيه، فلما رجع نزل بذي أوان على ساعة من المدينة، فأنزل الله هذه الآية، فدعا الرسول – صلى الله عليه وسلم – مالك بن الدخشن ومعن بن عدي أو أخاه عاصم بن عدي فقال انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه وأحرقاه ففعلا[3].

(١) لباب النقول في أسباب النزول: ١٢٢

(٢) لباب النقول:١٢٢

(٣) السابق:١٢٥

سبب عدم البدء بالبسملة في سورة التوبة:

اتفق العلماء على ترك البسملة في أول براءة، ولكنهم اختلفوا في سبب سقوط ذلك على أقوال منها:

القول الأول:

ما ذكره الزمخشري بقوله:" وقد اختلف أصحاب رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ فقال بعضهم:الأنفال وبراءة سورة واحدة، وقال بعضهم: هما سورتان، فتركت بينهما فرجة

لقول من قال: هما سورتان، وتركت: بسم الله الرحمن الرحيم، لقول من قال: هما سورة واحدة"(١)

القول الثاني:

ما ذكره البيضاوي بقوله:"وإنما تركت البسملة فيها لأنها نزلت لرفع الأمان، وبسم الله أمان"(٢)

وقد رد الكازروني على رأي البيضاوي بقوله:"استبعد جمع من العلماء ذلك الوجه الذي ذكره البيضاوي واعلم أن صاحب الكشاف قال: فإن قلت: هلا صُدِّرت بآية التسمية كما صُدّرت سائر السور ؟ قلت:سأل ذلك ابن عباس عثمان_ رضي الله عنهما _

فقال:إنّ رسول الله _صلى الله عليه وسلم _إذا نزلت عليه السورة أو الآية قال: "اجعلوها في الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا وتوفي ولم يبين لنا أين نضعها وكانت قصتها شبيهة بقصتها فلذلك ضمت إليها،واعترض عليهم بأنّ هذا الجواب غير مطابق للسؤال؛ لأنه سُئِل عن

(١) الكشاف:٣/٦

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل١/٣٩٤

سبب عدم التصدير بالبسملة، وأجاب عن ضم إحدى السورتين للأخرى وأجاب العلامة التفتازاني:بأنّ النبي _صلى الله عليه وسلم _كان يبين موضع السورة والآية ولم يبين ههنا وكانت القصتان متشابهتان فلم يعلم أنّ هذه كالآيات من الأنفال لتوصل بها كالآية بالآية أو سورة مغايرة له؛ ليفصل بينهما بتسمية، فقرن بينهما لاكما تقرن الآية بالآية، ولا كاقتران سورة بسورة، بل من بين بين" (١)

القول الثالث:

قال السيوطي: "وقد استشكل ابن عباس حبر الأمة قديما ذلك، قال:قلت لعثمان: ماحملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني، وإلى براءة، وهي من المئين،فقرنتم بينهما،ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم، ووضعتموها في السبع الطوال؟

فقال عثمان_رضي الله عنه_: كان رسول الله_ صلى الله عليه وسلم-ينزل عليه السور ذوات العدد، فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب، فيقول: ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وكانت الأنفال من أوائل مانزل، وكانت براءة من آخر القرآن نزولا، وكانت قصتها شبيهة بقصتها(٢)، فظننت أنها منها، فقبض رسول الله _ صلى الله عليه وسلم_ ولم يبين لنا إنها منها؛ فمن أجل ذلك قرنت بينهما،ولم أكتب سطر بسم الله الرحمن الرحيم(٣)وعلى هذا لم يكتبها الصحابة في المصحف مقتدين في ذلك بأمير المؤمنين عثمان -رضي الله عنه -. (٤)

---

(١) حاشية الكازروني:١٢٦/٣

(٢) أي أن قصة سورة براءة شبيهة بقصة سورة الأنفال.

(٣) تناسق الدرر:٨٩ وما بعدها

(٤) مفاتيح الغيب:١٧٣/١٥/٨٠

الأسماء التي أطلقت على السورة:

سُميت هذه السورة بأسماء عديدة أوصلها بعض المفسرين إلى أربعة عشر اسماً .

قال الزمخشري:"لها عدة أسماء: (براءة و التوبة، والمقشقشة، والمبعثرة، والمشردة، والمخزية والفاضحة والمثيرة، والحافرة، والمنكّلة، والمدمدمة، وسورة العذاب)؛ لأن فيها التوبة على المؤمنين، وهي تقشقش من النفاق أي تبرئ منه، وتبعثر أسرار المنافقين، وتبحث عنها وتثيرها وتحفر عنها، وتفضحهم، وتنكل بهم، و تشردهم، وتخزيهم، وتدمدم عليهم"[1]

أما عن سبب تسميتها بسورة التوبة فقد ذكر الزمخشري في قوله السابق أنها سُميت بذلك"لأن فيها التوبة على المؤمنين"[2] وتبعه البيضاوي [3]وكذلك ابن عاشور بقوله:"وتسمى سورة التوبة في كلام بعض السلف في مصاحف كثيرة، ووجه التسمية: أنها وردت فيها توبة الله تعالى عن الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك، وهو حدث عظيم"[4].

إلا أن هذا الكلام مردود عليه بأنّ التوبة التي وردت في السورة لم تكن خاصة بالمؤمنين ولاحتى بالثلاثة الذين خُلفوا كما ذكر الزمخشري ومن تبعه، يقول القونوي في ذلك:" والمراد من التوبة الكائنة في السورة إما بمعنى قبول التوبة ،أو توفيق التوبة وهما: من صفاته تعالى، أو بمعنى الرجوع من المعصية إلى الطاعة التي وصف بها العبد والكل مذكور فيها والاكتفاء بقوله تعالى:

---

(١) الكشاف:٥/٣

(٢) السابق بصفحته

(٣) يُنظر:أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٣٩٤/١

(٤) تفسير التحرير والتنوير:٩٥/١٠

﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ﴿١١٧﴾ ﴾"[١] ليس بتام؛ لأن قوله تعالى:

﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ ﴾[٢]وقوله تعالى:

﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾[٣] وغير ذلك مع كونها مذكورة لايحسن الاختصار عليها"[٤]

لقد ضعف هذا الرد ماذهب إليه الزمخشري، والبيضاوي، وابن عاشور ، ومن سار على نهجهم وإن كان كما هو واضح أنّ كل من جاء بعد الزمخشري مجرد ناقل لرأيه دون تمحيص وعليه يكون ماذهب إليه القونوي أشمل ، وأقرب للصواب ــ والله أعلم ــ

وعن تسميتها في بعض المصاحف بالتوبة، وفي بعضها براءة قال ابن عاشور: "ووقع هذان الاسمان معا في حديث زيد بن ثابت، وفي صحيح البخاري، في باب جمع القرآن، قال زيد:

" فتتبعت القرآن حتى وجدتآخر سور ة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري:﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ﴿١٢٨﴾ ﴾حتى خاتمة سورة براءة،وهذان الاسمان هما الموجودان في المصاحف التي رأيناها"[٥]

---

(١) التوبة(١١٧)

(٢) التوبة(١١)

(٣) التوبة(٢٧)

(٤) حاشية القونوي:٩/١٤٠

(٥) تفسير التحرير والتنوير:١٠/٩٤

سبب تسميتها بسورة التوبة:

سُميت هذه السورة المباركة في أغلب المصاحف بالتوبة، وسُميت في البعض الآخر (براءة) إلا أن اسم التوبة كان هو الغالب، فرأيت أن أسير على ماسارت عليه غالبية المصاحف لاسيما المصحف العثماني.

- كما أن اسم (براءة) يحمل شيئاً من الترهيب النفسي، فرأيت أن أختار ماهو مبشر تيمُّناً.

إنّ القارئ لسورة التوبة يستشعر شدّة الألفاظ من بدء لفظ (براءة) مروراً بالتهديد والوعيد فيها، لكنه يستشعر أيضاً أنها تفعل كل ذلك وهي فاتحة ذراعيها للتوبة.

ومن لطف الله تعالى أنه لم يُغلّب اسم الفاضحة على سورة التوبة، لأنّه ستير يحب الستر.

ومن لطفه أيضاً أن السورة قد حرمت المنافقين من الرحمة في أول السورة (من خلال عدم البدء بالبسملة، والبراءة منهم) إلا أنّها أعطت جميع الناس في آخر السورة رحمة مهداة تمثلت في بعث النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ رحمة للعالمين قال تعالى:

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾

إنّ سورة التوبة من أكثر السور التي تزيد أمل المؤمن ورجاءه في رحمة الله تعالى، فإذا كان ربّ العزة بلطفه و كرمه قد حثّ الكفار، والمنافقين على التوبة، فكيف لا يغفر لمن تاب من المؤمنين العصاة؟

إضافةإلى كل ماسبق هناك أسباب دعت لاعتماد اسم التوبة في هذا البحث أهمها:

١- ورود لفظ (التوبة) ومشتقاتها في هذه السورة (١٧) مرة وهي أكثر سور القرآن إيراداً لهذه الكلمة.

بينما ذُكرت في سورة البقرة (١٣) مرة مع أنها أطول سورة في القرآن الكريم!

وفي سورة النساء (١٢) مرة ، وفي سورة هود (٦) مرات ، وفي سورة المائدة (٥) مرات وفي سورة آل عمران (٣) مرات ، أمافي سورة الأنعام فمرة واحدة.

٢- ذُكر فيها عدة أنواع للتوبة، شملت:

أ- توبة المشركين المحاربين:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾

ب-توبة المؤمنين المتخاذلين عن نصرة الدين:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ ﴾

ج-التوبة من عدم التوكل على الله:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ

تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾

د-توبة صفوة الخلق:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾

هـ-التوبة على الثلاثة الذين تخلفوا عن الجهاد:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾

موضوعات السورة وعلاقتها بسورة الأنفال:

كلتا هما مدنيتان باتفاق، ولعل فيما سبق مايو حي بعلاقة سورة التوبةبسورة الأنفال كما بنا في سؤال ابن عباس لعثمان-رضي الله عنهما-بقوله:ماحملكم على أن قرنتم بين الأنفال والتوبة، ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم فأجابه عثمان-رضي الله عنه-: بأنّ رسول الله_ صلى الله عليه وسلم-كان ينزل عليه السور ذوات العدد، فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب، فيقول: ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وكانت الأنفال من أوائل مانزل ، وكانت براءة من آخر القرآن نزولا، وكانت قصتها شبيهة بقصتها، فظننت أنها منها، فقبض رسول الله _ صلى الله عليه وسلم_ ولم يبين لنا أنها منها فمن أجل ذلك قرنت بينهما، ولم أكتب سطر بسم الله الرحمن الرحيم [1]

(١)يُنظر:تناسق الدرر:٨٩ ومابعدها

قال الغرناطي أيضا عن هذه العلاقة:" اتصالها بالأنفال أوضح من أن يتكلف توجيهه حتى أن شدة المشابهة والالتئام أوجبـأ لا يفصل بينهما ببسم الله الرحمن الرحيم؛وذلك أن الأنفال قد تضمنت الأمر بالقتال، وبينت أحكام الفرار من الزحف، وحكم النسبة المطلوبة فيها بالثبوت ولحوق التأثيم للفار وحكم من استجار منهم إلى مايتعلق بهذا وكله باب واحد وإحكام متواردة على قضية واحدة وهو تحرير حكم المخالف، فالتحمت السورتان أعظم التحام ثم عاد الكلام إل حكم المنافقين وهتك سرهم"(١)

و من لطائف القرآن القرآن الكريم أن سورتي التوبة والأنفال جاءتا متتاليتين توافقان الترتيب الزمني لغزوتي بدر وتبوك، فسورة الأنفال تتحدث عن أول غزوة غزاها النبي ــصلى الله عليه وسلمــبينما سورة التوبة تتحدث عن آخر غزوة لرسول اللهــصلى الله عليه وسلمــ لقد جاءت السورتان متتاليتين حتى أننا نلحظ الفرق في المجتمع الإسلامي بين بداية نصرة المسلمين لدينهم ونهاية الانتصار العظيم.

أما عن الموضوعات التي دارت حولها السورةالتي تتضح للقارئ منذ أوّ ل قراءة فمنها:التوبة وهي المحور الرئيس، كتحدثت عن المنافقين بشكل جليّ ،وبحثت عن أحوالهم وحفرت عمّ ا يخزيهم كما جاء في قوله تعالى:

﴿ يَحۡذَرُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيۡهِمۡ سُورَةٞ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمۡۚ قُلِ ٱسۡتَهۡزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخۡرِجٞ مَّا تَحۡذَرُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾

وقوله تعالى:﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسۡبُهُمۡۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ﴿٦٨﴾ ﴾

قالابن عاشور موضحاً موضوعات هذه السورة:

"كان غالب ما تقدم من هذه السورة تحريضاً على الجهاد،وتنديداً على المقصرين في شأنه

(١) البرهان في ترتيب سور القرآن:٢٢٠

وانتهى الكلام قبل هذا بتبرئة أهل المدينة والذين حولهم من التخلف عن رسول الله

_ صلى الله عليه وسلم_ فلا جرم كانت قوة الكلام مؤذنة بوجوب تمحض المسلمين للغزو، وإذ قد كان من مقاصد الإسلام بث علومه وآدابه بين الأمة وتكوين جماعات قائمة بعلم الدين وتثقيف أذهان المسلمين كي تصلح سياسة الأمة على ما قصده الدين منها.

من أجل ذلك عُقِّبَ التحريض على الجهاد بما يبين أن ليس من المصلحة تمحض المسلمين كلهم لأن يكونوا غزاة أو جنداً، وأن ليس حظ القائم بواجب التعليم دون حظ الغازي في سبيل الله من حيث إن كليهما يقوم بعمل لتأييد الدين، فهذا يؤيده بتوسع سلطانه وتكثير أتباعه، والآخَرُ يؤيده بتثبيت ذلك السلطان وإعداده لأن يصدر عنه ما يضمن انتظام أمره وطول دوامه"[(١)]

كما أشار إليها أيضا أحد الباحثين بقوله:" محور القرآن يدور حول توحيد الله عزّ وجلّ -فكل سورة تتناول جزءاً أو أكثر من هذا المحور، وتدور بفلكه، فالله تعالى خلق الإنسان لعبادته،قال تعالى:﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾[(٢)]

فسورة التوبة كباقي السور القرآنية، تؤكد على عدد من القوانين والتشريعات الإسلامية المتعلقة بنوعية العلاقة مع المشركين وأهل الكتاب والمنافقين، وضرورة البراءة منهم.

كما تُظهر السورة أهمية الجهاد و كيف رغب فيه، وحذر المتثاقلين وَحرّم النفاق ، والمنافقين وفضح دخائل نفوسهم، ووضيع تصرفاتهم وحقيقة نيّاتهم وحيلهم ليقودهم إلى التوبة.

(١) تفسير التحرير والتنوير: ٥٩/١١

(٢) الذاريات(٥٦)

كما حذر المؤمنين من مكائدهم، وبين ً مصارف الزكاة التي تعتبر أحد أعمدة الجهاد، وأشار إلي ظاهرة تعدد المستويات الإيمانية، كما قرر حقيقة البيعة مع الله من أجل إعلاء دينه وتحقيق مقصد الخلافة "[١]

(١) أهداف ومقاصد موضوعات سورة التوبة:٤٣ ومابعدها بتصرف.

الباب الأول

البناء الفني للجملة

- الفصل الأول: حال الكلمة في الجملة من خلال السياق.
- الفصل الثاني:أحوال الجملة الخبرية.
- الفصل الثالث:أسرار التعبير بالجملة الإنشائية.

الفصل الأول

أحوال الكلمة في الجملة من خلال السياق

- المبحث الأول :تنوع الصيغ.
- المبحث الثاني:التعريف والتنكير.
- المبحث الثالث:الدقة في استخدام حروف المعاني من خلال السياق.

الفصل الأول: أحوال الكلمة في الجملة من خلال السياق

توطئة:

الكلمة عند النحاة إما: اسم، أو فعل، أو حرف، والحروف التي وقف عندها العلماء هي: حروف المعاني، ومن هذه الحروف ما يعمل في الاسم، ومنها ما يعمل في الفعل.

وقد شُغل العلماء قبل عبد القاهر الجرجاني بقضية اللفظ والمعنى و من هنا عُرف كثيرٌ منهم بأنَّهم من أنصار اللفظ مثل الجاحظ وأبي هلال العسكري وابن قتيبة وغيرهم وعُرف آخرون بأنهم من أنصار المعنى إلى أن جاء عبد القاهر الجرجاني (بقضية النظم) وأبطل قضية اللفظ والمعنى،ورأى أنَّ إعجازَ القرآن الكريم لا يعود إلى اللفظ، ولا إلى معنى اللفظ وإنما يعود إلى النظم أو التركيب والتأليف.

قال السعد: "ولكل كلمة مع صاحبتها مقام: إما مقام التعريف للمسند إليه ببيان مقام تعريفه، ومقام إطلاق الحكم ،ولتعليق المسند إليه، أو المسند أو متعلقة يباين مقام تقييده بمؤكد أو أداة قصر أو تابع أو شرط أو مفعول أو ما شابهها، وكل ذلك يدور حول ارتفاع شأن الكلام في الحسن والقبول، بمطابقته للاعتبار المناسب، انظر إلى ملائمة التعبير بالفعل الماضي (ولّيتم) مع قوله (مدبرين) [1] في قوله تعالى﴿ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [2]

---

(١) المطول:٢٦

(٢) التوبة(٢٥)

ومن أشهر من بحث في ألفاظ القرآن وغريبة الراغب الأصفهاني،وفي هذه اللفظة يقول:

" وليتسمعي كذا، و وليت عيني كذا، وليت ُ وجهي كذاأقبلت ُ به عليه قال تعالى:

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [١]

وإذا ع ُدِّي بـ (عن)لفظاً أوتقديراً اقتضى معنى لإعراض وترك قُربِه" [٢]

وفي معناه قال البيضاوي :"(ثم وليتم) الكفار ظهوركم (مدبرين) منهزمين و(الإدبار) الذهاب إلى خلف خلاف الإقبال"[٣]

(١) سورة البقرة:١٤٤

(٢) المفردات في غريب القرآن،:٢/٦٩٣

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل.١/٤٠٠

المبحث الأول: ع الصيغ

توطئة:

لم يقف أكثر البلاغيين عند اللفظة إلا من خلال موقعها من الكلام اقتداء بعبد القاهر الجرجاني الذي ركز على ملائمة معنى الكلمة لمعنى ماقبلها ومابعدها، وهذا يدخل عندهم فيما سماه عبد القاهر فن النظم.

ومن هنا حاولت الوقوف على قيمة اللفظة، ومعناها من خلال السياق في بعض الآيات من سورة التوبة على ضوء أقوال بعض المفسرين، متوقفة عند الصيغة التي جاءت عليها بعض الألفاظ.

تعريف الصيغة:

الصيغة معجمياً مصدر من الصوغ،يقال صاغ الشيءيصوغه صوغاً وصياغة[1]، ف(الصاد والواو والغين) ،أصل صحيح يدل على تهيئة الشيء على مثال مستقيم[2]يقال صاغ شعراً وكلاماً أي:وضعه ورتّبه[3]أما اصطلاحاً فمعناها: (صورة يحملها اللفظ) [4]،فالصيغة هي الهيئة التي تكون عليها الكلمة.

و العدول عن صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى، لايكون إلا لخصوصية، ولا يتوخاه إلا العارف بالفصاحةوالبلاغة، فهو من أشكل ضروب البيان وأدقها فهماً[5]؛لذلك كان القرآن الكريم أرضاً خصبة لمثل هذه الفنون.

---

(١) لسان العرب مادة(ص.و.غ):٤٤٢/٨

(٢) معجم مقاييس اللغة ، مادة(ص.و.غ):٣٢١/٣

(٣) لسان العرب:٤٤٢/٨

(٤)يُنظر:الخصائص:٩٣/٣

(٥)يُنظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ٤١٦/١

صور من تنوع الصيغ في السورة:

لفظ (إلا)

١-قال تعالى:﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ﴿٨﴾ ﴾

٢-قال تعالى:﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ ﴾

قال الزمخشري في معنى (إلاً) في قوله تعالى:(لا يرقبون فيكم إلا ولاذمة) أي: لا يراعوا حلفاً ، وقيل: قرابة، وقيل إلهاً وقرىء: (إيلا) بمعناه وقيل: جبرئيل ، وقيل: منه اشتق الآل بمعنى القرابة، كما اشتقت الرحم من الرحمن، والوجه: لأ اشتقاق الإلّ بمعنى الحلف؛لأنهم إذا تماسحوا وتحالفوا رفعوا به أصواتهم وشهروه، من الأل وهو الجؤار، وله أليل: أي أنين يرفع به صوته و ودعت ألليها: إذا ولولت، ثم قيل لكل عهد وميثاق:إلّ ، وسميت به القرابة؛ لأن القرابة عقدت بين الرجلين ما لا يعقده الميثاق"(١)

وقال الرازي:"الإل مأخوذ من قولهم إل يؤل ألا، إذا صفا ولمع ومنه الآل للمعانه، وأذن مؤللة شبيهة بالحربة في تحديدها، وله أليل أي أنين يرفع به صوته، ورفعت المرأة أليلها إذا ولولت فالعهد سمي إلا، لظهوره وصفائه من شوائب الغدر؛ ولأن القوم إذا تحالفوا رفعوا به أصواتهم وشهروه"(٢)

وزاد القونوي عليه بقوله:" استعير للقرابة؛ لأنها تعقد بين الأقارب ما لا يعقده الحلف، ثم للربوبية والتربية، وقيل اشتقاقه من ألل الشيء إذا حدده أو من آل البرق إذا لمع،وقيل إنه عبري

(١) الكشاف :٣ /١٦

(٢) مفاتيح الغيب : ٨ /١٨٠/١٥

بمعنى الإِ له لأنه قر يء: إيلا كجبرئل وجبرئيل"[١]

أما الآية العاشرة ، فيقول عنها البيضاوي:

"(لايرقبون في مؤمن إلا ولاذمة) فهو تفسير لا تكرير، وقيل الأول عام في الناقضين وهذا خاص بالذين اشتروا وهم اليهود، أو الأعراب الذين جمعهم أبو سفيان وأطعمهم." [٢]

إنّ السر في التعبير بهذه اللفظة دون غيرها؛ لأن الحق تبارك وتعالى يريد أن نعلم أن المشركين إذا تمكنوا من المؤمنين لا يراعون فيهم قرابة ولا عهداً ولا حلفاً ولا جواراً ولا قسماً فكيف يكون للمشركين عهدهم إن تمكنوا من المؤمنين لا يراعون فيهم شيئا أبداً ؟[٣]

صيغة التوقع (عسى):

٣- قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ١٨﴾

قال الزمخشري عن فائدة صيغة التوقع في قوله تعالى:(فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين):" تبعيد للمشركين عن مواقف الاهتداء، وحسم لأطماعهم من الانتفاع بأعمالهم التي استعظموها، وافتخروا بها وأملوا عاقبتها." [٤]

و قد أيده البيضاوي بقوله:"ذكره بصيغة التوقع قطعاً لأطماع المشركين في الاهتداء والانتفاع بأعمالهم،وتوبيخاً لهم بالقطع بأنهم مهتدون، فإن هؤلاء مع كمالهم إذا كان اهتداؤهم دائراً بين عسى ولعل، فما ظنك بأضدادهم،ومنعاً للمؤمنين أن يغتروا بأحوالهم

(١) حاشية القونوي: ١٩٢/٩

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٣٩٧/١

(٣) تفسير الشعراوي :٤٩٠٢/٨

(٤) الكشاف:٢٤/٣

ويتكلوا عليها" [1]

ولبعض العلماء رأي خاص في التعبير بـ(عسى) في القرآن الكريم، فهي وإن كان معناها في اللغة: الإشفاق والطمع في قرب الشيء[2]، إلا أن بعض المفسرين يرون أنها إذا جاءت من الله تعالى فإن معناها التحقيق كما قال الطبري : " وكل عسى في القرآن واجبة"[3]

والبعض الآخر يرى أن معناها في القرآن الكريم هو معناها في اللغة؛ لأن القرآن نزل بلسان عربي مبين.

وقيل أيضًا: تجري مجرى لعل ، وهي في القرآن الكريم من الله جل ثناؤه واجبة، ومن عباده ظن[4] إلا في قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ ۝٥﴾[5] فقد وردت للتهديد ولم يتحقق الموضوع الذي دخلت عليه[6]

ومثلها(عسى) في قوله تعالى:

٤ - ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٠٢﴾

فقد:"أوجب تحقيق توبتهم الملزومة للاعتراف بقبولها بقوله تعالى: (عسى الله) أي :بما له من الإحاطة بأوصاف الكمال (أن يتوب عليهم) فإن (عسى) منه سبحانه وتعالى واجبه لأن هذا دأب الملوك ولعل التعبير بها يفيد –مع الإيذان بأنه لا يجب عليه لأحد شيء وأن كل إحسان يفعله فإنما هو على سبيل الفضل إشارة إلى أنهم صاروا كغيرهم من خلص المؤمنين

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٣٩٨/١

(٢) لسان العرب: ٥٤/١٥

(٣) جامع البيان: ٣٧٧/١١

(٤) لسان العرب: ٥٤/١٥

(٥) التحريم (٥)

(٦) لطائف قرآنية: ١٣٤

غير المعصومين في مواقعة التقصير، وتوقع الرحمة من الله بالرجوع بهم إلى المراقبة فكما أن أولئك معدودون في حزب الله مع هذا التقصير المرجو له العفو فكذلك هؤلاء"(١)

التعبير بـ(ما كان):

وردت صيغة (ما كان) خمس مرات في هذه السورة المباركة في قوله تعالى:

٥- ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ ۚ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ ﴾

وقوله تعالى:

٦- ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ ﴾

وقوله تعالى:

٧- ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ ﴾

وقوله تعالى:

٨- ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ ﴿١٢٠﴾ ﴾

وقوله تعالى:

٩- ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾

---

(١) نظم الدرر :٣/٣٨٢

والمقصود بها:"ما صح لهم"[1] على معنى نفي الوجود والتحقق ،لا نفي الجواز [2]

ومجيء (كان)منفية،في الآية(١٧)يعني أنّه ليس مقبولا في العقل أو المنطق أو الدين أن يقرب الكفار المسجد، ولا أنْ يرعى مشرك المسجد أو يصونه؛ لأن المسجد للعبادة، والعبادة تقتضي معبوداً هو الله سبحانه وتعالى، والكفار يشركون بالله، فمن المنطق ألا يكون لهم دخل بالمساجد، فمنعهم من المسجد: إقامة، وعمارة، وزيارة، هو شيء منطقي بشهادتهم على أنفسهم بالكفر، وهي سبب منعهم من الاقتراب من مساجد الله.[3]

قال البيضاوي عن السرّ في مجيء هذه الصيغة في تفسير الآية(١٢٠): "نهي عبر به بصيغة النفي للمبالغة"[4]

وفي رأيي: إن قولنا(كَانَ) تختلف في معناها عن قولنا:(ما ينبغي).

ف(الباء والغين والياء) أصلان: أحدهما طلب الشيء، والثاني: جنس من الفساد، فمن الأوّل: بغيت الشيء أبغيه إذا طلبته، ويقال: ماينبغي لك أن تفعل كذا، وهذا من أفعال المطاوعة، تقول:بغيتُ فانبغى [5]، أما (كان) فمن (الكون) وهو أصل يدل على الإخبار عن حدوث شيء، فكان الشيء يكون كونا، إذا وقع وحضر.[6]

فينبغي تعني أنّ القدرة على فعل الشيء موجودة، (بغيت الشيء أبغيه إذا طلبته) لكن لا يصح أن يفعله، أما في:(ما كان)، فإذا كان لا يقال للشيء (كان) إلا إذا وقع ، فهذا يعني أنه فعل الكون إذا جاء منفيا لم يقع، وبهذا يكون معناها عند النفي: أنك غير مؤهل لفعل هذا مطلقاً .

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٣٩٨/١

(٢) يُنظر:إرشاد العقل السليم:٥١/٣

(٣) تفسير الشعراوي:٤٩٣٥/٨

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٤٢٤/١

(٥) مقاييس اللغة: ٢٧١/١

(٦) السابق:١٤٨/٥

التعبير بـ(كافة):

١٠ -قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾﴾

قال الفراء: (كافَّةً) أي جميعاً، والكافة لا تكون مذكرة ولا مجموعة على عدد الرجال فلا نقول: كافين، أو كافات للنساء ولكنها (كافَّةً) بالهاء والتوحيد، لأنها وإن كانت على لفظ فاعلة فإنها في ترتيب مصدر مثل الخاصة والعامة، ولذلك لم تدخل العرب فيها الألف واللام لأنها في مذهب قولك قاموا معاً، وقاموا جميعاً .

وقال الزجاج: منصوب على الحال، ولا يجوز أن يثنى ولا يجمع، كما أنك إذا قلت: قاتلوهم عامة، لم تثنّ ولم تجمع، وكذلك خاصة [(١)]

وهو مصدر (كفّ) عن الشيء وقع موقع الحال. [(٢)]

وكونه منصوبٌ على الحال: إما من الفاعل، أو من المفعول، ولا يُتَصَرَّف فيها بغير النصب على الحال، ولا تدخلُها أل، ولا تُثَنَّى ولا تُجْمع" [(٣)]

وكذلك" كافة" الثانية في قوله تعالى:

١١ - ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾

قال ابن عاشور موازنا بين معنى هذه الآية ومعنى آية (٣٦): " إذ كانت الآية السابقة قد حرضت فريقاً من المسلمين على الالتفاف حول رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في الغزو

(١) يُنظر: مفاتيح الغيب: ٤٤/١٥/٨

(٢) يُنظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٤٠٤/١

(٣) يُنظر: الدر المصون: ٤٦٢/٣

لمصلحة نشر الإسلام ناسب أن يُذكر عقبها نَفْر فريق من المؤمنين إلى رسول الله -صلى الله عليه -وسلم للتفقه في الدين، ليكونوا مرشدين لأقوامهم الذين دخلوا في الإسلام." [١]

١٢-براءة:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١﴾

البراءة تدل على التباعد من الشيء[٢] وهي من انقطاع العصمة، يقال: برئت من فلان أبرأ براءة، أي: انقطعت بيننا العصمة [٣]

وهي خبر مبتدأ محذوف أي هذه براءة و (من) لابتداء الغاية، متعلق بمحذوف،ويجوز أن يكون : (براءة) مبتدأ لتخصيصها بصفتها، والخبر(إلى الذين عاهدتم) وقر ئ (براءة) بالنصب على: (اسمعوا براءة).

والبراءة يلزم منها أنه كان هناك عهد واستمساك به، وجاءت البراءة من الاستمساك بهذا العهد الذي عهده رسول الله-صلى الله عليه وسلم- معهم، وكانوا معتصمين بالمعاهدة، ثم جاء الأمر الإلهي بقطع هذه المعاهدة.[٤]

وقد ُ لقت البراءة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين؛لأنّ الله قد أذن في معاهدة المشركين أو ّلاً فاتفق المسلمون مع رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ وعاهدوهم، فلما نقضوا العهد أوجب الله تعالى النبذ إليهم، فخوطب المسلمون بما تجّدد من ذلك فقيل لهم:اعلموا أنّ الله ورسوله قد برئا مما عاهدتم به المشركين [٥]

---

(١) يُنظر: تفسير التحرير والتنوير: ٥٩/١١

(٢) مقاييس اللغة: ٢٣٧/١

(٣) يُنظر:مفاتيح الغيب:١٧٤/١٥/٨

(٤) تفسير الشعراوي : ٤٨٥٨/٨

(٥) يُنظر: الكشاف:٧/٣

قال البيضاوي:"وإنما علقت البراءة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين للدلالة على أنه يجب عليهم نبذ عهود المشركين إليهم وإن كانت صادرة بإذن الله تعالى واتفاق الرسول فإنهما برئا منها" (١)

لقد افتتحت السورة كما تفتتح صكوك العقود بأدل كلمة على الغرض الذي يراد منها،لذا جاء لفظ(براءة) مفيداً معنى فسخ العهد ونبذه ليأخذ المعاهَدون حِذرهم.(٢)

١٣-فسيحوا

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِي ٱلْكَٰفِرِينَ ٢﴾

أصل السياحة الضرب في الأرض، والاتساع في السير والبعد عن المدن وموضع العمارة مع الإقلال من الطعام والشراب ،ومعنى: (فسيحوا في الأرض) أي: اذهبوا فيها كيف شئتم

وليس ذلك من باب الأمر، بل المقصود الإباحة والإطلاق ،والإعلام بحصول الأمان وإزالة الخوف في هذه المدة (٣)

قال البيضاوي:" أمهل المشركين أربعة أشهر ليسير وا أين شأوا" (٤)

والتعميم في(أين شأوا):" مأخوذ من السياحة وأصلها جريان الماء وانبساطه ثم استعملت للسير" (٥)مما يدل على أنها استعملت مجازا .

وفي التعبير بصيغة (سيحوا) الدِلالة على كمال التوسعةِ والترفية ما ليس في سيروا

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٣٩٤/١

(٢) يُنظر: تفسير التحرير والتنوير:١٠٢/١٠

(٣) يُنظر:مفاتيح الغيب:١٧٥/١٥/٨

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٣٩٤/١

(٥) عناية القاضي وكفاية الراضي:٥١٦/٤

ونظيره فكلمة سيحوا تعطي ضماناإيمانياً فمعنى(ساح) سار ببطء[1] و سماحة الإسلام تمنع الأخذ على غرة، فالذين قطع الإسلام معهم العهد يسيرون وهم مطمئنون في أمن وأمان فلا يتعرض لهم أحد [2]

١٤-أذان،برئ:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ ﴾

أ-أذان:

الأذان: بمعنى الإيذان، وهو:الإعلام كالأمان والعطاء بمعنى الإيمان والإعطاء.[3]

وهو اسم مصدر قال الرازي:" الأذان اسم يقوم مقام الإيذان، وهو المصدر الحقيقي"[4]

ف(الإيذان) في كلام الرازي هو المصدر الحقيقي و(أذان) اسم منه، وقد صرح ابن عاشور بذلك عندما قال:

"والأذانُ اسم مصدر آذنه، إذا أعلمه بإعلان، مثل العطاء بمعنى الإعطاء، والأمان بمعنى الإيمان، فهو بمعنى الإيذان"[5]

وفي سبب تعليق البراءة بالذين عوهدوا من المشركين وتعليق الأذان بعموم الناس يقول

---

(١) يُنظر: تفسير الشعراوي:٤٨٦١/٨

(٢) يُنظر:إرشاد العقل السليم :٤٠/٣

(٣) يُنظر:الكشاف:٧/٣

(٤) مفاتيح الغيب:١٧٩/١٥/٨

(٥) تفسير التحرير والتنوير:١٠٧/١٠

الزمخشري:

"لأنّ البراءة مختصة بالمعاهدين والناكثين منهم، وأمّا الأذان فعام لجميع الناس من عاهد ومن لم يعاهد، ومن نكث من المعاهدين ومن لم ينكث"[١]

جاءت البراءة في الآية الأولى من هذه السورة إعلاماً بالمبدأ، والأذن هنا جاء لإبلاغ البراءة فـ(أذان) معناها إعلام يبلغ للناس كلهم، تماماً كأذان الصلاة؛ فهو إعلام للناس بدخول وقت الصلاة.

والأذان مأخوذ من الأذن لأن الإنسان حين يُعلم النّاس بشيء لا بد أن يخطب فيهم فيسمعون كلامه بآذانهم،[٢] كما هو ظاهر في هذه الآية المباركة.

١٥-برئ

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۙ﴿٣﴾﴾

للتفريق بين تكرار لفظ (البراءة) بصيغتين مختلفتين في هذه الآية والآية التي جاءت في أوّل السورة يقول الزمخشري: " فإن قلت: أي فرق بين معنى الجملة الأولى والثانية؟ قلت: تلك إخبار بثبوت البراءة. وهذه إخبار بوجوب الإعلام بما ثبت."[٣]

وعليه فلا تكرار في الآيتين كما قد يُظن، وفي ذلك قال البيضاوي:"ولا تكرير فيه"[٤]

قال الشهاب شارحا قول البيضاوي :(ولا تكرار فيه):

"أي لا تكرير في ذكر براءة الله ورسوله مع ذكرها أولا ،لأن تلك إخبار بثبوت البراءة بمعنى

---

(١) الكشاف:٣/٧

(٢) يُنظر:تفسير الشعراوي:٨/٤٨٦٤

(٣) الكشاف:٣/٧

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:١/٣٩٥

هذه براءة ثابتة من الله ورسوله في علمه تعالى،فأخبرهم بثبوت ذلك في علمه.

وقوله:(وأذان) إخبار منه تعالى لأولئك المخاطبين واجب التبليغ لقوله تعالى:(فانبذ إليهم) [١]

فوجب تبليغه لكافة الناس في ذلك اليوم المخصوص بما ثبت في حكمه تعالى من تلك البراءة ولذا خص الأول المعاهدين، وعم هذا سائر الناس"[٢]

١٦-انسلخ:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾

قال البيضاوي:" (انسلخ) انقضى، وأصل الانسلاخ خروج الشيء مما لابسه من سلخ الشاة" [٣]

والسلخ هو اسم لانفصال الشيء عن مكانه،فجُعل أيضاً اسماً لانفصاله عن زمانه المعين لما بين المكان والزمان من المناسبة التامة الشديدة [٤]

استُعير له من الانسلاخ الواقعِ بين الحيوان وجلدِه، والمعنى إذا انقضى (الأشهر الحرم) وانفصلت عما كانت مشتملةً عليه،وتحقيقُه أن الزمانَ محيطٌ بما فيه من الزمانيات مشتملٌ عليه اشتمالَ الجلد للحيوان وكذا كلُّ جزءٍ من أجزائه الممتدة من الأيام والشهورِ والسنين فإذا مضى

---

(١) سورة الأنفال:٥٨

(٢) عناية القاضي وكفاية الراضي :٥٢٠/٤

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٣٩٥/١

(٤) يُنظر:مفاتيح الغيب:١٧٩/١٥/٨

فكأنه انسلخ عما فيه [1]

وفي السر البلاغي من وراء استخدام صيغة الانسلاخ للأشهر قال أبو السعود:

"وفيه مزيد لطف لما فيه من التلويح بأن تلك الأشهر كانت حرزاً لأولئك المعاهدين عن غوائل أيدي المسلمين فنيط قتالهم بزواله"[2]

١٧–استقاموا.. استقيموا

قَالَ تَعَالَى: ﴿كَيۡفَ يَكُونُ لِلۡمُشۡرِكِينَ عَهۡدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ فَمَا ٱسۡتَقَٰمُواْ لَكُمۡ فَٱسۡتَقِيمُواْ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ۝٧﴾

قال البيضاوي في معنى قوله تعالى: (فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم) :" إن استقاموا على العهد فاستقيموا على الوفاء...وما تحتمل الشرطية والمصدرية"[3]

إلا أن قوله: (إن استقاموا على العهد فاستقيموا على الوفاء) فيه إشارة إلى أن المختار كون ما شرطية"[4] وهذا يعني أنها ليست حرفا، فجعل في الجملة فعل شرط:(إن استقاموا على العهد)، وجواب للشرط:(فاستقيموا على الوفاء).

قال أبو السعود موضحاً هذين الاحتمالين:

والفاءُ في (فما) لتضمنها معنى الشرط، و(ما) إما منصوبةُ المحلِّ على الظرفية بتقدير المضاف أي: فاستقيموا لهم مدةَ استقامتِهم لكم وإما شرطيةٌ منصوبةُ المحلِّ على الظرفية

---

(١) يُنظر:إرشاد العقل السليم:٤٣/٣

(٢) السابق بصفحته

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٣٩٦/١

(٤) يُنظر:حاشية القونوي:١٩٢/٩

الزمانية أي أي زمان استقاموا لكم فاستقيموا لهم [1]

وقد رجّح القونوي كونها شرطية بقوله":(وماتحتمل الشرطية)وهي الراجحة"[2]

مستنبطا ذلك من قول البيضاوي السابق: "فإن استقاموا على العهد، فاستقيموا على الوفاء".

إلا أن ابن عاشور جاء برأي مخالف، فهو يرى أن (ما)ظرفية لاشرطية لكنها متضمنة لمعنى الشرط يقول في ذلك:" و(ما) ظرفية مضمّنة معنى الشرط، والفاء الداخلة على فاء التفريع والفاء الواقعة في قوله: (فاستقيموا لهم) فاء جواب الشرط"[3].

واستدل على صحة ما ذهب إليه بقوله:"وأصل ذلك أنّ الظرف والمجرور إذا قُدّم على متعلقه قد يُشرب معنى الشرط فتدخل الفاء في جوابه".[4]

والراجح _والله أعلم_ أن(ما) في هذه الآية شرطية كما رجّح القونوي، حيث يؤيد رأيه ما ذهب إليه ابن هشام في مغني اللبيب وهو يتحدث عن(ما) الشرطية بقوله:" وهي نوعان: غير زمانية، وزمانية، وهو ظاهر في قوله تعالى:(فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم): أي"استقيموا لهم مدة استقامتهم لكم"[5]

١٨-نكثوا ... أئمة

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ١٢ ﴾

---

(١) يُنظر:إرشاد العقل السليم:٤٣/٣

(٢) حاشية القونوي : ١٦٢/٩

(٣) تفسير التحرير والتنوير:١٢٢/١٠

(٤) السابق بصفحته

(٥) مغني اللبيب:٣٠٢/١

أ_نكثوا:

قال الرازي::"يقال نكث فلان عهده إذا نقضه بعد أحكامه ،كما ينكث خيط الصوف بعد إبرامه، ومنه قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثٗا ﴿٩٢﴾﴾[1] و الأيمان جمع يمين بمعنى: الحلف والقسم. وقيل: للحلف يمين، وهو اسم اليد لأنهم كانوا يبسطون أيمانهم إذا حلفوا أو تحالفوا

وقيل: سمي القسم يميناً ليمين البر فيه فقوله تعالى: ﴿إنّ نكثوا أيمانهم﴾ أي:"نقضوا عهودهم" [2]

قال الزمخشري في توضيح السر في إثبات الأيمان لهم ثم نفيها عنهم ووصفها بالنكث في نفس الآية:

"فإن قلت: كيف أثبت لهم الإيمان في قوله: ﴿إنّ نكثوا أيمانهم﴾ ثم نفاها عنهم؟ قلت: أراد أيمانهم التي أظهروها ثم قال لا إيمان لهم على الحقيقة، وأيمانهم ليست بأيمان وبه استشهد أبو حنيفة رحمه الله على أن يمين الكافر لا تكون يميناً . وعند الشافعي رحمه الله: يمينهم يمين. وقال: معناه أنهم لا يوفون بها، بدليل أنه وصفها بالنكث"[3]

وقال ابن عاشور موضحاً السر البلاغي في التعبير بالنكث عن نقض الأيمان:"عبر الحق تبارك وتعالى عن نقض العهد بنكث الأيمان تشنيعاً للنكث لأنّ العهد كان يقارنه اليمين على الوفاء" [4]

(١) سورة النحل:٩٢

(٢) مفاتيح الغيب:١٨٦/١٥/٨

(٣) الكشاف:١٨/٣

(٤) تفسير التحرير والتنوير:١٢٩/١٠

ب :أئمة:

قال البيضاوي في معنى (أئمة):" المراد بالأئمة رؤساء المشركين"[١]

"ووزن (أئمة)أَفْعِلَه) لأنها جمع إمام والأصل أَأْمِمَة) فالتقى ميمان،فأريد إدغامهما فنقلت حركة الميم الأولى للساكن قبلها، وهو الهمزة الثانية، فأدى ذلك على اجتماع همزتين ثانيتهما مكسورة، فالنحويون البصريون يوجبون إبدال الثانية ياء وغيرهم يحقق أو يسهل بين بين"[٢]

وقد ذكر البيضاوي سر تسميتهم بذلك فقال:" للدلالة على أنهم صاروا بذلك ذوي الرئاسة والتقدم في الكفر أحقاء بالقتل."[٣]

وأضاف أبو السعود"وتخصيصُهم بالذكر إما لأهمية قتلِهم ،أو للمنع من مراقبتهم لكونهم مظِنةً للدلالة على استئصالهم، فإن قتلَهم غالباً يكون بعد قتلِ مَنْ دونهم"[٤]

١٩–وليجة:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾

الوليجة : البطانة والدُّخلاء،مأخوذة من الولوج وهو:الدخول في الشيء[٥]

وقيل :"الدخول في مضيق"[١] والوليجة كلّ ما يتخذه الإنسان معتمدا عليه وليس من

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٣٩٧/١

(٢) الدر المصون:٤٥١/٣

(٣) أنوار التنزيل وأسرارا لتأويل: ٣٩٧/١

(٤) إ رشاد العقل السليم:٤٧/٣

(٥) مقاييس اللغة:١٤٢/٦

أهله"(٢)

وهي على وزن فعيلة "مِن الوُلوج وهو الدخول. والوَلِيْجة: يُداخِلك في باطن أمورك وكُلُّ شيءٍ أَدْخَلْتَه في شيءٍ وليس منه فهو وليجة، والرجلُ في القوم وليس منهم، يقال له وَليجة ويُستعمل بلفظٍ واحد للمفرد والمثنى والمجموع، وقد يُجمع على وَلائج ووُلُج كصحيفة وصحائف وصُحُف"(٣)

ويؤيد ابن عاشور ماذهب إليه السمين الحلبي من كونها على وزن(فعيلة) إلا أنها عنده بمعنى (مفعولة) بقوله:"وليجة على وزن : فعيلة بمعنى مفعولة، أي:الدخيلة، وهي الفَعلة التي يخفيها فاعلها، فكأنّه يُولجها، أي يُدخلها في مكمن حتى لا تظهر، والمراد بها هنا: ما يشمل الخديعة وإغراء العدوّ بالمسلمين، وما يشمل اتخّاذ أولياء من أعداء الإسلام يخُلص إليهم ويفضَى إليهم بسر المسلمين" (٤)

وفي معناها في الآية يقول الزمخشري :"وليجة أي بطانة، من الذين يضادّون رسول الله ــصلى الله عليه وسلمــ والمؤمنين" (٥)

"والمراد بالوليجة هنا بطانة السوء التي تدخل على المؤمنين الضعاف، وتتخلل نفوسهم ليفشوا أسرار المؤمنين ويبلغوها للكفار"(٦)

---

(١) المفردات في غريب القرآن:٢/٦٩٠

(٢) السابق بصفحته

(٣) الدر المصون:٣/٤٥٣

(٤) تفسير التحرير والتنوير:١٠/١٣٩

(٥) الكشاف:٣/٢٠

(٦) تفسير الشعراوي : ٨/٤٩٣٢

٢٠-التعبير بالسقاية والعمارة

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾﴾

قال الزمخشري:"السقاية والعمارة: مصدران من سقى وعمر، والمعنى إنكار أن يشبه المشركون بالمؤمنين"(١)

وأضاف السمين الحلبي أنهما مصدران على فِعالة، كالصِّيانة والوِقاية والتِّجارة، ولم تُقْلب الياء همزة، لتحصُّنها بتاء التأنيث بخلاف رِداء، وعَباءة لطُروء تاء التأنيث فيها، وحينئذ فلا بُدَّ مِن حذف مضاف، إمَّا من الأول، وإمَّا من الثاني ليتصادقَ المجعولان، والتقدير: أجعلتم أهلَ سِقاية الحاجِّ وعِمارة المسجد الحرام كمَنْ آمن، أو أجَعَلْتم السقاية والعِمارة كإيمان مَنْ آمن أو كعملِ مَنْ آمن" (٢)

٢١-عشيرتكم

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾

العَشِيرة هي: الأهلُ الأدْنون، وقيل: هم أهل الرجلِ الذين يتكثَّر بهم أي: يصيرون له بمنزلة العدد الكامل، وذلك أن العشيرةَ هي العدد الكامل، فصارت العشيرة اسماً لأقارب الرجل الذي يَتَكَثَّر بهم، سواءً بلغوا العشرةَ أم فوقها، وقيل: هي الجماعة المجتمعة بنسَبٍ أو عَقْدٍ أو وِداد

(١) الكشاف:٣/٢٤

(٢) الدر المصون:٣/٤٥٤

كعقد العِ شْ رة." [1] والعشيرة"مأخوذة من (العِ شرة) وقيل: من (العَ شرة)،فإن العشيرة جماعة ترجع إلى عقد كعقد العشرة" [2]

ويميل ابن عاشورإلى أن تكون مشتقة من العِ شرة فقال:"العَ شيرة: الأقارب الأدْ نَو ْ ن، وكَأنه مشتقّ من العِ شْ رة وهي الخلطة والصحبة" [3]

٢٢-وليتم

قَالَ تَعَالَى:﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾

قال البيضاوي:"(وَلَّيْ تُم) الكفار ظهوركم(مدبرين) منهزمين" [4]

وقال القونوي شارحاً:" (ولّى) (وليتم) متعد إلى مفعولين لكن حُ ذفا لقيام القرينة عليهما وتعديته بمفعولين مما جاء مصرحا في النظم الجليل كقوله تعالى [5]:(فلا تولوهم الأدبار)" [6]

والفعل:(ولى) قد يُستعمل بمعنى (تولّى) أي :أعرض كقوله تعالى [7]:(ولى مدبرا) وكقوله تعالى [8]:(ولى مستكبرا)" [9]

واستشهد بأن الفيروز آبادي في القاموس أشار إلى أن الفعل (ولّى) قد يأتي لازما وإن كان

---

(١) الدر المصون:٤٥٦/٣

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤٠٠/١

(٣) تفسير التحرير والتنوير:١٥٣/١٠

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤٠٠/١

(٥) الأنفال:١٥

(٦) حاشية القونوي:١٩٢/٩

(٧) النمل:١٠

(٨) لقمان:٧

(٩) حاشية القونوي:١٩٢/٩

لم ينكر صحة أن يأتي متعديا فقال:"وهذا هو مراد صاحب القاموس ولّى تولية أدبر ولم ينكر كون ولى باقيا في بابه متعديا إلى مفعولين[1]"

٢٣ نَجَسٌ

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةً فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٢٨﴾ ﴾

قال الزمخشري:" النجس: مصدر، يقال نجس نجساً، قذر قذراً ،ومعناه ذوو نجس؛ لأنّ معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس، ولأنّهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات فهي ملابسة لهم، أو جعلوا كأنهم النجاسة بعينها، مبالغة في وصفهم بها." [2]

قال السمين الحلبي في توضيح السرّ البلاغي لمجيء (نَجَس) على هذه الصيغة:

"قوله تعالى: (إنما المشركون نجس) على المبالغة، جُعِلوا نفسَ النَّجَس، أو على حذف مضاف، ووجهٌ ه أنّه اسمُ فاعل في الأصل مثل (قَذِر) وكَبِد، ثم خُفِّفَ بسكون عَيْنِه " [3]

٢٤ –جزية:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾

قال الزمخشري: سميت جزية؛لأنها طائفة مما على أهل الذمة أن يجزوه أي يقضوه، أو لأنّهم

---

(١) القاموس المحيط:٤/٤٠٤

(٢) الكشاف:٣/٣٠

(٣) الدر المصون:٣/٤٥٨

يجزون بها من مَنْ منّ عليهم بالإعفاء عن القتل"[١]

وقال السمين الحلبي: الجِزْيَة: فِعْلة لبيان الهيئة كالرِّكْبة مِن جَزَى، الجزاء على ما أُعْطُوه من الأمن"[٢]

ومعناها كما قال أبو السعود: أي ما تقرَّر عليهم أن يُعطوه، مشتقٌّ من (جزى دينه) أي: قضاه" [٣]

٢٥-يضاهئون:

قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٣٠ ﴾

قال السمين الحلبي:" قرأ العامة (يُضاهُون) بضم الهاء بعدها واو، وعاصم بهاءٍ مكسورة بعدها همزةٌ مضمومة، بعدها واو، فقيل: هما بمعنى واحد وهو المشابهة وفيه لغتان (ضاهأْتُ) و(ضاهَيْتُ)"[٤]

" مأخوذ من قولهم:" امرأة ضهي على (فعيل): وهي التي ضاهأت الرجال في أنها لا تحيض وهمزتها مزيدة"[٥]

والمعنى :"يضاهي قولهم قول الذين كفروا فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه"[٦]

---

(١) الكشاف:٣/٣٢

(٢) الدر المصون:٣/٤٥٨

(٣) إرشاد العقل السليم:٣/٥٧

(٤) الدر المصون:٣/٤٥٨

(٥) الكشاف:٣/٣٤

(٦) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:١/٤٠٢

قال الشهاب:" (ضاهيت) و(ضاهأت) هما لغتان ،وفيه رد على الزمخشري إذ جعل الهمزة مزيدة"[1]

٢٦-النسئ، ليواطئوا:

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَـٰلِهِمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾

أ-النسئ:

في النسيء قولان:

"القول الأول:أنّه التأخير مرنسأت ُ الإبل عن الحوض أنسأها نسأ إذا أخرتها والاسم النسيئة والنسء، ومنه: أنسأ الله فلاناً أجله ُ، ونسأ في أجله ، والنسيء مصدر كالنذير والنكير ويحتمل أيضاً أن يكون (نسيء) بمعنى منسوء كقتيل: بمعنى مقتول،والمراد من النسيء ههنا المصدر بمعنى الإنساء، وهو التأخير، والنسء بوزن النفع وهو المصدر الحقيقي، كقولهم: نسأت أي أخرت" [2]

والقول الثاني:أنّ النسيء أصله من الزيادة يقال: نسأ في الأجل، وأنسأ إذا زاد فيه وكذلك قيل للبن النسءلمزيادة الماء فيه، ومنه َ أنسئت المرأة حبلَت، جُعل زيادة الولد فيها كزيادة الماء في اللبن،وكلُّ زيادة حدثت في شيء فهو نسيء قال الواحدي: الصحيح القول الأول وهو أن أصل النسيء التأخير"[3] وعليه فمعنى النسيء" تأخير حرمة الشهر إلى شهر آخر، كانوا إذا جاء شهر حرام وهم محاربون أحلوه وحرموا مكله شهراً آخر حتى رفضوا خصوص الأشهر

---

(١) عناية القاضي وكفاية الراضي:٥٥٨/٤

(٢) مفاتيح الغيب:٤٥/١٥/٨

(٣) السابق

واعتبروا مجرد العدد، وعن نافع برواية ورش (ٱلنَّسِيُّ) بقلب الهمزة ياء وإدغام الياء فيها وقرىء(النسي) بحذفها و(النسء) و(النساء) وثلاثتها مصادر (نسأه) إذا أخره" (١)

٢٧-ليؤاطئوا

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ (٣٧)

قال أهل اللغة في معنى الإيطاء:"واطأت فلاناً على كذا إذا وافقته عليه،و يقال: تواطأ القوم على كذا إذا اجتمعوا عليه، كأن كل واحد يطأ حيث يطأ صاحبه" (٢)

و"(المواطأة) (مفاعلة)من الوطء شبه التماثل في المقدار وفي الفعل بتوافق وطء الأرجل ومن هذا قولهم (وقوع الحافر على الحافر)" (٣)

و الهدف من المواطأة في الآية"ليوافقوا عدة ماأحله الله،حتى يبرروا،ويقولوا لأنفسهم: نحن لسنا عاصين،فإن كان الله يريد أربعة أشهر حرم ، فنحن قد التزمنا بذلك،ولكن تشريع الله ليس في العدد فقط ولكن في المعدود أيضا." (٤)

٢٨-اثّاقلتم:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ (٣٨)

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤٠٤/١

(٢) مفاتيح الغيب:٤٧/١٥/٨

(٣) تفسير التحرير والتنوير:١٩٣/١٠

(٤) تفسير الشعراوي:٥٠٩٩/٨

أصل (أثّاقلتم):"(تثاقلتم) ومعناه تباطأتم" [1]وهو اضٌ اللفظ مضارع المعنى أي ّ :

يتثاقلون"[2]

وفي اختيار صيغة (اثاقلتم) سر بلاغي يخدم المعنى فـ"الثقل معناه: أن كتلة الشيء قد تكون زائدة على قدرة من يحمله لكن التثاقل معناه تكلّف المشقّةي ّ :لك قدرة على الفعل، ولكنك تتصنع أنّ لك غير قادر، فقوله تعالى:(اثّاقلتم)أي ّ :تكلّفتم الثقل بدون حقيقة، فأنتم عندكم قدرة على القتال، ولكنكم تتظاهرون بأنّ لا قدرة لكم"[3]

٢٩-خبالا، أوضعوا، سماعون:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾

أ-خبالا:

معنى قوله تعالى:﴿ إِلَّا خَبَالًا ﴾أي ّ "فساداً وشراً ،ولا يستلزم ذلك أن يكون لهم خبال حتى لو خرجوا زادوه لأنّ الزيادة باعتبار أعمّ العام الذي وقع منه الاستثناء، ولأجل هذا التوهم جُعل الاستثناء منقطعاً وليس كذلك لأنه لا يكون مفرغاً " [4]

ومعنى الآية أي ّ :"أنهم لن يكونوا إلا مصدراً لبلبلة الأفكار لوخرجوا معكم للقتال، فلا تستطيعون اتخاذ القرار السليم، فكأنهم عين عليكم، وضدكم وليسوا معكم، وقد يكونون من عوامل الهزيمة التي لم يُرِدْهَا الله لكم، وليسوا من عوامل النصر، فكأن عدم خروجهم هو دفع لشَرٍ كان سيقع لو أنهم خرجوا معكم وشاء الحق عدم خروجهم، حفاظاً على قوة المؤمنين

(١) مفاتيح الغيب:٤٨/١٥/٨

(٢) الدر المصون:٤٦٤/٣

(٣) تفسير الشعراوي:٥١٠٨/٨ ومابعدها

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤٠٧/١

وقدرتهم على الجهاد" (١)

ب-أوضعوا:

ومعنى قوله تعالى: (ولأوضعوا خلالكم) :" ولأسرعوا ركائبهم بينكم بالنميمة و التضريب أو الهزيمة و التخذيل من وضع البعير وضعاً إذا أسرع" (٢)

والمعنى أنهم كانوا " سيُحْدثون فُرْقة بين صفوف المؤمنين ويُفرِّقونهم، وسيتغلغلون بينهم للإفساد؛ لأن الخلال هو الفُرْجة بين الشيئين أو الشخصين، فيدخل واحد منهم بين فريق من المؤمنين فيفسد، وآخر يفسد فريقاً آخر، وهكذا يمشون خلال المؤمنين ليفرقوا بينهم." (٣)

والإيضاع يعني: الإسراع بدرجة بين الإبطاء والسرعة، فيقال: (أوضعت الدابة) أي: مَشَتْ بخُطى غير بطيئة وغير سريعة في نفس الوقت، ولو نظرتَ إلى حالة هؤلاء المنافقين لو خرجوا مع المؤمنين للقتال، لرأيتهم وهم يزينون لهم الفساد، ويعملون على أن تصاب عقول المقاتلين بالخبل، ولوجدتَ أن هذا الأمر يتطلب آخر البطء وأول السرعة في الحركة، كانوا يحتاجون إلى البطء؛ لأنهم كانوا سيهمسون في آذان المؤمنين بتزيين الباطل وهذا يقتضى بُطئاً، ثم ينتقل الواحد منهم إلى مؤمن ثان ليقوم معه بنفس العمليّة، ولا بد أن يسرع إلى التواجد بجانب المؤمن الآخر فالحركة هنا تحتاج إلى بطء في الوسوسة؛ وسرعة في الانتقال من مؤمن لآخر،وهذا أدقُّ وصف ينطبق على ما كان سيحدث" (٤)

ج- سمّاعون لهم:

معنى قوله تعالى:(وفيكم سماعون لهم) أي فيكم ضَعَفَة يسمعون قولهم ويطيعونهم أو

---

(١) تفسير الشعراوي: ٥١٦١/٩

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٤٠٧/١

(٣) تفسير الشعراوي: ٥١٦٢/٩

(٤) السابق: ٥١٦٣/٩ ومابعدها

نمامون يسمعون حديثكم للنقل إليهم"[١]

و"مفعول سماعون محذوف، واللام في(لهم) للتعليل، وأعتبر فعلا خاصا بمتعلقه لقيام القرينة عليه، وتقدير الفعل الخاص عند القرينة أيد من تقدير الفعل العام، وأما في الوجه الأول، فاللام لتقوية العمل، كما أشار إليه المصنف[٢] بقوله:(يسمعون قولهم)ولم يشر إلى المبالغة المستفادة من الصيغة بحسب الظاهر"[٣]

ومجيء لفظة(سمّاعون) في السياق تعني:أنّ الصف الإيماني لن يكون في مَنَعة مما كان سيفعله هؤلاء المنافقون، فصحيح أنهم لم يخرجوا مع المؤمنين، ولكن هناك بين المؤمنين من كان يستمع لهم"[٤]

٣٠–ملجأ،مغارات،مُدّخلا،يَجْمحون

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَـٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾

قد يظن صاحب النظرة الأولى أن هذه الألفاظ : (ملجأ ، مغارات ، مدخلا) ألفاظ مترادفة في المعنى، لكنها في الحقيقة ليست كذلك،فكل كلمة من تلك الكلمات تبيّن شكلا خاصا للمهرب الذي يبحث عنه المنهزم من هؤلاء المنافقين.

أ–ملجأ:

معنى:(ملجأ) أي: "مكاناً يلتجئون إليه متحصنين به من رأس جبل أو قلعة أو جزيرة"[٥]" والملجأ: المَهْرب وقيل الحِرْز وهو مَفْعَل لجأ إليه يلجأ، أي: انحاز يقال: ألجأته إلى كذا

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:١/٤٠٧

(٢) يقصد البيضاوي

(٣) حاشية القونوي:٩/٢٤٤

(٤) تفسير الشعراوي:٩/٥١٦٥ ومابعدها

(٥) الكشاف:٣/٥٨

أي ّ :اضطرته إليه فالتجأ إليه.والملجأ يَصْلُح للمصدر والزمان والمكان، والظاهر منها هنا المكان" (١)

ب-مغارات:

المغارات جمع مغارة وهي على وزن (مَفْعَلة) مأخوذة من "غار يغور،فهي كالغار في المعنى وقيل: المغارة السِّرْب في الأرض كنفق اليربوع.والغار النَّقْبُ في الجبل" (٢)

قال البيضاوي في اشتقاق لفظ(مغارات) أي:"غيراناً "(٣) وهي من" غار يغير"(٤) ويجوز أن تكون"مُغَارات من أغار يغير"(٥)

قال الشهاب:" جمع مغارة بمعنى: الغار،ومنهم من فرق بينهما بأنّ الغار في الجبل والمغارة في الأرض"(٦)

جـ-مُدَّخلا:

قيل: أنه (مُدَّخل) مُفْتَعَل)مشتق من :(الدخول)،"وهو بناء مبالغة في هذا المعنى، والأصل مُدْتَخَل،فأدغمت الدال في تاء الافتعال كادَّان من الدَّين"(٧) وقيل:"المدَّخَل: نفق يندسون فيه فيه وينجحرون"(٨)

قال صاحب الدّر المصون في السرّ في ترتيب مجيء هذه الصيغ على هذا النحو:"ذُكر أولاً الأمر الأعم وهو الملجأ من أي نوع كان، ثم ذكر الغَيرْان التي يخُتفى فيها في أعلى الأماكن وفي

---

(١) الدر المصون:٤٧٤/٣

(٢) السابق بصفحته

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤٠٨/١

(٤) إعراب القرآن للنحاس:٢٢١/٢

(٥) السابق بصفحته

(٦) عناية القاضي وكفاية الراضي:٥٨٣/٤

(٧) الدر المصون:٤٧٤/٣

(٨) الكشاف:٥٨/٣

الجبال، ثم الأماكن التي يخُ تفى فيها في الأماكن السافلة وهي السُّروب التي عبرَّ عنها بالمُ دَّخل." (١)

د-يجمحون

(يجمحون أي : "يسرعون إسراعاً لا يردهم شيء كالفرس الجموح."(٢)

" والآية هنا تعطينا صورة دقيقة لحالة المنافقين في أي معركة، فبمجرد بَدْءِ القتال تجدهم لا يتجهون إلى الحرب، ولا إلى منازلة العدو، ولا يطلبون الاستشهاد، ولكنهم في هذه اللحظة التي يبدأ فيها القتال يبحثون عن مكان آمن يهربون إليه، أو مغارة يختبئون فيها، أو مُدَّخل في الأرض ينحشرون فيه بصعوبة ليحميهم من القتال، فإذا انتهت المعركة خرجوا لينضموا إلى صفوف المسلمين، ذلك أنهم لا يؤمنون،فكيف يقاتلون في سبيل دين لا يؤمنون به؟ ولذلك كنت تجدهم في المدينة إذا نودي للجهاد فهم أول من يحاول الهروب ويذهبون للقاء النبي

-صلى الله عليه وسلم -طالبين التخلف عن المعركة"(٣)

٣١-يلمزك:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾

قال البيضاوي:"(ومنهم من يلمزك): يعيبك"(٤)"وأصله الإِ شارة بالعين ونحوها"(٥)

ظاهره أنه مطلق العيب كالهمز،ومنهم من فرق بينهما: بأن اللمز في الوجه، والهمز في

---

(١) الدر المصون:٤٧٤/٣

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤٠٨/١

(٣) تفسير الشعراوي:٥٢٠٩/٩

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٤٠٩/١

(٥) الدر المصون:٤٧٦/٣

الغيب وقد عُكِس أيضا، وأصل معناه الدفع"[1]

٢٢ـ المُعَذّرون:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ ﴾

قُرئ قوله تعالى: (المعذّرون) بوجوه كثيرة، فمنها قراءة الجمهور بفَتْح العين وتشديد الذال، وهذه القراءة تحتمل وجهين: أن يكون وزنه فَعَّل مضعّفاً، ومعنى التضعيف فيه التكلف والمعنى: أنه تَوهَم أنّ له عُذْراً، ولا عُذْر له. والثاني: أن يكون وزنه افتعل والأصل اعتذَر فأُدْغمت التاءُ في الذال بأنْ قُلبت تاءُ الافتعال ذالاً، ونُقِلت حركتها إلى الساكن قبلها وهو العين"[2]

و (المعذّرون) من عذر في الأمر، إذا قصر فيه وتوانى ولم يجدّ: وحقيقته أنه يوهم أن له عذراً فيما يفعل ولا عذر له." [3]

ويؤيد هذا القول ماذُكر عن ابن عباس ــ رضي الله عنه ــ أنه كان يقرأ:

" (المعذِّرون) ويقول: لعن الله المعذِّرين. يريد: لعن الله المقصِّرين من المنافقين وغيرهم. والمعْذرون: الذين يأتون بالعذر الصحيح، فبان من هذا الكلام أن لهم عذراً على قراءة من خفف، وهل يثبت لهم عذر على قراءة من شدد؟ فيه قولان:

قال المفسرون: جاء هؤلاء ليؤذَن لهم في التخلُّف عن تبوك، فأذن لهم رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ، وقعد آخرون من المنافقين بغير عذر وإظهار علّة، جرأةً على الله تعالى"[4]

---

(١) عناية القاضي وكفاية الراضي: ٥٨٤/٤

(٢) وقرئ" المُعْذِرون " بسكون العين وكسر الذال مخففة، من أعْذَر يُعْذِر كأكرم يكرم"

كما قُرئ المُعَّذِّرون بتشديد العين والذال مِنْ تعذَّر بمعنى اعتذر. الدر المصون: ٤٩٠/٣

(٣) الكشاف: ٨٠/٣

(٤) زاد المسير: ٦٠٠

إنّ مجيء هذه الصيغة (المعذِّرون) من لطائف القرآن الكريم لتشمل كلاً من: الذين صدقوا في العذر والذين لم يصدقوا فيه.

٣٣- مَغْرَماً:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ ﴾

مَغْرَماً: "غرامة وخسراناً، والغرامة: ما ينفقه الرجل وليس يلزمه لأنه لا ينفق إلاّ تُقية من المسلمين ورياء، لا لوجه الله – عزّ وجلّ – وابتغاء المثوبة عنده"[1] وهو مشتق "من الغَرام وهو الهلاك لأنه سيئةٌ ومنه"[2] "فعدوا ما أنفقوه مغرما واحدا في مقابل الجمع (قربات)[3] في نفقة المؤمنين وذلك إشارة إلى ضآلة ما أنفقوه، وقلّته ولو كانت نفقاتهم كثيرة لاتخذوها مغارم لا مغرماً واحدا"[4]

٣٤- مُرْجَوْن:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾

قُرئت مرجون (مُرْجؤون)[5] بهمزة مضمومة بعدها واو ساكنة وقُرِئت: (مُرْجَوْن) دون تلك الهمزة.

وهما لغتان يقال: أرجأته وأرجيته كأعطيته، يحتمل أن يكونا أصلين بنفسيهما، وأن تكونَ

---

(١) الكشاف: ٨٣/٣

(٢) الدر المصون: ٤٧٤/٣

(٣) في الآية التي تليها (٩٩)

(٤) يُنظر: الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ: ١٣١

(٥) قراءة ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو بكر عن عاصم

الياءُ بدلاً من الهمزةِ لأنه قد كثر تحقيقُها كثيراً كقَرَأْتُ وقَرَيْتُ، وتوضَّأْتُ وتوضَّيْتُ"(١)

و" (مرجون) و (مرجؤن) من أرجيته، وأرجأته: إذا أخرته."(٢)

و"(مرجون) أي مؤخرون بين الرجاء والخوف (لأمر الله) أي لما يأمر به فيهم الملك الأعظم الذي له الأمر كله لا يدرون أيعذبون أم يرحمون"(٣)

أفاد اختيار هذه اللفظة:"أن الحكم فيهم لم يظهر بعد؛ لأن الله يريد أن يبين للناس أمراً وخاصَّةً أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ينشئ في الدولة الإسلامية سجناً يُعزَل فيه المجرم عن غيره عقابا له.

وهذا لحكمة أرادها الله ـ عز وجل ـ وهو زيادة في التنكيل به فالنكال الحقيقي أن تدع المجرم طليقاً، وتسجن المجتمع عنه"(٤).

٣٥ شفا جُرُفٍ هارٍ :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾

أ-شفا: "الشفا هو: الشفير، وشفا الشيء حرفه، ومنه يقال: (أشفى على كذا) إذا دنا منه" (٥)

ب-جرف: (الجرف) هو: "طين واه مشرف على السقوط يأتي بعد السيول" (٦)

---

(١) الدر المصون:٣/٥٠١

(٢) الكشاف:٣/٩٠

(٣) نظم الدرر:٣/٣٨٤

(٤) تفسير الشعراوي:٩/٥٤٨٤

(٥) يُنظر:مفاتيح الغيب:٨/١٥/١٥٦

(٦) السابق بصفحته

قُرئت (جُرْف)(1) بسكون الراء وقرئت بضمها فقيل: لغتان. وقيل: الساكن فرعٌ على المضموم نحو: عُنْق في عُنُق وطُنْب في طُنُب، وقيل بالعكس كعُسْر ويُسُر"(2)

والجُرُف "البئر التي لم تُطْوَ، وقيل: هو ما يجرُفه السَّيل من الأودية، وقيل: هو المكان الذي يأكله الماء فيجرُفه أي يَذْهب به "(3)

جـ-هار :

"(هَارٍ) من الهور وهو مصدر هار الجرف يهور، إذا انصدع من خلفه، وهو ثابت بعد في مكانه، وهو جرف هار هائر، فإذا سقط فقد انهار وتهور." (4)

"(هَارٍ) نعتٌ لجُرُفٍ، وفيه ثلاثة أقوال، أحدها وهو المشهور. أنه مقلوبٌ بتقديمِ لامه.

على عينه، وذلك أنَّ أصلَه هاوِرٌ أو هايِرٌ بالواو والياء لأنه سُمِع فيه الحرفان. قالوا: هار يَهُور فانْهارَ، وهار يَهِير وتَهَيَّر البناء وتَهَيَّرَ، فقُدِّمت اللام وهي الراء على العين. وهي الواو أو الياء. فصار كغازٍ ورامٍ، فأُعِلَّ بالنقص كإعلالهما فوزنه بعد القلب (فالِع) ثم تَزِنُه بعد الحذف بـ(فال)

الثاني: أنه حُذِفَتْ عينُه اعتباطاً أي لغير موجَبٍ، وعلى هذا فيجري بوجوه الإعراب على لامه، فيُقال: هذا هارٌ ورأيت هاراً ومررت بهارٍ، ووزنُه أيضاً (فال).

والثالث: أنه لا قلبَ فيه ولا حذف وأنَّ أصله هَوِر أو هَيِر بزنة كَتِف، فتحرك حرف العلة وانفتح ما قبله فقُلِب ألفاً فصار مثل قولهم: كبشٌ صافٌ، أي: صَوِف أو يومٌ راحٌ، أي: رَوِح. وعلى هذا فتحرَّك بوجوه الإعراب أيضاً كالذي قبله كما تقول: هذا باب ورأيت باباً ومررت ببابٍ. وهذا

---

(1) قراءة حمزة وابن عامر وأبو بكر عن عاصم.انظر:مفاتيح الغيب:١٥٦/١٥/٨

(2) الدر المصون:٥٠٥/٣

(3) السابق بصفحته

(4) مفاتيح الغيب:١٥٦/١٥/٨

أعدل الوجوه لاستراحته من ادِّعاء القلب والحذف اللذين هما على خلاف الأصل، لولا أنه غير مشهور عند أهل التصريف. ومعنى" هار" أي ساقط متداعٍ مُنْهار"[١]

و"هار" اسم: مشتق من هَارَ البناءُ إذا تصدع، قيل: هو أصله هَوَر بفتحتين كما قالوا خَلَف في خالف، وليست الألف التي بعد الهاء ألف فاعل بل هي عين الكلمة منقلبة عن الواو؛ لأن الواو متحركة وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً، وقيل هو اسم فاعل من هار البناء وأصل وزنه هاور، فوقع فيه قلب بين عينه ولامه تخفيفاً. وقد وقع ذلك في ألفاظ كثيرة من اللغة مثل قولهم: شاكي السلاح، أصله شائك، ورجل صاتٌ عالي الصوت أصله صائتٌ. ويدل على ذلك قولهم: انهار ولم يقولوا انهوى، رمبالغةً في هَار"[٢].

والسر في مجيء هذه الصيغة كما ذكر أحدهم: "شفا جُرُف" أي طرف سينهار؛ لأنه" هار" أي غير متماسك، فتكون الصورة أن الماء ينحر في الساحل، فيصنع شفة لها سطح وليس لها قاعدة تحتها، وهذه اسمها" جُرُف"ونحن نعلم أنهم كانوا حين يحفرون الآبار ليأخذوا منها الماء كانوا يضعون في جدار البئر أحجاراً تمنع ردمه؛ لأن البئر إن لم يكن له جدار من حجارة قد ينهار بفعل سقوط الرمال من على فوهته، وهكذا تمنع الأحجار أي جزء متآكل من سطح البئر من الوقوع فيه، والجزء المتآكل هو جرف هَارٍ، وهكذا كان مسجد الضرار، ينهار بمن فيه في نار جهنم"[٣]

نستخلص من كلّ ماسبق أن اللفظة القرآنية، تأتي على صيغة متميزة، تنبثق من خلالها المعاني التي تعبر عن المعنى المراد خير تعبير.

---

(١) الدر المصون:٣/٥٠٥

(٢) تفسير التحرير والتنوير:٣٥/١١

(٣) تفسير الشعراوي:٥٥٠٣/٩ ومابعدها

المبحث الثاني: التعريف والتنكير

وقف البلاغيون عند تعريف المسند إليه، وجرت العادة أن يتقدم التعريف على التنكير قال السعد في ذلك :"وقدم في باب المسند إليه التعريف على التنكير؛لأنّ الأصل في المسند إليه التعريف وفي المسند بالعكس فتعريفه؛ لإفادة المخاطب أتم فائدة وذلك؛لأنّ الغرض من الإخبار، هي إفادة المخاطب الحكم أو لازمه وهو أيضاً حكم؛ لأن المتكلم كما يحكم في الأوّل بوقوع النسبة بين الطرفين يحكم هنا بأنّه عالم بوقوع النسبة، ولاشك لأنّ احتمال تحقق الحكم متى كان أبعد :كانت الفائدة في الإعلام به أقوي، وكلما ازداد المسند والمسند إليه تخصيصا ازداد الحكم بعدا" [1]

وأسرار التعريف كثيرة وقد تناولها النّحاة والبلاغيون واجتهدوا في شرحها والتطبيق عليها،كما أنهّم في التنكير والتعريف وقفوا أيضا عند غير المسند إليه قال صاحب التلخيص:

"ومن تنكير غيره للإفراد أو النوعية نحو:﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ مِّن مَّآءٖ ٤٥﴾[2] و للتعظيم نحو: ﴿فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ٢٧٩﴾[3] وللتحقير نحو:[4]﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنّٗا ٣٢﴾ "[5]

أنواع تعريف المسند إليه:

أنواعه مبسوطة في كتب البلاغة كالتلخيص والإيضاح وغيرهما، وهي:

١- **الضمير**:إذا كان المقام مقام التكلم، ومقام الغيبة، وهو في القرآن كثير.

٢- **العَلَمية**:لإحضاره بعينه في ذهن السامع ابتداء باسم مختص، وإما للكناية، وإما لإيهام التلذذ أو التبرك به.

---

(١) المطول:٧٠

(٢) النور(٤٥)

(٣) البقرة(٢٧٩)

(٤) الجاثية(٣٢)

(٥) التلخيص:٦٩

٣- **الموصولية:**وتكون إما لعدم علم المخاطب بالأحوال المختص به سوى الصلة، وإما لاستهجان التصريح بالاسم، وإما لزيادة التقرير، وإما للتفخيم، وإما لتنبيه المخاطب على خطأ، وإما للإيماء إلى وجه بناء الخبر

٤- **الإشارة:** وتكون إما لتمييزه أكمل تمييز، وإما لبيان حاله في القرب والبعد أو التوسط، وإما للتنبيه وإما للاشارة إلى معهود بينك وبين المخاطب.

٥- **المعرّف باللام:**قد يأتي لواحد باعتبار عهديته في الذهن لمطابقته الحقيقة، أو الاستغراق.

٦- **الإضافة:**وتكون إما لأنه ليس للمتكلم احضاره في ذهن السامع بطريق أخصر، وإما لإغنائها عن تفصيل متعذّر أو مرجوح لجهة،إوا لتضمّنها تعظيما لشأن المضاف إليه. (١)

ومع أن أكثر البلاغيين كان وقوفهم عند أسرار التعبير بتعريف المسند إليه بأحد هذه المعارف،إلا أن المفسرين، وبعض البلاغيين، لم يقصروا أسرار التعريف، والتنكير، على المسند إليه، بل وقفوا أيضا عند غيرهما، وقد آثرت في هذا المبحث طريقة المفسرين، فأشرت إلى بعض ماذكروه في غير المسند والمسند إليه.

صور من التعريف والتنكير في السورة:

١-قَالَ تَعَالَىٰ:﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١﴾

اختلف النحاة في إعراب لفظة (براءة)، فمنهم من قال: بأنها خبر لمبتدأ محذوف والتقدير:(هذه براءة)، ومنهم من قال بأنها مبتدأ خبره:(إلى الذين عاهدتم من المشركين)

(١) الإيضاح: ١٠/٢/١ ومابعدها

وهذا الرأي أورده البيضاوي في كتابة متأثرا فيه بصاحب الكشاف [1] فقال:

" ويجوز أن تكون (بَرَاءةٌ) مبتدأ لتخصصها بصفتها [2] والخبر (إِلَى ٱلَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ)"[3] .

وضعّفه القونوي بقوله:"وإنما زيفه؛لأن المخاطب لم يعهد عنده براءة صادرة من الله تعالى حتى يخبر عنها بأنها واصلة إلى المشركين، فالأولى كونها خبرا" [4]

وعلى هذا تكون (براءةٌ)خبراً لمبتدأ محذوف تقديره(هذه)، إلا أن ابن عاشور،وهو يعلل للسر البلاغي في تنكير هذه اللفظة تَبعَ ما أشار إليه البيضاوي، الذي ربما كان فيه متأثراً بالنحاس[5] فقال:

"وتنكير (براءة) تنكير التنويع، وهي مبتدأ، وسوغ الابتداء به ما في التنكير من معنى التنويع للإشارة إلى أنّ هذا النوع كاف في فهم المقصود"[6]

فلفظ براءة جاء مفيداً لمعنى فسخ العهد، ونبذه لئلا يأخذ المعاهَدون حِذرهم. [7]

والمراد بـ(المشركين) في الآية الناكثون، فهو لفظ عام خُصَّ منه البعض، والمخصوص قوله تعالى:(إلا الذين عهدتم من المشركين)[8]

---

(١) الكشاف:٣/٧

(٢) صفتها قوله تعالى:(من الله ورسوله)

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ١/٣٩٤

(٤) حاشية القونوي:٩/١٤٣.

(٥) إعراب القرآن، للنحاس:١/٢٠١

(٦) تفسير تحرير التنوير:١٠/١٢٢

(٧) يُنظر:السابق:١٠/١٠٣

(٨) يُنظر:حاشية القونوي٩/١٤٥

وفي قوله تعالى:

٢ -﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخۡزِي ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢﴾

المقصود بـ(الأشهر) في قوله تعالى:(أربعة أشهر)،هي: الأشهر الحرم،والمعنى كما قال الزمخشري: "وأمروا أن يسيحوا في الأرض أربعة أشهر آمنين أين شاؤوا لا يتعرض لهم، وهي الأشهر الحرم في قوله: ﴿ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ﴾ وذلك لصيانة الأشهر الحرم من القتل والقتال فيها" (١)

غير أن بعض المفسرين لايرون ذلك، وسيرد الرد على هذا القول عند التطرق إلى الآية الخامسة والتي سأجعلها عقِب هذه الآية مباشرة لارتباطهما.

قال الرازي:" هذا تأجيل من الله للمشركين أربعة أشهر، فمن كانت مدة عهده أكثر من أربعة أشهر حطه إلى الأربعة، ومن كانت مدته أقل من أربعة أشهر رفعه إلى الأربعة"(٢)

نستشف من هذا القول أنّ السر في تنكير لفظة(أربعة) وتمييزها بلفظة (أشهر) التي جاءت نكرة هي الأخرى؛ لأن الهدف هنا هوضبط المدة، بدليل تعريفها فيما بعد في الآية الخامسة. في قوله تعالى:

٣ - ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥ ﴾

(الأشهر الحرم)المقصودة هنا هي:"التي أبيح فيها للناكثين أن يسيحوا" (٣)

---

(١) الكشاف:٣/٧

(٢) مفاتيح الغيب:٨/١٥/١٧٥

(٣) الكشاف"٣/١٣ المقصود بها ماورد في آية(٢)

وقيل هي:" رجب، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، وهذا مخل بالنظم مخالف للإِجماع فإنه يقتضي بقاء حرمة الأشهر الحرم إذ ليس فيما نزل بعد ما ينسخها"(١)

و ليس في النظم تعيين الأشهر، وتخصيصها برجب،وذي القعدة، وذي الحجة، والمحرم قال القونوي:" الظاهر أن يراد بالأشهر الحرم هنا أربعة أشهر مذكورة في(فسيحوا في الأرض أربعة أشهر) التي نزلت في أولها البراءة وهي: شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم ،فلذا وصف المصنف الأشهر الحرم في قوله تعالى (فإذا انسلخ الأشهر الحرم) بقوله :"الذي أبيح للناكثين أن يسيحوا ؛لأن ذلك هو مقتضى نظم القرآن فاللام في الأشهر الحرم للعهد ،والمعهود هو الأشهر الأربعة السابقة لا الأشهر الحرم المعروفة فيما بين أهل الإجماع وهي رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم؛ فإن ذلك مع إخلاله بالنظم مخالف للإجماع؛ لأن الإجماع على أن حرمة القتال في الأشهر الحرم المشهورة بينهم"(٢)

و يجوز أن تكون (الألف، واللام) للعهد والمرادُ بهذه الأشهرِ الأشهرُ المتقدمة في قوله تعالى: (فسيحوا في الأرض أربعة أشهر)قال السمين الحلبي: "العربُ إذا ذكرت نكرةً، ثم أرادت ذِكْرَها ثانياً أتت بمضمرِه أو بلفظه معرَّفاً ويجوز أن يُرادَ بها غيرُ الأشهرِ المتقدمة فلا تكون أل للعهد، والوجهان مقولان في التفسير" (٣)

والحقيقة أنّ قولَه ويجوز" أن يُرادَ بها غيرُ الأشهرِ المتقدمة فلا تكون أل للعهد" مردود عليه بما ذكره الزمخشري بقوله:" (الأشهر الحرم) التي أبيح فيها للناكثين أن يسيحوا" (٤) .

وبما قاله أبو السعود:"والمعنى إذا انقضى (الأشهر الحرم)وانفصلت عما كانت مشتملةً عليه

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٣٩٥/١

(٢) حاشية القونوي:١٥٥/٩

(٣) الدر المصون:٤٤٣/٣

(٤) الكشاف:١٣/٣

ساترةً له انفصالَ الجلدِ عن الشاة"[1]

وهما يؤكدان أن المراد بالأشهر هنا الأشهر التي جاءت نكرة و المذكورة في قوله تعالى :

﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ ۙ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ ﴿٢﴾﴾

كما جاءت لفظة:(مرصد) في الآية نكرة، والمقصود بهافي الآية:" ممر ّ و مجتاز ترصدونهم به"[2]

وكُل ّ)مستعملة في تعميم المراصد المظنون مرورهم بها، تحذيراً للمسلمين من إضاعتهم الحراسة في المراصد فيأتيهم العدو ّ منها، أو من التفريط في بعض ممار ّ العدو ّ فينطلق الأعداء آمنين فيستخفّوا بالمسلمين ويتسامع جماعات المشركين أنّ المسلمين ليسوا بذوي بأس ولا يقظة فيؤول معنى (كل)هنا إلى معنى الكثرة للتنبيه على الاجتهاد في استقصاءا لمراصد"[3].

أضيفت (مرصد) إلى (كل) ،فأفادت المعرفة هنا تعميم المراصد المظنون مرورهم بها، فهي مراصد يمكن للمسلمين تخمينها بحسب معرفتهم لتلك الأماكن.

وفي قوله تعالى:

٤- ﴿ وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾

(أذان) اسم مصدر نكرة ،و لايجوز الابتداء بالنكرة لذا قال البيضاوي:"ورفعه بكَرفعِ(اءةٌ) على الوجهين"[4]

(١) إرشاد العقل السليم:٤٣/٣

(٢) الكشاف:١٤/٣

(٣) تفسير التحرير والتنوير:١١٥/١٠

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٣٩٤/١

أذان أي: إعلام" وإنما قيل: (إلى الناس) لأن الأذان غير مختص بقوم دون آخرين كالبراءة الخاصة بالناكثين بل هو شامل لعامة الكفرة وللمؤمنين أيضاً "[1]

وجاء قوله تعالى: (يوم الحج)، معرفا بالإضافة، لأن المقصود (يوم عرفة)، فكل أعمال الحج تكون في ذلك اليوم.

فقد وجّه البيضاوي التعريف بقوله: "قيل يوم عرفة لقوله _صلى الله عليه وسلم _" الحج عرفة ووُصف الحج بالأكبر لأن العمرة تسمى الحج الأصغر، أو لأنّ المراد بالحج ما يقع في ذلك اليوم من أعماله فإنه أكبر من باقي الأعمال." [2]

﴿فَإِن تُبۡتُمۡ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ ﴿٣﴾﴾

(فهو خير لكم)، جواب الشرط، جملة اسمية، المسند فيها (هو)، يقول البيضاوي: (فهو) فالتوب (خير لكم)" [3]

وقوله تعالى: "(فإن تبتم) أي عن الكفر والغدر (فهو) أي ذلك الأمر العظيم وهو المتاب (خير لكم) أي لأنكم تفوزون في الوفاء بالأمان في الدنيا، وفي الإسلام بالسلامة في الدارين." [4]

من خلال ما تقدم يظهر لنا_والله أعلم_ السر في تعريف الأمر العظيم وهو التوبة بالضمير (هو)، وذلك لتعظيمه، في حين جاءت (خير) نكرة لتفيد الشمول في الدارين، وهذا ما يمكن أخذه من قوله: " أي لأنكم تفوزون في الوفاء بالأمان في الدنيا، وفي الإسلام بالسلامة في الدارين

(١) إرشاد العقل السليم: ٤١/٣

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٣٩٥/١

(٣) السابق بصفحته

(٤) نظم الدرر: ٢٧٠/٣

وفي قوله تعالى:

٥- ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾﴾

جاء التعريف بالاسم الموصول في قوله تعالى:(إلا الذين عاهدتم من المشركين)ليعم كل من تحققت فيه الصلة، قال ابن عاشور:"والموصول هنا يعم كل من تحققت فيه الصلة".[١]

كما جاءت لفظة:(شيئاً) نكرة:" للمبالغة في نفي الانتقاص؛لأن كلمة (شيء)نكرة عامة فإذا وقعت في سياق النفي أفادت انتفاء كل ما يصدق عليه أنه موجود"[٢]

وفي قوله تعالى:

٦- ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾

وردت لفظة(أحد) نكرة،والمقصود بها ما قاله المفسرون:"وإن أحد من المشركين الذين أمرتك بقتلهم استأمنك يبتغي أن يسمع القرآن،وينظر فيما أُمر به ونُهي عنه، فأَجِرْه، ثم أبلغه الموضع الذي يأمن فيه"[٣]

وقد"جيء بلفظ(أحد)من المشركين دون لفظ (مشرك) للتنصيص على عموم الجنس؛لأن النكرة في سياق الشرط مثلها في سياق النفي إذا لم تُبنَ على الفتح احتملت إرادة عموم الجنس واحتملت

(١) تفسير التحرير والتنوير: ٢١٣/١٠

(٢) السابق: ١١٣/١٠

(٣) زاد المسير: ٥٦٩

بعض الأفراد، فكان ذكر (أحد) في سياق الشرط تنصيصاً على العموم" [١]

فجاءت"أحدٌ "نكرة لتدل على عموم الجنس، وساغ الابتداء بالنكرة؛ لأن المراد النوع"[٢]

أي ْ أيٍّ مشرك كان مهما كانت صفته وسنه.

وجاء تعريف (المشركين) بـ(أل) العهد في قوله تعالى:(وإن أحد من المشركين استجارتك)؛ لأنه سبق ذكرهم في قوله تعال:(فاقتلوا المشركين)[٣]"

كذلك جاء التعريف باسم الإشارة في قوله تعالى:(ذلك بأنهم قوم لا يعلمون)، فالمراد بذلك أي:" الأمر، يعني الأمر بالإجارة في قوله: (ْ ه ُ)." [٤]

ومن ذلك أيضا قوله تعالى:

٧- ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٧﴾

حيث جاءت لفظة(عهد) نكرة ولعل السبب:" تعجب من أن يكون للمشركين شيء اسمه عهد؛ لأنهم لا يعرفون إلاَّ نقض العهد، ولا يتمسكون بالعهود ولا يحترمونها، إذن يحق التعجب من أن يكون لهم عهد بينما في الحقيقة لا عهد لهم، وهذا التعجب للاستهزاء والإنكار"[٥]

أما التعريف بالاسم الموصول في قوله تعالى"(إلا الذين عاهدوهم عند المسجد الحرام) و هم بنو ضمرة، وبنو جذيمة بن الدّيل، من كنانة؛ وبنو بكر من كنانة جاءللعهد، وهم أخصّ من

(١) تفسير التحرير والتنوير: ١١٧/١٠ ومابعدها

(٢) السابق بصفحته

(٣) التوبة:(٥)

(٤) الكشاف:١٥/٣

(٥) تفسير الشعراوي:٤٨٩٨/٨

الذين مضى فيهم قوله: إِلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً)[1] والمقصود من تخصيصهم بالذكر: التنويه بخصلة وفائهم بما عاهدوا عليه ويتعيّن أن يكون هؤلاء عاهدوا النبي _صلى الله عليه وسلم_ في عمرة القضاء عند المسجد الحرام، ودخلوا في الصلح الذي عقده مع قريش بخصوصهم، زيادة على دخولهم في الصلح الأعمّ، ولم ينقضوا عهدهم، ولا ظاهروا عدوّا على المسلمين، إلى وقت نزول براءة." [2]

وفي قوله تعالى:

٨- ﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨﴾ اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَن سَبِيلِهِ ۚ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ ﴾

قال البيضاوي عن هاتين الآيتين:

جاء قوله تعالى:(لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة)" تفسير لا تكرير[3]، وقيل الأول عام في الناقضين، وهذا خاص بالذين اشتروا وهم اليهود، أو الأعراب الذين جمعهم أبو سفيان وأطعمهم." [4]

وقال الشهاب شارحا:"ولا تكرار لأن الأوّل على الخصوص لقوله فيكم والثاني على العموم لقوله في مؤمن لشموله لمن سيؤمن من بعد نزول الآية"[5]

وعلى هذا يكون تنكير كلٍّ من(إلّا)،(ذِمة) في الآية الأولى على رأي البيضاوي لإفادة العموم، وفي الثانية لإفادة الخصوص، وعلى رأي الشهاب: في الأولى على الخصوص بدليل

---

(١) التوبة(٤)

(٢) تفسير التحرير والتنوير:١٠/١٢٢

(٣) المقصود بهذا القول ماجاء في آية(١٠) ، وهو إعادة جملة:(لايرقبون في مؤمن إلا ولاذمة) باللفظ نفسه .

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:١/٣٩٧

(٥) عناية القاضي وكفاية الراضي:٤/٥٣٠

فقوله:(فيكم) أي: خاص بالمؤمنين في تلك المدة، والثاني على العموم ليشمل عامة المؤمنين.
وفي قوله تعالى:

٩- ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾﴾

جاء التعريف باسم الإشارة(أولئك)والمقصود الموصوفون بما عُدّد من الصفات السيئة .[١]

والقَصر عن طريق تعريف الطرفين: إمّا أن يكون للمبالغة في اعتدائهم؛ لأنّه اعتداء عظيم باطني على قوم حالفوهم وعاهدوهم، ولم يُلحقوا بهم ضرّاً مع تمكّنهم منهم، وإمّا أن يكون قصر قلب، أي: هم المعتدون لا أنتم؛ لأنهّم بَدَأوكم بنقض العهد[٢]

وفي قوله تعالى:

١٠- ﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾

نُصب (أول مرة) على المصدرية، وإضافة (أوّل) إلى (مرة) من إضافة الصفة إلى الموصوف والتقدير: مرة أولى فمعنى: (بدءوكم أول مرة) أي: بدأوكم أوّل بدء بالنكث، ومرّة اسم مبهم للوحدة[٣]

وأضاف ابن عاشور على كلامه السابق قوله:"و(أوّل)اسم تفضيل جاء بصيغة التذكير، وإن كان موصوفه مؤنّثاً لفظاً ؛لأن اسم التفضيل إذا أضيف إلى نكرة يلازم الإفراد والتذكير بدلالة المضاف إليه ويقال: ثاني مرة وثالث مرّة."[٤]

وقد جاء المفعول(قوماً) نكرة موصوفا أي قوما حالهم نكث الأيمان، وقصد إخراج الرسول

(١) يُنظر:إرشاد العقل السليم:٤٧/٣
(٢) يُنظر:تفسير التحرير والتنوير:١٢٧/١٠
(٣) يُنظر:السابق:١٣٤/١٠
(٤) السابق بصفحته

- صلى الله عليه وسلم- والبدء في المعاداة"[1]

وفي قوله تعالى:

١١-﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنۡهُمۡ فَٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِلۡخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدٗا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّاۖ إِنَّكُمۡ رَضِيتُم بِٱلۡقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٖ فَٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡخَٰلِفِينَ ٨٣ ﴾

انتصب (أول مرّة) هنا على الظرفيّة؛ لأنّ المرّة هنا لمّا كانت في زمن معروف لهم وهو زمن الخروج إلى تبوك ضمنت معنى الزمان "[2]"وأفعل التفضيل إذا أضيف إلى نكرة اقتصر على الإفراد والتذكير ولو كان المضاف إليه غير مفرد ولا مذكر؛لأنّ في المضاف إليه دلالة على المقصود كافية"[3]

وفي قوله تعالى:

١٢-﴿قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ١٤ ﴾

جاء التعريف بالإضافة في قوله تعالى:(صدور قوم)فإضافة (صدور) إلى (قوم مؤمنين)،دون ضمير المخاطبين يدلّ على أنّ الذين يشفي الله صدورهم بنصر المؤمنين طائفةٌ من المؤمنين المخاطبين بالقتال، وهم أقوام كانت في قلوبهم إحن على بعض المشركين الذين آذوهم وأعانوا عليهم،ولكنّهم كانوا محافظين على عهد النبي_ صلى الله عليه وسلم_ فلا يستطيعون مجازاتهم على سوء صنيعهم، وكانوا يودّون أن يؤذَن لهم بقتالهم، فلمّا أمر الله بنقض عهود المشركين سُرّوا بذلك، وفرحوا، فهؤلاء فريق تغاير حالته حالة الفريق المخاطبين بالتحريض على القتال

(١) حاشية القونوي:١٧٣/٩

(٢) تفسير التحرير والتنوير:٢٨٣/١٠

(٣) السابق:٢٨٤/١٠

والتحذيرِ من التهاون فيه." [1].

وفي قوله تعالى:

١٣-﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ ﴾

فجملة:(أولئك حبطت أعمالهم)"ابتداء ذمهم، وجيء باسم الإشارة لأنهم قد تميزوا بوصف الشهادة على أنفسهم بالكفر"[2]

كذلك جاء التعريف بالإضافة في قوله تعالى:(مساجد الله):أي شيئا من المساجد أي إنها جمع معرف بالإضافة فهو من الجمع المحلى باللام عام حيث لا عهد وهنا كذلك ينعم ويدخل المسجد الحرام وهؤلاء أولياء ولا دخل في العموم لكونه واقعا في سياق النفي"[3]

وقوله تعالى:(وفي النار هم خالدون) أي:" عطف على حبط وخبر آخر لأولئك واختيرت الجملة الاسمية هنا لتدل على الدوام بخلاف حبط فإنه أمر غير قار"[4]

وفي قوله تعالى:

١٤-﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ ﴾

جاء في معنى الآية:"أي إنما تستقيم عمارتها لهؤلاء الجامعين للكمالات العلمية والعملية"[5]

---

(١) تفسير التحرير والتنوير ١٠/٢٣٤

(٢) السابق:١٠/٢٤١

(٣) حاشية القونوي: ٩/١٧٨

(٤) السابق:٩/١٧٩

(٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:١/٣٩٩

وقيل: جاء التعبير في قوله تعالى:(فعسى أولئك) باسم الإشارة:"للتنبيه على أنهّم استحقّوا هذا الأمل فيهم بسبب تلك الأعمال التي عُدّت لهم"[1]

ومن التعريف بالإضافة ما جاء في قوله تعالى:

١٥- ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾﴾

حيث أضيفت السقاية إلى الحاج ، الذي جاء معرفا بأل وتعريفه" تعريف الجنس"[2]

كما أضيفت (العمارة)إلى (المسجد الحرام)،فاكتسبت التعريف.

وفي قوله تعالى:

١٦- ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾

جاء المسند (الفائزون) معرفا بـ(أل) ليفيد القصر، وهو قصر (ادّعائي)[3] للمبالغة في عظم فوزهم حتّى إنّ فوز غيرهم بالنسبة إلى فوزهم يُعَدّ كالمعدوم.

والإتيان باسم الإشارة (أولئك) للتنبيه على أنهّم استحقوا الفوز؛ لأجل تلك الأوصاف التي ميزّتهم: وهي الإيمان والهجرة والجهاد بالأموال والأنفس[4]

---

(١) تفسير التحرير والتنوير:١٠/١٤٢

(٢) السابق:١٠/١٤٣

(٣) هذا نص عبارة ابن عاشور، لم أشأ التغيير فيها وإن كان لفظ (ادّعائي) في جانب القرآن الكريم لا يجوز من باب التأدب مع الله فيسمى:قصرا إضافياً .

(٤) يُنظر:تفسير التحرير والتنوير:١٠/١٤٨

وفي الكشاف:"جاءت هذه الجملة بتعريف الطرفين لتفيد التخصيص أي:"(أولئك هم الفائزون) لا أنتم والمختصون بالفوز دونكم"[1].

ومما يُرجح كفة كونه للاختصاص تصريح الألوسي بقوله:" (وأولئك) الموصوفون بما ذكر (هم الفائزون) أي: المختصون بالفوز العظيم أو بالفوز المطلق كأن فوز من عداهم ليس بفوز بالنسبة إلى فوزهم"[2]

وفي قوله تعالى:

١٧ -﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ (٢١)﴾

جاءت كلٌّ من(رحمة،رضوان،جنات،نعيم) نكرات وذلك لسرٍّ بلاغي وهو ما ذكره البيضاوي بقوله:"وتنكير المبشر به إشعار بأنه وراء التعيين والتعريف" [3]

وقيل: "التنكير في(برحمة، ورضوان، وجنات) للتعظيم، بقرينة المقام،وقرينة قوله تعالى:(منه) وقرينة كون تلك مبشرّاً بها" [4].

وقيل:أُريد به الجنس فلذا جُعل مفرد مع أنه ثلاثة"[5]

كذلك جاء تنكير(نعيم):"إشارة إلى كون المنافع خالية من المكدرات؛لأن النعيم مبالغة في النعمة، ولا معنى للمبالغة فيها إلا خلوها من المنغصات"[1]

---

(١) الكشاف:٢٥/٣

(٢) روح المعاني:٢٦٣/٩/٥

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٣٩٩/١

(٤) تفسير التحرير والتنوير:١٥٠/١٠

(٥) حاشية القونوي:١٨٤/٩

وفي قوله تعالى:

١٨- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾

جاء اسم الإشارة في قوله تعالى:(فأولئك هم الظالمون) مشيرا إلى المتولين" أي: أولئك المتولّون(هم الظالمون) بوضعهم الموالاةَ في غير موضعِها كأنّ ظلمَ غيرِهم كلا ظلمٍ عند ظلمِ هم" (٢) أي :كأن الظلم هذا مختص بهم دون غيرهم، وزاد ابن عاشور:

"وصيغة الحصر للمبالغة بمعنى أنّ ظلم غيرهم كلا ظلم بالنسبة لعظمة ظلمهم، والإتيان باسم الإشارة لزيادة تمييز هؤلاء أو هؤلاء، وللتنبيه على أنّ جدارتهم بالحكم المذكور بعد الإشارة كانت لأجل تلك الصفات أعني استحباب الكفر على الإيمان"(٣)

وفي قوله تعالى:

١٩- ﴿ لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾

جاء في معنى قوله تعالى:(مواطن كثيرة): " يعني مواطن الحرب وهي مواقفها"(٤)

بدليل (ويوم حنين)أي:" وموطن يوم حنين، ويجوز أن يقدر في أيام مواطن أو يفسر الموطن بالوقت"(٥) ذلك أنه لا يجوز عطف ظرف الزمان على ظرف المكان، فكان لابد من توحيد الظرفين.

---

(١) مفاتيح الغيب :١٥:/١٣.

(٢) إرشاد العقل السليم:٣/٥٤

(٣) تفسير التحرير والتنوير:١٠/١٥١

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:١/٤٠٠

(٥) السابق بصفحته.

والسر في تعريف(يوم حنين)، وتنكير(مواطن)هوأنّ الحقّ سبحانه قد نصرهم في مواطن الحرب أي مواقعها، مثل يوم بدر، ويوم الحديبية، ويوم بني النضير، ويوم الأحزاب، ويوم مكة وكل هذه كانت مواقع نصر من الله للمسلمين، ولكنه في هذه الآيةيختص يوما واحداً بالذكر بعد الكلام عن المواطن الكثيرة، فبعد أن تحدث إجمالاً عن المعارك الكثيرة يقول: (ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم) إذن:فكثرة عدد المؤمنين في يوم حنين كان ظرفاً خاصًّا، أما المواطن الأخرى مثل يوم بدر فقد كانوا قلة، ويوم فتح مكة كانوا كثرة، ولكنهم لم يعجبوا، وبذلك يكون يوم حنين له مزية، فهو يوم خاص بعد الحديث العام" (١)

ومن ظاهر هذا الكلاميتبين لنا السرُّ في تنكير(مواطن) وذلك لقصد التعميم، وتعريف(يوم حنين) للتخصيص، كما وضحه قوله:" وبذلك يكون يوم حنين له مزية، فهو يوم خاص بعد الحديث العام" (٢)

وفي قوله تعالى:

٢٠- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾

جاءت(نجس) في قوله تعالى: (إنما المشركون نجس)نكرة لتفيد المبالغة لأنهُم" لوا نفس النَّجَس"(٣)لخبث باطنهم أو؛ لأنه يجب أن يجتنبهم كما يجُتنب الأنجاس (٤)

"وإضافة (العام) إلى ضمير (هم) لمزيد اختصاصهم بحكم هائل في ذلك العام"(٥).

(١) تفسير الشعراوي:٨/٤٩٩٤

(٢) السابق بصفحته

(٣) الدر المصون:٣/٤٥٨

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:١/بتصرف

(٥) تفسير التحرير والتنوير:١٠/١٦٠

"ووصف (العام) باسم الإشارة لزيادة تمييزه وبيانه"[١].

وفي قوله تعالى:

٢١- ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

أشير باسم الإشارة (ذلك) "إلى القول المستفاد من (قالت اليهود) (وقالت النصارى)"[٢]

" إشارةٌ إلى ما صدر عنهم من العظيمتين،وما فيه معنى البُعد للدِلالة على بُعد درجة المشار إليه في الشناعة والفظاعة"[٣]

قال ابن عاشور:

"والمقصود من الإشارة تشهير القول، وتمييزه، زيادة في تشنيعه عند المسلمين"[٤]

وفي قوله تعالى:

٢٢- ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾

جاءت هذه الآية كالبيان لقوله: (ويأبى الله إلا أن يتم نوره) [٥].

ولذا اختير ضمير الفصل، واللام في(الدِّينِ) للجنس أي: "على سائر الأديان فينسخها،أو

---

(١) تفسير التحرير والتنوير: ١٦٠/١٠

(٢) السابق: ١٧٣/١٠

(٣) إرشاد العقل السليم: ٥٩/٣

(٤) تفسير تحرير التنوير: ١٦٨/١٠

(٥) آية (٣٢)

على أهلها فيخذلهم" [١]

فالمراد من إتمام نوره:"إظهاره،وتفسير الجنس بسائر الأديان إشارة إلى أن المراد به الاستغراق لما عداه، وهو على إرجاع الضمير للدين" [٢]، وهذا هو المقصود بكون هذه الجملة جاءت للبيان.

"واجتلاب اسم الموصول هنالإيماء إلى أنّ مضمون الصلة علّة للجملة التي بُنيت عليها جملة:(ويأبى الله إلا أن يتم نوره) [٣]ولذلك كرر(ولو كره المشركون). [٤]

و في قوله تعالى:

٢٣ -﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾﴾

يجوز أن يكون المراد بقوله تعالى:(والذين يكنزون الذهب والفضة)"الكثير من الأحبار والرهبان فيكون في ذلكمبالغة في وصفهم بالحرص على المال والضنّ به [٥]

و"تعريف الموصول للعهد، والمعهود الأحبار والرهبان، فحينئذ العدول من الظاهر وهو أن يقال: ويكنزون الذهب لابد من نكتة، وهي بيان دوام ذلك الوصف وثبوته بإيراد الجملة الاسمية والتعبير بالموصول للإشارة إلى علة الحكم أو للإيماء إلى وجه بناء "[٦]

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤٠٣/١
(٢) عناية القاضي وكفاية الراضي:٥٦١/٤
(٣) تفسير التحرير والتنوير:١٨٨/١٠
(٤) حاشية محيي الدين شيخ زاده: ٤٧٥
(٥) يُنظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤٠٣/١
(٦) حاشية القونوي:٢١٢/٩

وقيل إن الموصول في قوله تعالى: (والذين يكنزون) أريد به قوم معهودون يُعرفون أنّهم المراد من الوعيد، ويعرفهم المسلمون، فلذلك لم يثبت أنّ النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنّبَ قوماً بأعيانهم"(١)

و في قوله تعالى:

٢٤- ﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

جاء التعريف بالموصول (ما كنتم) ؛للتنبيه على غلطهم فيما كنزوا؛ لقصد التنديم.(٢)

و في قوله تعالى:

٢٥- ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾

جاء التعريف بالإضافة إلى الضمير في قوله تعالى: (أنفسكم) للتنبيه على أنّ الأمّة كالنفس من الجسد.(٣)

كذلك جاء التعريف باسم الإشارة في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾

"لتفخيم المشار إليه"(٤) وقيل: "مجيء اسم الإشارة للإشارة إلى المذكور من عدّةِ الشهور الإثني عشر، وعدّة الأشهر الحرم، أي ذلك التقسيم هو الدين الكامل، وما عداه لا يخلو من أن

(١) تفسير التحرير والتنوير: ١٠/١٧٦

(٢) يُنظر: السابق: ١٠/١٨٠

(٣) يُنظر: السابق: ١٠/١٨٦

(٤) إرشاد العقل السليم: ٣/٦٤

اعتراه التبديل أو التحكّم ُ فيه لاختصاص بعض الناس بمعرفته على تفاوتهم في صحّ ة المعرفة" [١]

وعليه ف"المشار إليه (الأشهر الأربعة الحرم)وقيل المشار إليه: (كون العدة محرمة) فجئ باسم الإشارة لما فيه من معنى البعد الدال على تفخيم المشار إليه"[٢]

قيل:إن اللام في الدين تفيد الحصر كما سيأتي في بابه من هذا البحث، وقيل المقصود منه تحريم الأشهر الأربعة الحرم المعينة المعدودة وما في ذلك من معنى البعد"المشار إليه التحريم المفهوم من أربعة حرم لا نفسه لعدم استقامة المعنى وحينئذ صيغة البعد للتعظيم"[٣]

وفي قوله تعالى:

٢٦- ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامٗا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ زُيِّنَ لَهُمۡ سُوٓءُ أَعۡمَٰلِهِمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٧﴾

اللام في(النسيء)لام العهد فالمسند إليه لابد وأن يكون معلوما للسامع [٤]

و جاء تنكير(عاما)في قوله تعالى:(يحلّونه عاما)، و في قوله تعالى:(يحرمونه عاما) للنوع أي: يحلّونه في بعض الأعوام،ويحرّ مونه في بعض الأعوام [٥]

والإتيان بالموصول في قوله تعالى: (عدّ ة ما حرم الله) [٦]" للإشارة إلى تعليل عملهم في

---

(١) تفسير التحرير والتنوير:١٨٤/١٠

(٢) روح المعاني :٢٨٣/٩.

(٣) حاشية القونوي:٢١٩/٩

(٤) يُنظر:السابق:٢٢١/٩

(٥) يُنظر:تفسير التحرير والتنوير:١٩٢/١٠

(٦) أي: ليوافقوا عدة الأشهر الحرم.

اعتقادهم بأنّهم حافظوا على عدّة الأشهر التي حرّمها الله تعظيماً "[1]

وفي قوله تعالى:

٢٧-﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٤٠)﴾

عُرِّفت لفظة(الغار) للعهد"فهو غار يعلمه المخاطبون، وهو الذي اختفى فيه النبي ــصلى الله عليه وسلمــ وأبو بكر حين خروجهما مهاجرَيْن إلى المدينة"[2]

قال المرادي عن اللام العهدية:"هي التي عُهد مصحوبها،بتقدم ذكره أو بحضوره حساً أو عِلماً كقوله تعالى:(إذ هما في الغار)" [3]

كذلك جاء التنكير في لفظة(خير) في قوله تعالى:

٢٨-﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٤١)﴾

المراد بالخير في قوله تعالى:(ذلكم خير لكم)"جنس الخير، وماهيته"[4] بدليل قول البيضاوي:"(إن كنتم تعلمون)الخير علمتم أنه خير، أو إن كنتم تعلمون أنه خير إذ إخبار الله

---

(١) تفسير التحرير والتنوير:١٠/١٩٤

(٢) السابق :١٠/٢٠٣

(٣) الجنى الداني في حروف المعاني:١٩٤

(٤) حاشية القونوي:٩/٢٣٣

تعالى به صدق فبادروا إليه"[١]

والسر في تنكيرها وإبهامها"لقصد توقّع خير الدنيا والآخرة من شعب كثيرة أهمها الاطمئنان من أن يغزوهم الروم ولذلك عُقب بقوله: (إن كنتم تعلمون) أي إن كنتم تعلمون ذلك الخير وشعبه"[٢]

و في قوله تعالى:

٢٩-﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾﴾

في قوله تعالى:(لو كان عرضاً) أي لو كان ما دعوا إليه نفعاً دنيوياً "[٣]

قدّر البيضاوي اسم كان الذي لابد أن يكون معرفة وجاء هنا نكرة(عرضا) لأنّ معنى الكلام: لو كان ما دعوا إليه نفعا دنيويا.

و في قوله تعالى:

٣٠-﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي ۚ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٤٩﴾﴾

المراد بالفتنة التي سقطوا فيها في قوله تعالى:(ألا في الفتنة سقطوا)" هي فتنة التخلف أو ظهور النفاق"[٤] فالمراد:"جنس الفتنة"[٥]

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٤٠٦/١

(٢) تفسير التحرير والتنوير: ٢٠٨/١٠

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٤٠٦/١

(٤) السابق : ٤٠٧/١

(٥) حاشية القونوي: ٢٤٦/٩

قال ابن عاشور عن تعريفها :" هو تعريف الجنس المؤذن بكمال المعرّف في جنسه، أي في الفتنة العظيمة سقطوا" (١)

وفي قوله تعالى:

٣١-﴿ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

المقصود بـ(حسنة) أي:"ظفر وغنيمة"(٢)،ونُكّرت بقصد" المشاكلة فذكر (إن) مع تنكير حسنة ولا يبعد أن يكون المراد نوع الحسنة"(٣)

وفي قوله تعالى:

٣٢-﴿ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾

قيل عن الإضافة في قوله تعالى:(إيمانكم) أنها جاءت بقصد إظهار الإيمان، وإلاّ فَهُم لم يؤمنوا إيماناً صادقاً ، والمراد بإيمانهم: إظهارهم الإيمان للناس، وليس لوقوع حقيقته منهم، وقد أنبأ عن ذلك إضافة الإيمان إلى ضميرهم دون تعريف الإيمان باللام المفيدة للحقيقة، أي بعد إيمان هو من شأنكم، وهذا تعريض بأنّه الإيمان الصوري غير الحقّ " (٤)

وفي تنكير (طائفة)، قال ابن عاشور:

آمن بعض المنافقين بعد نزول هذه الآية، وذكر المفسّرون من هذه الطائفة مخشيّ بن حُمَيّر

(١) تفسير التحرير والتنوير:٢٢١/١٠

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤٠٧/١

(٣) حاشية القونوي:٢٤٨/٩

(٤) تفسير التحرير والتنوير:٢٥٢/١٠

الأشجعي لما سمع هذه الآية تاب من النفاق، وحسن إسلامه، فعدّ من الصحابة، وقد جاهد يوم اليمامة واستشهد فيه، وقد قيل: إنّه المقصود (بالطائفة) دون غيره فيكون من باب

إطلاق لفظ الجماعة على الواحد في مقام الإخفاء والتعمية"[1]

و في قوله تعالى:

٣٣- ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسْبُهُمْۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾

جاء التعريف بالضمير(هي)" دلالة على عظم عذابها"[2]" والمعنى: أن تلك العقوبة كافية لهم ولا شيء أبلغ منها، ولا يمكن الزيادة عليها"[3]،"(هي حسبهم عقاباً وجزاء وفيه دليل على عظم عذابها" [4]

أما عن تنكير(عذاب مقيم) فلم أجد أبلغ مما ذكره الرازي حين قال:" ولقائل أن يقول: معنى كون العذاب مقيماً وكونه خالداً واحد، فكان هذا تكراراً .

والجواب: ليس ذلك تكريراً، وبيان الفرق من وجوه: الأول: أن لهم نوعاً آخر من العذاب المقيم الدائم سوى العذاب بالنار والخلود المذكور أولاً، ولا يدل على أن العذاب بالنار دائم. وقوله: (ولهم عذاب مقيم)يدل على أن لهم مع ذلك نوعاً آخر من العذاب"[5]

ومن هذا تتبين لنا العلة في تنكير لفظة(عذاب)،وذلك لأنه نوع آخر يختلف عن العذاب بنار جهنم.

---

(١) تفسير التحرير والتنوير ٢٥٣/١٠

(٢) الكشاف:٦٥/٣

(٣) مفاتيح الغيب:١٠٢/١٥/٨

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤١١/١

(٥) مفاتيح الغيب:١٠٢/١٥/٨

ومما جاء فيه تنكير لفظة (عذاب) أيضا في السورة قوله تعالى:

٣٤- ﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾﴾

جاء تنكير (عذاب) "للتهويل" [١] والمراد به هنا عذاب جهنّم.

وفي قوله تعالى:

٣٥- ﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾﴾

الإتيان بالموصول في قوله تعالى: (كالذين) لأنّه أشمل وأجمع للأمم التي تقدّمت مثل عاد وثمود ممّن ضرب العرب بهم المثل في القوة" [٢]

كذلك جاء التعريف باسم الإشارة في قوله تعالى: (أولئك حبطت أعمالهم) و (وأولئك هم الخاسرون) "للإشعار بعلية الأوصاف المُشارِ إليها للحبوط والخسران" [٣]

لمّا كانت خسارتهم جسيمة، "حصرت الخسارة في هؤلاء بقوله: "(وأولئك هم الخاسرون) قصراً مقصوداً به المبالغة" [٤]

وقيل: جيء باسم الإشارة "للتنبيه على أنّهم بسبب ذلك كانوا جديرين بما سيخبر به عنهم

---

(١) تفسير التحرير والتنوير: ٢٩٣/١٠

(٢) السابق: ٢٥٧/١٠

(٣) إرشاد العقل السليم: ٨٢/٣

(٤) تفسير التحرير والتنوير: ٢٦٠/١٠

فقال تعالى: (أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون) "[١]

كما جاء التعريف باسم الإشارة أيضا في قوله تعالى:

٣٦-﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٧١ ﴾

"للدلالة على أنّ ما سيرد بعد اسم الإشارة صاروا أحرياء به من أجلِ الأوصاف المذكورة قبل اسم الإشارة"[٢].

وفي قوله تعالى:

٣٧-﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ٧٢ ﴾

جاء اسم الإشارة في قوله تعالى:(ذلك الفوز العظيم)" إشارة إلى ما وعد الله، أو إلى الرضوانﭐﻟﻠَّﻪ أَيْ هُوَ ﭐلْعَظِيمُ وحده دون ما يعدّه الناس فوزاً "، والغرض من تعريف الطرفين هنا التخصيص، وهذا ما يوضحه قول الزمخشري ﭐﻟﻠَّﻪ أَيْ هُوَ ﭐلْعَظِيمُ وحده دون ما يعدّه النّاس فوزاً "[٣]

(١) تفسير التحرير والتنوير: ٢٠٩/١٠

(٢) السابق: ٢٦٣/١٠

(٣) الكشاف: ٦٧/٣

وفي قوله تعالى:

٣٨- ﴿ لَـٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ ﴾

" (وأولئك) المنعوتون بالنعوت الجليلة (لهم) بواسطة نعوتهم المزبورة (الخيرات) أي منافعُ الدارين النصرُ والغنيمةُ في الدنيا والجنةُ والكرامة في العُقبى، وقيل: الحور وهي جمعُ خَيْرة تخفيف خيّرة (وأولئك هم المفلحون) أي: الفائزون بالمطلوب لا من حاز بعضاً من الحظوظ الفانية عما قليل، وتكريرُ اسمِ الإشارة تنويهٌ لشأنهم وبُعْدٌ لمكانهم (ذلك) إشارةٌ إلى ما فُهم من إعداد الله سبحانه لهم الجناتِ المذكورةَ من نيل الكرامةِ العظمى (الفوز العظيم) الذي لا فوزَ وراءه "[1]

"والإتيان باسم الإشارة؛ لإفادة أنّ استحقاقهم الخيرات، و الفلاح كان لأجل جهادهم."[2]

وفي قوله تعالى:

٣٩- ﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَـٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾ ﴾

جاء تنكير قربة في قوله تعالى: (قُرْبَةٌ لَّهُمْ) "للتفخيم المغني عن الجمع أي قربةٌ

(١) إرشاد العقل السليم: ٩١/٣

(٢) تفسير التحرير والتنوير: ٢٩١/١٠

عظيمةٌ لا يُكتَنه كُنهُها"(1)

كذلك جاء التعريف بـ(أل)في لفظة(الثلاثة)في قوله تعالى:

٤٠ - ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾﴾

"للعهد فإنهم كانوا معروفين(2) بين الناس" (3).

وفي قوله تعالى:

٤١ - ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾

جاء تنكير (ظمأ)، وماعُطف عليه ليفيد التقليل، بدليل قول البيضاوي في تفسير قوله تعالى: (لا يصيبهم ظمأ) حيث قال:"شيء من العطش"(4)

فقول البيضاوي:(شيء من العطش)"إشارة إلى أن التنوين للتقليل "(5)

"والإشارة بـ (ذلك) في قوله تعالى:(ذلك بأنهم) إلى نفي كون التخلف عن الرسول_ صلى الله عليه وسلم_ثابتاً لهم، أي إن ما ينالونه من فضل وثواب وأجر عظيم يقضي بأنه ما يكون

(١) إرشاد العقل السليم:٣/٩٦

(٢) كعب بن مالك،مُرارة بن الربيع،هلال بن أمية-رضي الله عنهم-

(٣) تفسير التحرير والتنوير:١١/٥١

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:١/٤٢٥

(٥) حاشية القونوي:٩/٣٦٣

لهم أن يتخلفوا عن رسول الله_صلى الله عليه وسلم_"[1]

وفي قوله تعالى:

٤٢ -﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾﴾

أي:"ولو علاَّقة" [2]والعلاقة: "مثل في غاية القلة، ولما كان وقوع النفقة الصغيرة كثير قدمت على الكبيرة، والمقصود التعميم صراحة ،فلا يغني ذكر الصغيرة عن الكبيرة"[3]

ومن التنكير ما جاء في قوله تعالى:

٤٣ -﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾

معنى قوله تعالى:(فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة)أي:"فهلا نفر من كل جماعة كثيرة كقبيلة وأهل بلدة جماعة قليلة"[4]

وقوله من كل جماعة كثيرة معنى فرقة "والكثرة مستفادة من كون طائفة بعضا منه"[5]

نُكّرت لفظة (طائفة)لسرٍّ بلاغيٍّ لأنّ تنكيرها"مؤذنٌ بأنّ النفر للتفقه في الدين وما يترتب عليه من الإنذار واجب على الكفاية"[6]

(١) تفسير التحرير والتنوير:٥٦/١١

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤٢٥/١

(٣) حاشية القونوي:٣٦٥/٩

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤٢٥/١

(٥) حاشية القونوي:٣٦٧/٩

(٦) تفسير التحرير والتنوير:٦١/١١

يتبين لنا مما سبق أن الكلمة القرآنية، تتمتع بكل عناية، واهتمام منذ لحظة الانتقاء إلى لحظة توظيفها في السياق القرآني، فورودها مرة نكرة، ومرة معرفة، لا يكون إلا قصداً لتوضيح دلالات بعينها، تخضع في خصوصيتها إلى السياق وما يحمله من معاني.

المبحث الثالث: الدقة في استخدام حروف المعاني من خلال السياق

توطئة:

تتكون الجملة عند النحاة إما من اسمين ،أو من اسم وفعل، ولا تتكون من اسم وحرف أو فعل وحرف، وقد أكد على ذلك عبد القاهر الجرجاني في أول كتابه(دلائل الإعجاز)، ومع ذلك فقد وقف اللغويون والنحاة والبلاغيون عند نوع من الحروف أسموها حروف المعاني لشهرة هذه الحروف بمعان معروفة كدلالة (في)على الظرفية ودلالة (على) على الاستعلاء ودلالة(مِنْ) على ابتداء الغاية و(إلى) و(حتى) على انتهاء الغاية.

غير أن بعض هذه الحروف قد تخرج إلى معان أخرى تُعرف من السياق.

قال المرادي في بيان أهميّة دراسة معاني هذه الحروف:" لما كانت مقاصد كلام العرب على اختلاف صنوفه مبنياً أكثرها على معاني حروفه صُرفت الهمم إلى تحصيلها، ومعرفة جملتها وتفصيلها،وهي مع قلتها،وتيسُّر الوقوف على جملتها، قد كثر دورها، وبعد غورها،فعزَّت على الأذهان معانيها، وأبت الإذعان إلا لمن يعانيها"[1]

وقد وقف بعض المفسرين على بعض تلك الحروف فآثرت أن أقف على شيء من ذلك في السورة.

(١) الجنى الداني:١٩

صور من حروف المعاني في السورة:

قال تعالى:

١- ﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ ﴾

بدأت الآية بحرف الاستثناء (إلا)في قوله تعالى: (إلا الذين عاهدتم من المشركين) "استثناء من المشركين"(١)وقد وضح الزمخشري مم ّ استثني فقال:" وجهه أن يكون مستثنى من قوله تعالى: (فسيحوا في الأرض) (٢)؛لأن ّ الكلام خطاب للمسلمين، ومعناه: براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين، فقولوا لهم سيحوا، إلا الذين عاهدتم منهم، ثم لم ينقصوكم فأتموا إليهم عهدهم، والاستثناء بمعنى الاستدراك،وكأن ّه قيل بعد أن أمروا الناكثين: ولكن ّ الذين لم ينكثوا فأتموا عليهم عهدهم، ولا تجروهم مجراهم، ولا تجعلوا الوفي كالغادر"(٣)

كذلك جاء العطف بـ(ثم) في قوله: ثم لم ينقصوكم شيئاً)"للتراخي الرتبي؛لأن ّ عدم الإخلال بأقل ّ شيء مم ّا عاهدوا عليه أهم ّ من الوفاء بالأمور العظيمة مم ّا عاهدوا عليه؛لأن ّ عدم الإخلال بأقل ّ شيء نادر الحصول" (٤)

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٣٩٥/١

(٢) التوبة: (٢)

(٣) الكشاف: ١٢/٣

(٤) تفسير التحرير والتنوير: ١١٢/١٠

و في قوله تعالى:

٢- ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾

جاء (أحد) مرتفعاً بفعل الشرط مُضمراً يُفسره الظاهر، تقديره:وإنْ استجارك أحد استجارك، ولا يرتفع بالابتداء؛لأنّ (إن) من عوامل الفعل لا تدخل على غيره [١]

و في قوله تعالى:

٣-﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾

جاء حرف الجر(في) في قوله تعالى:(في الدين)مفيداً معنى الظرفية[٢] المجازية"تشبيهاً للملابسة القوية بإحاطة الظرف بالمظروف زيادة في الدلالة على التمكّن من الإسلام وأنّه يجُبُّ ما قبله" [٣]

و في قوله تعالى:

٤-﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾

---

(١)يُنظر: الكشاف:١٥/٣

(٢) الظرفية هي المعنى الأصلي لحرف الجر(في)، سواء كانت ظرفية حقيقة أم مجازية، و لايثبت البصريون غيره. الجنى الداني:٢٥٠

(٣) تفسير التحرير والتنوير:١٢٨/١٠

دخلت الهمزة على (لاَ تُقَاتِلُونَ) تقريراً بانتفاء المقاتلة، ومعناه الحضّ عليها على سبيل المبالغة"(١)

وهو تحريض على القتال؛ لأنّ الهمزة دخلت على النفي للإنكار؛ فأفادت المبالغة في الفعل (٢)

وقد أورد ابن هشام هذه الآية شاهدا على معنى العرض والتحضيض، وذكر أن معناهما:" طلب الشيء، لكن العرض طلب بلينٍ، والتحضيض طلب بحثّ، وتختص (ألا) بالفعلية"(٣)

قال ابن عاشور معلقاً على ما جاء به ابن هشام: "جعل في (المغني) هذه الآية مثالاً لهذا الاستعمال على طريقة المبالغة في التحذير، ولعلّ موجب هذا التفنّن في التحذير من التهاون

بقتالهم مع بيان استحقاقهم إياه: أن كثيراً من المسلمين كانوا قد فرحوا بالنصر يوم فتح مكة ومالوا إلى اجتناء ثمرة السلم، بالإقبال على إصلاح أحوالهم وأموالهم، فلذلك لمّا أمروا بقتال هؤلاء المشركين كانوا مظنّة التثاقل عنه خشية الهزيمة، بعد أن فازوا بسمعة النصر." (٤)

و في قوله تعالى:

٥- ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾

جاءت (أَمْ) منقطعة(٥)، ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على وجود الحسبان. والمعنى: أنكم لا تتركون على ما أنتم عليه، حتى يتبين الخُلّص منكم، وهم الذين جاهدوا في سبيل الله لوجه الله

---

(١) يُنظر: الكشاف: ١٨/٣

(٢) يُنظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٣٩٧/١

(٣) مغني اللبيب: ٦٩/١

(٤) تفسير التحرير والتنوير: ١٣٢/١٠

(٥) اختُلف في معنى (أم) المنقطعة، فقيل: إنها تقدر بـ(بل)، وقيل: إن الأكثر أن تدلّ على الإضراب مع الاستفهام. الجنى الداني: ٢٠٥

ولم يتخذوا وليجة أي بطانة، من الذين يضادّون رسول الله –صلى الله عليه وسلم –والمؤمنين

رضوان الله عليهم"[1] والسرّ في مجيئها، لإفادة الإضراب.

و الكلام بعد (أم) المنقطعة له حكم الاستفهام دائماً، فقوله: (أم حسبتم) في قوة (أحسبتم)، والاستفهام المقدّر إنكاري[2]" كذلك جاءت"(لما)، وهي حرف للنفي" تجزم الفعل المضارع وتصرف معناه إلى المضي"[3]

و"معناها التوقع، وقد دلّت على أنّ تبيّن ذلك، وإيضاحه متوقع كائن، وأن الذين لم يخلصوا دينهم لله يميز بينهم وبين المخلصين"[4]

و في قوله تعالى:

٦- ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾

أُكّدَ الكلامُ بـ (قد) "لتحقيق هذا النصر لأنّ القوم كأنّهم نسوه أو شكّوا فيه ،فنزلوا منزلة من يحتاج إلى تأكيد الخبر."[5]

والباء في قوله تعالى(بما رحبت)" بمعنى مع[6]، أي مع رحبها ،وحقيقته ملتبسة برحبها على أن الجارّ والمجرور في موضع الحال، كقولك: دخلت عليه بثياب السفر، أي ملتبساً بها لم

---

(١) الكشاف:٢٠/٣

(٢) تفسير التحرير والتنوير:١٣٧/١٠

(٣) الجنى الداني في حروف المعاني:٥٩٢

(٤) الكشاف:٢٠/٣

(٥) تفسير التحرير والتنوير:١٥٥/١٠

(٦) لم يرد معنى (الملابسة) عند ابن هشام، و المرادي ، وأقرب معنى وجدته لها عندهما يعني .(المصاحبة) وجعل المرادي لها لها علامتان: أن يحسن في موضعها(مع)وأن يغني عنها وعن مصحوبها الحال وهو ماذكره الزمخشري وابن عاشور في تفسير هذه الآية إلا أنهما جعلاها للملابسة. نظر:مغني اللبيب:١٠٣/١والجنى الداني:٤٠

أحلها، تعني مع ثياب السفر"[1]

وهذا ما جعل ابن عاشور يصرح بأنها" للملابسة، و (ما) مصدرية[2]، والتقدير: ضاقت عليكم الأرض حالة كونها ملابسة لرحبها أي سعتها: أي في حالة كونها لا ضيق فيها" [3]

و في قوله تعالى

٧- ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ٣٣ ﴾

الباء في قوله تعالى: (بالهدى) أفادت الملابسة،أي أن القرآن الكريم ملتبساً (بالهدى) [4]

و في قوله تعالى:

٨- ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٦ ﴾

جاءت (ثم) للعطف على قوله تعالى: (ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم) في الآية السابقة لها وهي" دالّة على التراخي الرتبي،فإنّ نزول السكينة ونزول الملائكة أعظم من النصر الأول يوم حنين، على أنّ التراخي الزمني مرادتنزيلاً لعظم الشدة وهول المصيبة منزلة طول مدّتها، فإن أزمان الشدّة تخيّل طويلة وإن قَصُرت." [5]

وإعادة حرف الاستعلاء (على) بعد حرف العطف في قوله تعالى:(وعلى المؤمنين)" تنبيه

---

(١) الكشاف:٢٩/٣

(٢) (ما) مصدرية غير وقتية وغير الوقتية هي التي لا تقدر مع صلتها بمصدر ولا يحسن تقدير الوقت قبلها.يُنظر: الجنى الداني: ٣٣١

(٣) تفسير التحرير والتنوير: ١٥٧/١٠

(٤) يُنظر:إرشاد العقل السليم:٦١/٣

(٥) تفسير التحرير والتنوير: ١٥٧/١٠ ومابعدها

على تجديد تعليق الفعل بالمجرور الثاني للإيماء إلى التفاوت بين السكينتين: فسكينة الرسول – عليه الصلاة والسلام – سكينة اطمئنان على المسلمين الذين معه وثقة بالنصر، وسكينة المؤمنين سكينة ثبات وشجاعة بعد الجزع والخوف" [1]

وفي قوله تعالى:

٩- ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾

جاءت (حتى) [2] في قوله تعالى: (حتى يُعطوا) مفيدة معنى انتهاء الغاية، فهي هنا غاية للقتال، أي: يستمر قتالكم إياهم إلى أن يعطوا الجزية [3]

أما (عن) في قوله تعالى: (عن يد) حرف أفاد المجاوزة [4] أي: "يدفعوها بأيديهم ولا يقبل منهم إرسالها ولا الحوالة فيها والمراد يَد المعطي أي يعطوها غير ممتنعين ولا منازعين في إعطائها وهذا كقول العرب: (أعطى بيده) [5]" إذا انقاد ف(عن يد) تأكيد لمعنى (يعطوا) للتنصيص على الإعطاء .

و في قوله تعالى:

١٠- ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾

---

(١) تفسير التحرير والتنوير ١٥٨/١٠

(٢) حتى الجارة ومعناها انتهاء الغاية، و مجرورها إما أن يكون اسما صريحا نحو (حتى حين) أو مصدراً مؤولاً من (أن) والفعل المضارع كما في هذه الآية. الجنى الداني: ٥٤٢

(٣) تفسير التحرير والتنوير: ١٦٦/١٠

(٤) وهو أشهر معانيها. الجنى الداني: ٢٤٥

(٥) تفسير التحرير والتنوير: ١٦٦/١٠

اُفتتح الكلام بحرف التوكيد إنّ للاهتمام بمضمونه لتتوجّه أسماع الناس وألبابهم إلى وعْيِهِ "(1)

و في قوله تعالى:

11- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ (38)﴾

ضُمّن الفعل (اثّاقلتم) معنى الميل والإخلاد فعدي بحرف الجر(إلى) والمعنى: ملتم إلى الدنيا وشهواتها وكرهتم مشاق السفر ومتاعبه (2)"كأنّه تثاقلٌ يطلب فاعله الوصول إلى الأرض للقعود والسكون بها." (3)

أما(مِنْ) في قوله تعالى : (من الآخرة) فقد أفادت معنى البدل:"أي بدل الآخرة"(4)

كما جاء حرف الجر (في)في قوله تعالى:(فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل)"لتفيد معنى المقايَسة وهي الداخلة على تالٍ يقصد تعظيمه أو تحقير مَتلُوّه"(5)

و في قوله تعالى:

12- ﴿إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ (39)﴾

وقوله تعالى:﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ (40)﴾

جاء التعبير ب(إلا)و هي (إن) الشرطية مقترنة (بلا النافية) قال ابن هشام:"إن المكسورة

(1) تفسير التحرير والتنوير: ١٠/١٨٠
(2) يُنظر:الكشاف:٣/٤٤
(3) تفسير التحرير والتنوير:١٠/١٩٧
(4) الجنى الداني:٣١٠
(5) السابق:٢٥١

الخفيفة ترد على أربعة أوجه أحدهاأن تكون شرطية وقد تقترن بلا النافية فيظُن ّ من لا معرفة له أنها الاستثنائية نحو(إلا تنصروه) وقوله (إلا تنفروا يعذبكم)" [١]،"فهي مركبة من(إن) الشرطية و(لا) النافية وهي حرفان لا حرف واحد"[٢]

و في قوله تعالى:

١٣ -﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾﴾

عُدي الفعلَ(بَعُد) في قوله تعالى:(بعدت) بحرف الجر (على) لتضمنه معنى ثقلت[٣]

و في قوله تعالى:

١٤ -﴿ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾﴾

جاء التعبير بحرف الجر(في)في قوله تعالى: (في ريبهم) للظرفية المجازية، فقد أفادت معنى إحاطة الريب بهم أي ّ :تمكّنه من نفوسهم.[٤]

و في قوله تعالى:

١٥ -﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾

التعبير بحرف الاستدراك(لكن)جاءللاستدراك عما يُفهم من مقدم الشرطية ِ فإن انتفاءَ

---

(١) مغني اللبيب:١/٢٢

(٢) الجنى الداني:٥٢٢

(٣) يُنظر: تفسير التحرير والتنوير:١٠/٢٠٩

(٤) يُنظر:السابق:١٠/٢١٤

إرادتهم للخروج يستلزم انتفاء خروجهم، وكراهة الله تعالى انبعاثَهم تستلزم تثبيطَهم عن الخروج فكأنه قيل: "ما خرجوا ولكن تثبَّطوا"[1]

و في قوله تعالى:

١٦-﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾

جاء التعبير بحرف الجر(في) في قوله:(وفيكم سمّاعون لهم) دون حرف (من) فلم يقل : (ومنكم سمّاعون لهم)،أو(ومنهم سمّاعون لهم)؛ "لئلا يتوهّم تخصيص السمّاعين بجماعة من أحد الفريقين دون الآخر؛ فالمقصود أنّ السمّاعين لهم فريقان: فريق من المؤمنين ،وفريق من المنافقين أنفسهم ،مبثوثون بين المؤمنين؛ لإلقاء الأراجيف والفتنة وهم الأكثر فكان اجتلاب حرف (في) إيفاء بحقّ هذا الإيجاز البديع"[2]

وفي قوله تعالى:

١٧-﴿لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٤٨﴾﴾

أفاد ظاهرالكلام أنّ اللام في قوله:(لك) لام العلّة ومعناها هنا (لأجلك)، وهو مجمل يبيّنه قوله تعالى:(لقد ابتغوا الفتنة من قبل)والمعنى اتّبعوا فتنة تظهر منك، أي: في أحوالك وفي أحوال المسلمين[3]

---

(١) إرشاد العقل السليم:٣/٧٠

(٢) تفسير التحرير التنوير:١٠/٢١٨

(٣) يُنظر: السابق:١٠/٢١٩

وفي قوله تعالى:

١٨ -﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾﴾

جاء التعبير بـ (ألا) وهي :حرف استفتاح يؤتى به لأجل ."استفتاح الكلام، وتنبيه المخاطب، وهي تدخل على الجملة الاسمية، والفعلية، وعلاماتها صحة الكلام بدونها"[(١)] وإذا جاءت للتنبيه دلت على تحقق مابعدها،إفادتها التحقيق من جهة تركيبها من الهمزة و(لا) ،وهمزة الاستفهام إذا دخلت على النفي أفادت التحقيق" [(٢)] والإتيان بها هنا" للتنبيه على ما بعدها من عجيب حالهم إذ عاملهم الله بنقيض مقصودهم فهم احترزوا عن فتنة فوقعوا في الفتنة" [(٣)]

وفي قوله تعالى:

١٩ -﴿قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾﴾

جاء التعبير بحرف العطف(أو) [(٤)] لـ" توخي إظهار نفي أن يتفاوت جوابه بتفاوته وقوعا وعدم وقوع كما يقال: صم أو لا تصم ،فإني لا اترك الصيام ،توهم من تخاطب أنك تطلب منه أن يصوم وينظر في حالك أو لا يصوم وينظر ليتبين ثباتك على الصيام صام هو، أو لم يصم [(٥)]

---

(١) الجنى الداني: ٣٨١

(٢) مغني اللبيب: ٦٨/١

(٣) تفسير التحرير والتنوير: ٢٢١/١٠

(٤)مذهب الجمهور أنها تُشرك في الإعراب لا في المعنى،يُنظر: الجنى الداني: ٢٢٧

(٥) يُنظر:مفتاح العلوم: ٤٣٤

وفائدة التعبير بهذا الحرف" المبالغة في تساوي الإنفاقين في عدم القبول "[1]

ومثله قوله تعالى:

﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾﴾

وفي قوله تعالى:

٢٠- ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾﴾

عُدي فعل(التربص) بحرف(الباء)؛لأن التربص يعني:انتظار حصول شيء مرغوب حصوله وأكثر استعماله يكون انتظار حصول شيء لغير المنتظر؛ ولذلك كثرت تعدية فعل التربّص بالباء لأن المتربّص ينتظر شيئاً مصاحباً لآخرِ هو الذي لأجله الانتظار." [2]

وفي قوله تعالى:

٢١- ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾

جاءت (اللام) في قوله تعالى (ليعذّبهم)"للتعليل: تعلّقت بفعل الإرادة للدلالة على أنّ المراد حكمة وعلّة فتغني عن مفعول الإرادة" [3]

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٤٠٨/١

(٢) تفسير التحرير والتنوير: ٢٢٨/١٠

(٣) السابق: ٢٢٨/١٠

وفي قوله تعالى:

٢٢- ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾

أُدخلت (في) على الصدقات مع أنّ اللمز في توزيعها لا في ذواتها؛ لأنّ الاستعمال يدلّ على المراد، فهذا من إسناد الحكم إلى الأعيان والمراد أحوالها.

ودلّت (إذا) الفجائية على أنّ سخطهم أمر يُفاجيء العاقل حين يشهده؛ لأنّه يكون في غير مظنّة سخط، وشأن الأمور المفاجئة أن تكون غريبة في بابها(١)

و في قوله تعالى:

٢٣-﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾

جاء التعبير في قوله تعالى: (العاملين عليها) بحرف الجر(على) لتفيد التعليل و معناه: العاملون لأجلها، أي لأجل الصدقات.(٢)

واختيار حرف (على) في هذا المقام "لما يشعر به أصل معناه من التمكّن، أي:العاملين لأجلها عملاً قويّاً؛ لأنّ السعاة يتجشّمون مشقّةً وعملاً عظيماً، ولعلّ الإشعار بذلك لقصد الإيماء إلى أنّ علّة استحقاقهم مركّبة من أمرين:كون عملهم لفائدة الصدقة، وكونه شاقّاً، ويجوز أن تكون (على) دالّة على الاستعلاء المجازي، وهو استعلاء التصرف كما يقال: هو عامل على المدينة، أي العاملين للنبي أو للخليفة على الصدقات أي متمكّنين من العمل

---

(١) يُنظر:تفسير التحرير والتنوير:١٠/٢٣٥

(٢) ذكر المرادي أن من معاني(على) الحرفية التعليل والاستعلاء حسا ومعنى.يُنظر الجنى الداني:٤٧٦ ومابعدها

فيها"[١]

أما (في) في قوله تعالى:(وفي الرقاب)، فهي:" للظرفية المجازية،وهي مغنية عن تقدير فك الرقاب، ولم يجر باللام لئلا يتوهم أن الرقاب تدفع إليهم أموال الصدقات، ولكن تُبذل تلك الأموال في عتق الرقاب بشراء، أو إعانة، أو فداء أسرى"[٢]

وفي قوله تعالى:

٢٤- ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾

المقصود بالإيمان للمؤمنين:" تصديقهم في ما يخبرونه، يقال: آمن لفلان بمعنى صدَّقه ولذلك عدّي باللام دون الباء،لأن الإيمان وازع لهم أن يخبروه الكذب فكما أن الرسول –صلى الله عليه وسلم–لا يؤاخذ أحدا بخبر الكاذب فهو يعامل الناس بشهادة المؤمنين"[٣]

وفي قوله تعالى:

٢٥- ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾

جاءت (الباء) في قوله تعالى:(بأنهم كانوا مجرمين)"للسببية"[٤] أي تعذيبهم كان بسبب إجرامهم .

---

(١) تفسير التحرير والتنوير: ٢٣٦/١٠

(٢) السابق بصفحته

(٣) تفسير التحرير والتنوير: ٢٤٣/١٠

(٤) السابق: ٢٥٣/١٠لم يورد المرادي هذا المعنى للباء وإنما ذكر ما هو قريب منه وهو التعليل وأورد علامتها وهو قول ابن مالك:"هي التي تصلح غالبا في موضعها اللام"وهذا يصلح لهذه الآيه، وعليه تكون اللام هنا للتعليل. يُنظر: الجنى الداني: ٣٩

وفي قوله تعالى:

٢٦-﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾

جاءت "مِن" اتّصالية دالّة على معنى اتّصال شيء بشيء وهو تبعيض مجازي معناه الوصلة والولاية وقد شمل قوله (بعضهم من بعض) جميع المنافقين والمنافقات لأن كل فرد هو بعض من الجميع فإذا كان كل بعض متصلا ببعض أخر عُلم أنهم سواء في الأحوال"(١)

ومنها أيضاً قوله تعالى:

٢٧-﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾

السين في قوله تعالى:(سيرحمهم)" لتأكيد حصول الرحمة في المستقبل، فحرف الاستقبال يفيد مع المضارع ما تفيد (قد) مع الماضي" (٢)

وفي قوله تعالى:

٢٨-﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾

جاءت(الباء) في قوله تعالى:(بما أخلفوا)للسببية أو للتعليل، أي بسبب إخلافهم وعد ربهّم

(١) تفسير التحرير والتنوير: ٢٥٤/١٠

(٢) السابق: ٢٦٣/١٠

وكذبهم"[١]

وفي قوله تعالى:

٢٩- ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾

جاءت (في)في قوله تعالى:(في الصدقات)" للظرفية المجازية بجعل سبب اللمز كالظرف للمسبَّب" [٢]

وقيل:"أُدخلت (في)على الصدقات، وإنّما اللمز في توزيعها لا في ذواتها:لأنّ الاستعمال يدلّ على المراد" [٣]

وفي قوله تعالى:

٣٠- ﴿ فَإِن رَّجَعَكَ اللَّهُ إِلَىٰ طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾

السرّ في الجمع بين النفي بـ (لن) [٤] وبين كلمة (أبداً)"تأكيد لمعنى (لن)لانتفاء خروجهم في المستقبل إلى الغزو مع المسلمين" [٥]

---

(١) تفسير التحرير والتنوير: ٢٧٣/١٠

(٢) السابق: ٢٧٥/١٠

(٣) السابق بصفحته

(٤) حرف نفي ينصب الفعل المضارع، ويخلصه للاستقبال. نظر:الجنى الداني: ٢٧٠

(٥) تفسير التحرير والتنوير: ٢٨٣/١٠

وفي قوله تعالى:

٣١- ﴿رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾﴾

افتتاح الكلام بحرف الاستدراك(لكن) مؤذن"بأن" مضمون هذا الكلام نقيض مضمون الكلام الذي قبله[1] فلما كان قعود المنافقين عن الجهاد مسبباً على كفرهم بالرسول- صلى الله عليه وسلم -كان المؤمنون على الضد من ذلك"[2]

وفي قوله تعالى:

٣٢- ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾﴾

جاءت إعادة حرف النفي(لا) في عطف الضعفاء والمرضى" لتوكيفي المؤاخذة عن كل" فريق بخصوصه"[3]

و"مِن" مؤكّدة لشمول النفي لكل" سبيل"[4]

---

(١) آية(٨٧)

(٢) تفسير التحرير والتنوير:١٠/٢٩٠

(٣) السابق:١٠/٢٩٤

(٤) السابق:١٠/٢٩٥

وفي قوله تعالى:

٣٣- ﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾

جاءت (إذا) في قوله تعالى: (إذا ما أتوك) "ظرفا لما مضى من الزمان" (١)

ومنها ما جاء في قوله تعالى:

٣٤- ﴿ وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغۡرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ ﴾

جاءت (الباء) في قوله تعالى (بكم) "للسببية جُعل المجرور بالباء ضمير المخاطبين على تقدير مضاف. والتقدير: ويتربص بسبب حالتكم الدوائر عليكم لظهور أن الدوائر لا تكون سبباً لانتظارِ الانقلاب بل حالهم هي سبب تربصهم أن تنقلب عليهم الحال لأن حالتهم الحاضرة شديدة عليهم، فالمعنى أنهم ينتظرون ضعفكم وهزيمتكم و ينتظرون وفاة نبيكم فيظهرون ما هو كامن فيهم من الكفر" (٢)

وفي قوله تعالى:

٣٥- ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾

جاء ذكر الشيئين المختلطين بالعطف بالواو في قوله تعالى: ﴿خلطوا عملاً صالحاً وآخر

---

(١) الجنى الداني: ٣٧١

(٢) تفسير التحرير والتنوير: ١٤/١١

سيئاً) "على اعتبار استوائهما في وقوع فعل الخلط عليهما، يقال: (خلط)كذا بكذا على اعتبار أحالشيئين المختلطين م ُ تلابسين بالخلط، والتركيبان متساويان في المعنى، ولكن العطف بالواو أوضح وأحسن فهو أفصح" (١)

وفي قوله تعالى:

٣٦-﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٠٤ ﴾

جاء في قوله تعالى:(عن عباده)"تعدية القبول بعن لتضمنه معنى التجاوز والعفو أي يقبل ذلك متجاوزاً عن ذنوبهم التي تابوا عنها، وقيل: عن بمعنى من. والضمير إما للتأكيد أو له مع التخصيص بمعنى أن الله سبحانه يقبل التوبة لا غيره أي إنه تعالى يفعل ذلك البتة لما قرر أن ضمير الفصل يفيد ذلك والخبر المضارع من مواقعه، وجعل بعضهم التخصيص بالنسبة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم أي أنه جل وعلا يقبل التوبة لا رسوله عليه الصلاة والسلام لأن كثرة رجوعهم إليه مظنة لتوهم ذلك" (٢)

وفي قوله تعالى:

٣٧-﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ١٠٦ ﴾

قيل:جاءت (إما)العاطفة (٣) هنا لتفيد معنى الإبهام(٤)وهي حرف يدل على أحد شيئين أو أشياء ومعناها قريب من معنى (أو) التي للتخيير إلا أن (إما) تدخل على كلا الاسمين المخير بين مدلوليهما وتحتاج إلى أن تتلى بالواو، و(أو) لا تدخل إلا على ثاني الاسمين.

---

(١) تفسير التحرير والتنوير: ٢١/١١

(٢) روح المعاني:١٥/١١/٦ وما بعدها

(٣) حرف من حروف العطف عند أكثر النحويين،ُ نظر:الجنى الداني:٥٢٨

(٤) ُنظر: الجنى الداني:٥٣٠

والتساوي بين الأمرين مع (إما) أظهر منه مع (أو)،لأن (أو) تشعر بأن الاسم المعطوف عليه مقصود ابتداء" [1] وقيل:(إما) هنا للشك بالنسبة إلى المخاطب،وللإِبهام، بالنسبة إلى أنه أَبْهَمَ على المخاطبين" [2]

وفي قوله تعالى:

٣٨- ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾

جاءت (من) لـ"ابتداء الغاية المكانية اتفاقاً،فيما نُزّل منزلة المكان وفي الزمان عند الكوفيين كقوله تعالى:(من أول يوم)وصحّحه ابن مالك، لكثرة شواهده، وتأويل البصريون ما ورد من ذلك تعسّف، ونقل ابن يعيش موافقة الكوفيين،وتأوّل البصريين(من أول يوم) على تقدير: من تأسيس أول يوم" [3]

وفي قوله تعالى:

٣٩- ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ۚ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ۚ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾

جاء التعبير بحرف(الباء) في قوله تعالى:(بأن الهم الجنة)؛لأن من شأن الباء "أن تدخل على

---

(١) تفسير التحرير والتنوير:١١/٢٨

(٢) الدر المصون:٣ /٤٥٥

(٣) الجنى الداني:٣٠٨ومابعدها

الثمن في صِيغ الاشتراء فأدخلت هنا لمشابهة هذا الوعد الثمن "[١]

و اللام في (لهم الجنة) للملك والاستحقاق و(مِن) تفضيلية، وهي للابتداء المجازي.[٢]

وفي قوله تعالى:

٤٠ - ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٢﴾

قيل: إن (الواو) في قوله تعالى: (والناهون عن المنكر) تُسمى واو الثمانية وضعّف هذا القول آخرون ، قال المرادي: "ذهب قوم إلى إثبات هذه الواو، ومنهم ابن خالويه، والحريري، وجماعة من ضعفة النحويين قالوا: من خصائص كلام العرب إلحاق الواو في الثامن من العدد فيقولون: واحد اثنان ثلاثة أربعة خمسة ستة سبعة وثمانية، إشعارا بأن السبعة عندهم عدد كامل واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: (التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر) وبقوله تعالى: (وثامنهم كلبهم) وبقوله تعالى: ﴿ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا ٥﴾[٣] وذهب المحققون إلى: أن الواو في ذلك: إما عاطفة، وإما واو الحال ولم يثبتوا واو الثمانية وأنكر الفارسي واو الثمانية"[٤]

والظاهر أن الواو في قوله تعالى: (والناهون عن المنكر) عاطفة "وحكمة ذكرها في هذه الصفة دون ما قبلها من الصفات، مابين الأمر والنهي من التضاد، فجئ بالواو رابطة بينهما لتباينهما وتنافيهما، وقال بعضهم: هي زائدة، وليس بشيء"[٥]

(١) تفسير التحرير والتنوير: ١١/٤٠

(٢) السابق بصفحته

(٣) التحريم(٥)

(٤) الجنى الداني: ١٦٧-١٦٨

(٥) السابق: ١٦٨

والسر ّ في العطف بالواو للدلالة على أن المتعاطِفَين ْ بمنزلة خ َصلة ٍ واحدة"[١]

وفي قوله تعالى:

٤١-﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾

جاء حرف الجر (عن) في قوله تعالى: (عن موعدة) مُفيداً معنى التعليل" [٢]

وفي قوله تعالى:

٤٢-﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾

افتتحت هذه الآية بحرف التحقيق (لقد)" تأكيداً لمضمونها المتقرر فيما مضى من الزمان حسبما دل عليه الإتيان بالمسندات كلها أفعالاً ماضية." [٣]

وفي قوله تعالى:

٤٣-﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾

جاءت (ما) في قوله تعالى:"بما رحبت" مصدرية غير وقتية، وغير الوقتية قيل هي: "التي تقدّ ر مع صلتها بمصدر لا يحسن تقدير الوقت قبلها"[٤].

---

(١) إرشاد العقل السليم:١٠٧/٣

(٢)يُنظر: الجنى الداني:٢٤٧

(٣) تفسير التحرير والتنوير:٤٩/١١

(٤) الجنى الداني:٣٣١

والمعنى: أي برحبها وسـَعتها" [١]،وقيل:"جاءت (ما) مصدرية"[٢]

و جاءت ثمُ) " للمهلةوالتراخي الزمـَني، وليست للتراخي الرتبي ؛ لأن ما بعدها ليس أرفع درجة مما قبلها بقرينة السياق" [٣]

و"اللام في (ليتوبوا) للتعليل، أي تاب عليهم لأجل أن يكفوا عن المخالفة ويتنزهوا عن الذنب، أي ليدوموا على التوبة"[٤]

وفي قوله تعالى:

٤٤ -﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾

عدي فعل الرغبة في قوله تعالى:(و لايرغبوا بأنفسهم) بحرف(عن)والرّغبة تـُعـَدْى بـ (في) فتفيد معنى مودة تحصيل الشيء والحرص فيه، وتُعدى بحرف (عن) فتفيد معنى المجافاة

للشيء وهي هنا معداة بـ (عن) أريد برغبتهم عن نفسه محبتهم أنفسهم ،وحرصهم على سلامتها دون الحرص على سلامة نفس الرسول_ صلى الله عليه وسلم_، فكأنهم رغبوا عن نفسه إذ لم يخرجوا معه مـُلاَبسين لأنفسهم، أي محتفظين بها؛ لأنهم بمقدار من يتخلف منهم يزداد تعرض نفس الرسول_ صلى الله عليه وسلم) من التلف قرباً ، فتخلف واحد منهم عن الخروج معه عون على تقريب نفس الرسول عليه الصلاة والسلام من التلف فلذلك استعير لهذا

---

(١) إرشاد العقل السليم :١٠٩/٣

(٢) تفسير التحرير التنوير:٥٣/١١

(٣) السابق بصفحته

(٤) السابق:٥٣/١١

التخلف لفظ الرغبة عنه." (١)

"والباء في قوله: (بأنفسهم) للملابسة وهي في موضع الحال،نزل الضن بالأنفس والحذر من هلاكها بالتلبس بها في شدة التمكن وهذا تركيب بديع الإيجاز بالغ الإعجاز"(٢)

وفي قوله تعالى:

٤٥ -﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾

جاء التعبير ب(لولا) في قوله تعالى:(فلولا نفر)، وهي:" حرف يفيد التحضيض هنا فاختصت ، بالدخول على الأفعال حيث دخلت على الفعل الماضي في قوله تعالى:" فلولا نفر" (٣)

و اللام في قوله تعالى:(لينفروا) "لتأكيد النفي، ومعناه أن نفير الكافة عن أوطانهم لطلب العلم غير صحيح ولا ممكوفيه أنه لو صحّ وأمكن، ولم يؤدّ إلى مفسدة لوجب التفقه في الدين على الكافة، ولأنّ طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة (فلولا نفر) فحين لم يمكن نفير الكافة ولم يكن مصلحة ،فهلا نفر (من كل فرقة منهم طائفة أيّ : من كل جماعة" (٤)

و الإتيان بصيغة لام الجحود "تأكيد للنفي، وهو خبر مستعمل في النهي فتأكيده يفيد تأكيد النهي، أي كونه نهياً جازماً يقتضي التحريم."(٥)

---

(١) تفسير التحرير والتنوير :٥٦/١١

(٢) السابق بصفحته.

(٣) ينظر: الجنى الداني:٦٠٥ ومابعدها

(٤) الكشاف:١٠٨/٣

(٥) السابق بصفحته

وفي قوله تعالى:

٤٦ - ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾

"جاءت(ما) في قوله تعالى:(وإذا ما أُنزلت سورة) للتوكيد" (١)عند من لا يرى زيادتها،وقيل:

زيدت (ما) عَقب (إذا)"وزيادتها لتأكيد معنى (إذا) وهو الشرط، لأن هذا الخبر لغرابته كان خليقاً بالتأكيد، ولأن المنافقين ينكرون صدوره منهم." (٢)

وفي قوله تعالى:

٤٧ - ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾﴾

جاء حرف العطف (ثم) (٣)"للترتيب الرتبي"(٤)

ثم جُملة (لا يَتُوبُونَ) " عطف على (لا يَرَوْنَ) داخلٌ تحت الإنكار والتوبيخِ والمعنى أو لا يَرَوْن افتتانَهم الموجبَ لإيمانهم ثم لا يتوبون عما هم عليه من النفاق،و لا هم يتذكرون بتلك الفِتن الموجبةِ للتذكر والتوبة" (٥)

---

(١) الجنى الداني:٣٣٣

(٢) تفسير التحرير والتنوير:٦٤/١١

(٣) (ثم) حرف عطف يُشرك في الحكم، ويفيد الترتيب بمهلة.ينظر: الجنى الداني:٤٢٦

(٤) تفسير التحرير والتنوير:٦٨/١١

(٥) إرشاد العقل السليم:١١٣/٣

وفي قوله تعالى:

٤٨ - ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾

(قد) في هذه الآية:" حرف تحقيق، إذا دخلت على الماضي، و حرف توقع، إذا دخلت على المستقبل"[١]، والتحقيق يفيد التأكيد، وزيادة في التوكيد اتصلت بها لام التأكيدلمسر ّ غلإ ّ ذكره ابن عاشور بقوله:

افتتحت الآية الكريمةبحرفي َ ْ التأكيد وهما(اللام) و(قد) مع كون مضمونها مما لا يتطرق إليه الإنكار، لقصد الاهتمام بهذه الجملة، لأهمية الغرض الذي سيقت لأجله، ولأن فيما تضمنته ،ما ينكره المنافقون، وهو كونه: رسولاً من الله، ولأن :في هذا التأكيد ما يجعل المخاطبين به منزّلين منزلة المنكرين ،لمجيئه من حيث إنهم لم ينفعوا أنفسهم بهذا المجيء، ولأن في هذا التأكيد تسجيلاً عليهم مراداً به الإيماء إلى اقتراب الرحيل، لأنه لما أعيد الإخبار بمجيئه وهو حاصل منذ أعوام طويلة كان ذلك كناية عن اقتراب انتهائه." [٢]

من خلال هلر ّ بنا من آيات هنا، نخلص إلى أنّ لحروف المعاني في السياق القرآنيأهمي ّة كبيرة، لاتقل عن أهمي ّة الكلمة و الجملة، فاستخدام حرف في سياق ما، لا يكون إلا لدلالة مقصودة، تكشف عن وجه من وجوه الإعجاز البياني في نظم القرآن.

---

(١) الجنى الداني: ٢٥٥

(٢) تفسير التحرير والتنوير: ٧١/١١

الفصل الثاني

أحوال الجملة الخبرية

- المبحث الأول:أسرار التعبير بالجملة الاسميّة والجملة الفعليّة، والإطلاق والتقييد،ومتعلقات الأفعال.
- المبحث الثاني:التقديم والتأخير: وأسرارهما البلاغيةّ .
- المبحث الثالث القصر:طرقه وأسراره البلاغيّة.

المبحث الأول: أسرار التعبير بالجملة الاسمية، والجملة الفعلية والإطلاق والتقييد، ومتعلقات الأفعال.

توطئة:

الجملة إما اسمية، أو فعلية،كما أنّها قد تكون خبريّة، وقد تكون إنشائية، والحديث هنا عن الخبريّة، وسيأتي الحديث عن الإنشائية في موضع آخر من هذا البحث بمشيئة الله .

أما الكلام في هذا الفصل فسيكون عن السر في كون الجملة اسميّة أو فعليّة، وعن تقييد هذه الجمل بالمفاعيل أو التوابع،أو الشرط،أو النواسخ وغيرها من القيود، على غرار ما هو مبسوط في كتب البلاغة كالمطول وغيره.

ولن أتطرق في هذا المبحث للعطف على المسند إليه على أنّه من القيود إلا سريعاً فله مكان آخر من هذا البحث سوف يأتي بيانه في موضعه،كما أنني حاولت جاهدة ألا أتطرق لما تطرقت، و ما سوف أتطرق إليه في باقي الرسالة من هذه القيود إن كان لها مبحث مستقل بها كالتقييد بالحال، وعطف النسق لاسيما في الحروف التي سبق ذكرها في مبحث حروف المعاني إلا من باب التمثيل فقط، كما سأتحدث في هذا المبحث بمشيئة الله عن بعض متعلقات الفعل،في أحوالها المختلفة لاستظهار السرّ في ذكرها وحذفها وتقديمها وتأخيرها إن لزم الأمر.

كل هذا سيظهر -إن شاء الله- في تناول بعض الآيات من هذه السورة في هذا الفصل.

صور من التعبير بالجملة الاسمية والجملة الفعلية في السورة:

قال تعالى:

١ -﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١﴾

معنى قوله تعالى: (براءة من الله ورسوله) :"أي هذه براءة،ويجوز أن تكون (براءة) مبتدأ لتخصصها بصفتها والخبر (إلى الذين عاهدتم من المشركين) والمعنى: "أن الله ورسوله برئا من العهد الذي عاهدتم به المشركين، وإنما عُلِّقَتْ البراءةُ بالله ورسوله ،والمعاهدة بالمسلمين للدلالة على أنه يجب عليهم نبذ عهود المشركين إليهم وإن كانت صادرة بإذن الله تعالى واتفاق الرسول فإنهما برئا منها، وذلك أنهم عاهدوا مشركي العرب فنكثوا" (١)

وقيل: (براءة) مبتدأ، (من الله ورسوله) صفتها وقوله تعالى: (إلى الذين عاهدتم من المشركين) هو الخبر" (٢)

وإيثارُ الجملة الاسميّةِ في قوله تعالى:(أن الله بريء) على الفعليّة كأن يُقال: قد بَرِئَ الله ورسولُه من الذين، أو نحوُ ذلك للدلالة على دوامها واستمرارِها وللتوسل إلى تهويلها بالتنوين التفخيميِّ "(٣)

نلحظ هنا أن مجيء الوصف اسم:(من الله ورسوله) والعطف بالواو (ورسوله) أفادت صفة البراءة، وأنها ليست من كائن من كان بل هي من الله، كما جاء العطف ليبين أنها أيضا من رسوله-صلى الله عليه وسلم-لامتثاله لأمر الله .

(١)أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٣٩٤/١

(٢)يُنظر: السابق

(٣) إرشاد العقل السليم:٤٠/٣

وفي قوله تعالى:

٢- ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ ﴿٢﴾﴾

قُيِّدت الجملة بالجار والمجرور (في الأرض) لقصد التعميم لأقطارها من دار الإسلام وغيرها وتلوينُ الخطاب بصرفه عن المسلمين وتوجيهِه إليهم مع حصول المقصود بصيغة أمرِ الغائبِ أيضاً للمبالغة في الإعلام بالإمهال حسماً لمادة تعلّلهم بالغفلة وقطعاً لشأفة اعتذارهم بعدم الاستعداد، وإيثارُ صيغةِ الأمرِ مع تسنّي إفادةِ ذلك المعنى بطريق الإخبارِ أيضاً كأن يقالَ مثلاً: فلكم أن تسيحوا أو نحوُ ذلك لإظهار كمالِ القوةِ والغلبةِ وعدمِ الاكتراث لهم ولاستعدادهم فكأن ذلك أمرٌ مطلوبٌ منهم"(١)

وفي قوله تعالى:

٣- ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾

جيء بـ(إنْ) التي شأنها أن يكون شرطها نادر الوقوع للتنبيه على أنّ هذا شرط فَرْضِيّ لكيلا يزعم المشركون أنهم لم يتمكّنوا من لقاء النبي -صلى الله عليه وسلم- فيتّخذوه عذراً للاستمرار على الشرك إذا غزاهم المسلمون." (٢)

وتقييد الجملة الفعلية (فأجره) بـ(حتى) في قوله تعالى: (حتى يسمع) لتفيد معنى الغاية أو لتعليل، وعلى كلا التقديرين يتعلّقُ بقوله: (فأجره)"(٣)

(١) إرشاد العقل السليم:٣/٤٠

(٢) تفسير التحرير والتنوير:١٠/١١٧

(٣) الدر المصون:٣/٤٤٤

وجاءت جملة: (ذلك بأنهم قوم لا يعلمون) "في موضع التعليل؛ لتأكيد الأمر بالوفاء لهم بالإجارة إلى أن يصلوا ديارهم"(١)

ومن التعبير بالجملة الفعلية أيضا قوله تعالى:

٤- ﴿ٱشۡتَرَوۡاْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلٗا فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩﴾

عبرّ عن (عملهم) بصيغة المضارع المقترن بفعل الكون في قوله تعالى:(كَانوا يعملون) للإشارة إلى أنّ هذا الأمر دأب لهم ومتكرّر منهم." (٢)

ومن التقييد بالبدل ما جاء في قوله تعالى:

٥- ﴿لَا يَرۡقُبُونَ فِي مُؤۡمِنٍ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُعۡتَدُونَ ١٠﴾

فجملة: (لا يرقبون في مؤمن إلا و لا ذمة) يجوز أن تكون بدلَ اشتمال من جملة: (إنهم ساء ما كانوا يعملون)؛ لأنّ انتفاء مراعاة الإلّ والذمّة مع المؤمنين ممّا يشتمل عليه سوء عملهم، ويجوز أن تكون استئنافاً ابتدئ به للاهتمام بمضمون الجملة"(٣)

وفي قوله تعالى:

٦- ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ وَنُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ١١﴾

جاء التقييد بالشرط في قوله تعالى: (فَإِن تَابُواْ) أي:"عما هم عليه من الكفر وسائرِ الذنوب، والفاءُ جاءت للإيذان بتفرّعِ توبتهم بما نُعيَ عليهم من مساوىء أعمالهِم مزجرة عنه

(١) تفسير التحرير والتنوير: ١٢٠/١٠

(٢) السابق: ١٢٦/١٠

(٣) السابق بصفحته.

طمعاً في توبتهم، والجار والمجرور: (في الدين) متعلق بـ(إخوانكم) لما فيه من معنى الفعل أي: لهم ما لكم وعليهم ما عليكم فعاملوهم معاملة الإخوان، وفي هذا استمالة لقلوبهم "[1]

وصيغ الخبر[2] في هذه الآية بالجملة الاسمية للدلالة على أنّ إيمانهم يقتضي ثبات الأخوة ودوامها تنبيهاً على أنهم يعودون كالمؤمنين السابقين من قبل في أصل الأخوة الدينية"[3]

وحذف مفعول (يعلمون) "لتنزيل الفعل منزلة اللازم، إذ أريد به: لقوم ذوي علم وعقل"[4]

وفي قوله تعالى:

٧- ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ١٢ ﴾

جاء المفعول به في قوله تعالى:(أئمة الكفر) متعلقاً بالفعل:(قاتلوا) في قوله تعالى:(فقاتلوا أئمة الكفر) "للإيذان بأنهم صاروا بذلك ذوي رئاسة وتقدم في الكفر أحقّاء بالقتل والقتال"[5]

كذلك جاءت جملة: (لعلهم ينتهون)"تعليلاً لجملة (فقاتلوا أئمة الكفر) أي: قتالهم لرجاء أن ينتهوا، وظاهرٌ أنّه القتال يُفني كثيراً منهم، فالانتهاء المرجو انتهاء الباقين أحياء بعد أن تضع الحرب أوزارها"[6]

ولم يُذكر متعلّق فعل (ينتهون) ولا يحتمل أن يكون الانتهاء عن نكث العهد؛لأنّ عهدهم لا يُقبل بعد أن نكثوا لقول الله تعالى: (إنهم لا أيمان لهم)، ولا أن يكون الانتهاء عن الطعن في

---

(١) إرشاد العقل السليم:٤٧/٣

(٢) المقصود به جواب الشرط:(فإخوانكم في الدين).

(٣) تفسير التحرير والتنوير:١٢٧/١٠

(٤) السابق:١٢٨/١٠

(٥) إرشاد العقل السليم:٤٧/٣

(٦) تفسير التحرير والتنوير:١٣١/١٠

الدين؛ لأنّه إن كان طعنهم في ديننا حاصلاً في مدّة قتالهم فلا جدوى لرجاء انتهائهم عنه وإن كان بعد أن تضع الحرب أوزارها، فإنّه لا يستقيم إذ لا غاية لتنهية القتل بين المسلمين وبينهم فتعيّن أنّ المراد: لعلهم ينتهون عن الكفر والمعنى: المرجو أنّهم ينتهون عن الشرك ويسلمون، وقد تحقّق ذلك فإنّ هذه الآية نزلت بعد فتح مكة، وبعد يوم حُنين، ولم يقع نكث بعد ذلك، ودخل المشركون في الإسلام أفواجاً في سنة الوفود." (١)

ومن التعبير بالجملة الفعلية المقيدة بالبدل ما جاء في قوله تعالى:

٧- ﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣ ﴾

جاءت جملة: (أتخشونهم) بدلَ اشتمال من جملة: (ألا تقاتلون) فالاستفهام فيها إنكار

أو تقرير عن سبب التردّد في قتالهم، فالتقدير أينتفي قتالكم إيّاهم لخَشيكم إياهم، وهذا زيادة في التحريض على قتالهم" (٢)

وجيء بالشرط المتعلّق بالمستقبل في قوله تعالى: (إن كنتم مؤمنين) مع أنّه لا شكّ فيه

"القصد إثارة همّتهم الدينية، فيبرهنوا على أنّهم مؤمنون حقّاً، يقدمون خشية الله على خشية الناس" (٣)

ومن التقييد بالحال ما جاء في قوله تعالى:

٩- ﴿ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تُتۡرَكُواْ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَلَمۡ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَلِيجَةٗۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٦ ﴾

---

(١) تفسير التحرير والتنوير: ١٣١/١٠

(٢) السابق: ١٣٤/١٠

(٣) السابق بصفحته

فقد جاءت جملة: (ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) في موضع الحال من ضمير (تتركوا): أي لا تظنّوا أن تتركوا في حال عدم تعلّق علم الله بوقوع ابتدار المجاهدين للجهاد وحصول تثاقل من تثاقلوا، وحصول ترك الجهاد من التاركين"[١]

كذلك جاء التقييد بالجار والمجرور في قوله تعالى: (من دون الله) "متعلّق بـ (وليجة) في موضع الحال المبيّنة"[٢]

وحذف متعلّق (تتركوا) لدلالة السياق عليه، أي أن تتركوا دون جهاد والمعنى: كيف تحسبون أن تتركوا، أي لا تحسبوا أن تتركوا دون جهاد لأعداء الله ورسوله"[٣]

ومن المواضع التي عبر فيها أيضا بالجملة الاسمية لغرض بلاغي قوله تعالى:

١٠- ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ ۚ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ ﴾

جاء التعبير بالجملة الاسمية في قوله تعالى: (هُمْ خَالِدُونَ) "للمبالغة في الدلالة على الخلود، والظرفُ متعلّقٌ بالخبر قدم عليه للاهتمامِ، ومراعاةِ الفاصلة"[٤]

كذلك جاء التقييد بالحال في قوله تعالى: (شاهدين على أنفسهم بالكفر) "مبيّناً لسبب براءتهم من أن يعمروا مساجد الله، وهو حال من ضمير (يعمروا) فبين عامل الضمير وهو (يعمروا) الداخلُ في حكم الانتفاء، أي انتفى تأهّلهم لأن يعمروا مساجد الله بحال شهادتهم على أنفسهم بالكفر، فكان لهذه الحال مزيد اختصاص بهذا الحرمان الخاص من عمارة مساجد

---

(١) تفسير التحرير والتنوير ١٣٩/١٠

(٢) السابق: ١٣٧/١٠

(٣) السابق: ١٣٨/١٠

(٤) إرشاد العقل السليم: ٥٠/٣

الله، وهو الحرمان الذي لا استحقاق بعده" (١)

ومن التعبير بالجملة الفعلية ما جاء في قوله تعالى:

١١ -﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ۝٢١﴾

حيث اُختيرت صيغة المضارع للتبشير في قوله تعالى: (يبشّرهم ربهم) و" اختيار الفعل على هذه الصيغة مؤذن بتعاقب الخيرات عليهم، وتجدّد إدخال السرور في نفوسهم؛ لأنّ تجدّد التبشير يؤذن بأنّ المبشّر به شيء لم يكن معلوماً للمبشَّر وإلاّ لكان الإخبار به تحصيلاً للحاصل" (٢)

وكون المسند إليه (لفظ ربّ)، دون غيره ممّا يدلّ على الخالق سبحانه"إيماء إلى الرحمة بهم والعناية؛ لأنّ معنى الربوبية يَرجع إلى تدبير المربوب والرفق به واللطف به، ولتحصل به الإضافة إلى ضميرهم إضافة تشريف" (٣)

ومن التعبير بالجملة الفعلية المقيدة ما جاء في قوله تعالى:

١٢ - ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٢٨﴾ فقد جاء التقييد بالمشيئة في قوله تعالى:(إن شاء) ؛ " لتنقطع الآمال إلى الله تعالى وليبنبه على أنّه تعالى متفضل في ذلك،وأنّ الغني الموعود يكون لبعض دون بعض وفي عام دون عام"(٤)

(١) تفسير التحرير والتنوير: ١٤٠/١٠

(٢) السابق: ١٤٩/١٠

(٣) السابق بصفحته.

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٤٠١/١

قال الشهاب: "يعني إنّ التعليق بالمشيئة قد يتوهم أنّه لا يناسب المقام وسبب النزول وهو خوفهم الفقر، فإن دفعه بالوعد بإغنائهم من غير تردد أولى، والشرط يقتضي التردد عن غيره ولينبه على أنه متفضل به لا واجب عليه؛لأنه لو كان بالإيجاب لم يوكل إلى الإرادة فلا يقال: إن هذا لا حاجة إلى أخذه من الشرط مع قوله من فضله؛لأن فضله يفيد أنّه عطاء وإحسان وهذا يفيد أنه بغير إيجاب وشتان بينهما وكونه غير عام لكل إنسان وعام يفهم من التعليق وقيل: إنه للتنبيه بإرادته لا بسعى المرء"(١)

وفي قوله تعالى:

١٣- ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَـٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾﴾

جاء القصد من التقييد بحرف التوكيد (إنّ) "للاهتمام بمضمونه لتتوجّه أسماع الناس وألبابهم إلى وعْيِهِ"(٢)

وقد تتوالى الجمل الفعلية كما في قوله تعالى:

١٤- ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَـٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾

فقد جاءت جملة: (يضل به الذين كفروا) خبراً ثانياً عن النسيء أي: "هو ضلال مستمرّ

(١) عناية القاضي وكفاية الراضي: ٥٥١/٤

(٢) تفسير التحرير والتنوير: ١٨٠/١٠

لما اقتضاه الفعل المضارع من التجدّد، وقد اختير المضارع لهذه الأفعال(يضل،يحلونه،يحرمونه) لدلالته على التجدد والاستمرار، أي هم في ضلال متجدّد مستمرّ بتجدّد سببه، وهو تحليله تارة وتحريمه أخرى" (١)

ومن التعبير بالجملة الفعلية المقيدة بالشرط ما جاء في قوله تعالى:

١٥- ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ ﴿٤٠﴾﴾

جاءت جملة :(فقد نصره الله) "دليل على معنى الجواب المقدَّر لكونها في معنى العلّة للجواب المحذوف، فمضمون قوله تعالى:(فقد نصره الله)أي: قد حصل في الماضي فلا يكون جواباً للشرط الموضوع للمستقبل، والتقدير إن لا تنصروه فهو غني عن نصرتكم بنصر الله إيّاه إذ قد نصره في حين لم يكن معه إلا واحد لا يكون به نصر فكما نصره يومئذٍ ينصره حين لا تنصرونه" (٢)

ومن التعبير بالجملة الفعلية الإنشائية ما جاء في قوله تعالى:

١٦- ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾

فالنفير المأمور به:"ما يستقبل من الجهاد"(٣) أي: "انفروا إلى الجهاد في سبيل الله شَباباً كنتم أم شُيوخاً ،وقيل: مُوسرين ومعسرين،وقيل: مشاغيل وغير مشاغيل، وقيل: نُشَّاطاً وغير نُشَّاطٍ أي سواء خفَّت عليكم الحركةُ أو ثقُلَت أنتم مأمورون بالجهاد" (٤)

---

(١) تفسير التحرير والتنوير: ١٩٢/١٠

(٢) السابق: ٢٠١/١٠

(٣) إرشاد العقل السليم: ٦٧/٣

(٤) الجامع لأحكام القرآن: ١٣٦/٨-١٣٧

فجاء التعبير بصيغة الأمر(انفروا) تجريداً للأمر بالنفور بعد التوبيخ " (١)

وفي قوله تعالى:(خفافاً وثقالاً)جاء التقييد بالحال، فهما حالان من ضمير المخاطبين على أي:" حال كان من يُسر وعُسر حاصلَين بأي سبب كان من الصحة والمرض، أو الغِنى والفقر، وقلة العيال وكثرتهم أو خفافاً من السلاح وثقالاً منه أو رُكباناً ومُشاةً أو شباناً وشيوخاً أو مهازيل وسماناً أو صحاحاً ومِراضاً ليس لتخصيص الأمر بالمتقابلين بالإرادة من غير مقارنةٍ للباقي" (٢)

ومن التعبير بالجملة الفعلية المقيدة بالبدل ما جاء في قوله تعالى:

١٧ - ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾﴾

فقد جاء قوله تعالى: (يهلكون أنفسهم)"بدلا من سيحلفون لأن الحلف الكاذب إهلاكٌ للنفس، أوحالٌ من فاعل لخرجنا أي مهلكين أنفسنا، جيء به على طريقة الإخبار عنهم كأنه قيل أو من فاعل خرجنا أي لخرجنا معكم مهلكين أنفسنا" (٣)

ومن التعبير بالجملة الفعلية المقيدة بالنفي ما جاء في قوله تعالى:

١٨ -﴿ لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾﴾

أي :"ليس من عادة المؤمنين أن يستأذنوك في أن يجاهدوا فإن الخلّص منهم يبادرون إليه ولا يتوقفون على الإذن فيه فضلاً أن يستأذنوك في التخلف عنه، أو أن يستأذنوك في التخلف

(١) إرشاد العقل السليم:٦٥/٣

(٢) السابق:٦٧/٣

(٣) تفسير التحرير والتنوير:٦٨/١٠

كراهة أن يجاهدوا"[1]قال القونوي .:"المراد هنا الاستمرار في النفي لا نفي الاستمرار فيكون الاستمرار المستفاد من صيغة المستقبل مسلطاً في النفي، وحاصل المعنى أنّ عدم الاستئذان عادة مستمرة لهم"[2]

ومن التعبير بالجمل الفعلية ما جاء في قوله تعالى:

١٩ -﴿ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾﴾

فقد"جيء بصيغة المضارع في قوله تعالى:(لا يؤمنون)؛للدلالة على تجدّد نفي إيمانهم كذلك في قوله (يترددون):للدلالة على تجدد التردد.

أما في قوله تعالى:(وارتابت قلوبهم) جيء بصيغة الماضي؛ للدلالة على قدم ذلك الارتياب ورسوخه، فلذلككان أثره استمرار انتفاء إيمانهم" [3]

ومن التعبير بالجملة الفعلية المقيدة ما جاء في قوله تعالى:

٢٠ -﴿وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَـٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾

قال البيضاوي في قوله تعالى: (ولو أرادوا الخروج):"كأنه قال ما خرجوا ولكن تثبطوا؛لأنّه تعالى كره انبعاثهم أي: نهوضهم للخروج، (فثبطهم) فحبسهم بالجبن والكسل"[4]

قال أحد شراحه :"قوله عزّوجلّ - لو أرادوا الخروج وقوله :(كره الله انبعاثهم) نفي

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٤٠٦/١

(٢) حاشية القونوي: ٢٣٨/٩

(٣) تفسير التحرير والتنوير: ٢١٣/١٠

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٤٠٧/١

لإرادتهم الخروج أيضا، فكيف استدرك نفي إرادتهم الخروج بنفي إرادة الله الخروج والاستدراك من النفي إثبات ،ومن الإثبات نفي وحاصل الجواب أن قوله تعالى:(لو أرادوا الخروج) يستلزم نفي خروجهم والمراد بقوله تعالى:(ولكن كره الله انبعاثهم) فثبطهم عن الخروج؛لأنّ كراهية الله انبعاثهم سبب لتثبطهم،فأقيم السبب مقام المسبّب، فكأنه قيل :ما خرجوا ولكن تثبطوا عن الخروج فهو استدراك نفي الشيء بإثبات ضده"(١)

وفي قوله تعالى:

٢١- ﴿ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾

قال البيضاوي:"(وفيكم سمّاعون لهم) نمَعَفَة (يسمعون) قولهم ويطيعونهم، أو نمامون يسمعون حديثكم للنقل إليهم"(٢)

قال أحد شراحه:" أي:مفعول يسمعون محذوف واللام في لهم للتعليل واعتبر فعلاً خاصاً بمتعلقه لقيام القرينة عليه وتقدير الفعل الخاص عند القرينة أفيد من تقدير الفعل العام، ولم يشر إلى المبالغة المستفادة من الصيغة بحسب الظاهر"(٣)

وفي قوله تعالى:

٢٢- ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾

جاء التعبير في قوله تعالى: (إنّ جهنم لمحيطة بالكافرين) بُ الجملة الاسمية للدِ لالة على الثبات والاستمرارِ،أو محيطةٌ بهم الآن تنزيلاً لشيء سيقع عن قريب منزلَة الواقعِ أو وضعاً

(١) حاشية القونوي:٩/٢٤١

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:١/٤٠٧

(٣) حاشية القونوي:٩/٢٤٤

لأسباب الشيء موضعه فإن مبادئ إحاطة النار بهم من الكفر والمعاصي محيطة بهم الآن من جميع الجوانب ومن جملتها ما فروا منه وما سقطوا فيه من الفتنة"[١]

ومن التعبير بالجملة الاسمية ما جاء في قوله تعالى:

٢٣- ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾

"جعلت جملة (ونحن نتربص) اسمية فلم يقل ونتربّص بكم بخلاف الجملة المعطوف عليها[٢] لإفادة تقوية التربّص، وكناية عن تقوية حصول المتربَّص لأن تقوية التربّص تفيد قوة الرجاء في حصول المتربَّص فتفيد قوّة حصوله وهو المكنىّ عنه" [٣]

و في قوله تعالى:

٢٤- ﴿ قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾

جاءت جملة :(إنكم كنتم قوماً فاسقين)"في موضع العلّة لنفي التقبّل، ولذلك وقعت فيها (إنّ) المفيدة لمعنى فاء التعليل، لأنّ الكافر لا يتقبّل منه عمل البرّ "[٤]

ومن التعبير بالفعل المضارع ما جاء في قوله تعالى:

٢٥- ﴿ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾

"اختيار صيغة المضارع في قوله تعالى: (يحلفون) وقوله: (يفرقون) للدلالة على التجدد وأن

(١) إرشاد العقل السليم:٧٢/٣

(٢) عطف جملة اسمية (نحن نتربص) على جملة فعلية (تربصون)

(٣) تفسير التحرير والتنوير:٢٢٥/١٠

(٤) السابق ٢٢٦/١٠

ذلك دأبهم دائما"[١]

ومن التعبير بالجملة الفعلية المقيدة ما جاء في قوله تعالى:

٢٦-﴿ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَـٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾

جاءت الجملة مقيدة، فقد جاء"دخول (لو) على المضارع لقصد استمرار الفعل فيما مضى وقتا فوقتا أي إن امتناع إقبال المنافقين نحو الملجأ وغيره بسبب استمرار امتناع وجدانهم هذه الأمكنة وهذا أولى وابلغ من كون المعنى هكذا إن امتناع إقبال المنافقين جانب هذه المواضع بسبب امتناع استمرار وجدانهم تلك الحصون"[٢]

ومن التعبير بالجملة الفعلية أيضا ما جاء في قوله تعالى:

٢٧-﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾

اختيرت صيغة المضارع في قوله تعالى: (يحذر)، وقوله(تحذرون)"لما تشعر به من استحضار الحالة" [٣]

وفي قوله تعالى:

٢٨-﴿ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾

فقوله تعالى: (قد كفرتم) يدلّ على وقوع الكفر منهم في الماضي، أي قبل الاستهزاء

(١) تفسير التحرير والتنوير ٢٣٠/١٠

(٢) حاشية القونوي:٢٥٤/٩

(٣) تفسير التحرير والتنوير:٢٤٩/١٠

وذلك أنّه قد عُرف كفرهم من قبل"[1] كما جاء التعبير بالفعل الماضي في قوله تعالى:

٢٩- ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾

" قوله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ﴾ إمّا إخبار عن وَعد تقدّم في آي القرآن قُصد من الإخبار به التذكير به لتحقيقه، وإمّا أن يكون قد صيغ هذا الوعد بلفظ المضي على طريقة صِيَغ العقود مثل بِعت:(وتَصدّقتُ)، لكون تلك الصيغة معهودة في الالتزام الذي لا يَتخلّف مثل العقد والالتزام" [2]

ومن التعبير بصيغة المستقبل في الجمل الفعلية ما جاء في قوله تعالى:

٣٠- ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ ﴿٧٤﴾ ﴾

إيثارُ" صيغةِ الاستقبالِ في (يحلفون) لاستحضار الصورةِ، أو للدلالة على تكرير الحلف وصيغةُ الجمعِ في قالوا مع أن القائلَ هو الجلاس[3] للإيذان بأن بقيتَهم برضاهم بقوله صاروا بمنزلة القائل" [4]

---

(١) تفسير التحرير والتنوير: ٢٥٢/١٠

(٢) السابق: ٢٥٥/١٠

(٣) المقصود الجلاس بن سويد وهو القائل:(لئن كان ما يقول محمد لإخواننا حقاً لنحن شر من الحمير، فبلغ ذلك رسول الله_ صلى الله عليه وسلم_ فاستحضره فحلف بالله ما قاله فنزلت فتاب الجلاس وحسنت توبته. ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٤١٣/١

(٤) إرشاد العقل السليم: ٨٤/٣

ومن التعبير أيضا بالمضارع في الجملة الفعلية ما جاء في قوله تعالى:

٣١- ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾

عبرّ عن كذبهم بصيغة المضارع بعد فعل الكون في قوله تعالى: (كانوا يكذبون) لِلدلالة كان على أنّ الكذب كائن فيهم، ومتمكّن منهم، وجاء بعده بصيغة المضارع للدلالة على تكرار الكذب منهم وتجدده(١)

وفي قوله تعالى:

٣٢- ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾

اُختير التعبير بالمضارع في قوله تعالى:(يلمزون) وقوله تعالى:(يسخرون) "للدلالة على التكرر" (٢)

ومن التعبير بالجملة الفعلية بصيغة الأمر ما جاء في قوله تعالى:

٣٣- ﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾

فقد اُستخدمت صيغة الأمر في قوله تعالى: (استغفر) " في معنى التسوية المراد منها لازمها وهو عدم الحذر من الأمر المباح، والمقصود من ذلك إفادة معنى التسوية التي تَرد صيغة الأمر

(١) تفسير التحرير والتنوير: ٢٧٣/١٠

(٢) السابق: ٢٧٥/١٠

لإفادتها كثيراً " (١)

و في قوله تعالى:

٣٤- ﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾

جاء التعبير بفعل: (رضيتم) ليدلّ على أنّ ما ارتكبوه من القعود عمل من شأنه أن يأباه الناس حتى أطلق على ارتكابه فعل (رضي) المشعر بالمحاولة والمراوضة فجُعلوا كالذي يحاول نفسه على عمل وتأبى حتى يرضيها(٢)

و في قوله تعالى:

٣٥- ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾

جاء التقييد بالصفة في قوله تعالى:(ولاتصل على أحد منهمات أبداً)

فجاءت"(منهم)صفة لـ(أحد) وجملة (مات)صفة ثانية لـ (أحد)" (٣) لتخصيص المنعوت بصفة تميزه عما عداه، وهذا يكون في النكرة غالبا كما ذكر علماء البلاغة.

---

(١) تفسير التحرير والتنوير: ٢٧٧/١٠

(٢) يُنظر: السابق: ٢٨٣/١٠

(٣) السابق بصفحته

و في قوله تعالى:

٣٦- ﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾ ﴾

قال أبو السعود في مجيء الجملة الاسمية في قوله تعالى (إلا إنها قربة لهم):"وفي إيراد الجملة اسمية ،وتصديرها بحرفي التنبيه والتحقيق من الجزالة ما لا يخفى"(١)

وقيل:"أخبر سبحانه بقبولها خبراً مؤكداً باسمية الجملة، وحرفي التنبيه والتحقيق، وفي هذا من التطييب لخواطرهم، و التطمين لقلوبهم ما لا يقادر قدره، مع ما يتضمنه من النعي على من يتخذ ما ينفق مغرماً، والتوبيخ له بأبلغ وجه " (٢)

و في قوله تعالى:

٣٧- ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾

جاءت جملة:(ومن أهل المدينة) عطفاً على جملة: (ممن حولكم)أو خبر لمحذوف صفته:(مردوا على النفاق)"وعلى الأول صفة للمنافقين، فصل بينها وبينه با لمعطوف على الخبر أو كلام مبتدأ لبيان تمرنهم وتمهرهم في النفاق"(٣)

وكونها خبراً لمحذوف،أي: خبر مبتدأ محذوف، صفة ذلك المبتدأ :أنهم مردوا على النفاق

---

(١) إرشاد العقل السليم:٩٦/٣

(٢) فتح القدير:٣٩٦/٢

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤١٩/١

والتقدير:" ومن أهل المدينة قوم مردوا"[1]

و في قوله تعالى:

٣٨- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾

جاء قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ﴾ ترغيبٌ للمؤمنين في الجهاد ببيان فضيلته إثرَ بيانِ حالِ المتخلفين عنه، ولقد بولغ في ذلك على وجه لا مزيدَ عليه حيث عبرّ عن قَبول الله تعالى من المؤمنين أنفسَهم وأموالَهم التي بذلوها في سبيله تعالى وإثابتِه إياهم مقابلتها الجنةَ بالشراء على طريقة الاستعارة التبعية، ثم جعل المبيعُ الذي هو العُمدةُ والمقصِدُ في العقد أنفُسَ المؤمنين وأموالَهم والثمنُ الذي هو الوسيلةُ في الصفقة الجنةُ ولم يجُعل الأمرُ على العكس بأن يقال: إن الله باع الجنةَ من المؤمنين بأنفسهم وأموالهم ليدل على أن المقصِد في العقد هو الجنةُ وما بذله المؤمنون في مقابلتها من الأنفس والأموال وسيلةٌ إليها إيذاناً بتعليق كمالِ العنايةِ بهم وبأموالهم ثم إنه لم يقل بالجنة بل قيل: ﴿بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَ﴾ مبالغةً في تقرير وصولِ الثمنِ إليهم واختصاصِه بهم كأنه قيل بالجنة الثابتةِ لهم المختصةِ بهم. "[2]

و جيء المسند:(اشترى) جملة فعلية؛ "لإفادتها معنى المضي،إشارة إلى أن ذلك أمر قد استقر من قبل، وأنهم كالذين نسوه أو تناسوه حين لم يخُفُّوا إلى النفير الذي استنفروه،إشارة إلى أنّ الوعد بذلك قديم متكرر معروف في الكتب السماوية" [3]

(١) حاشية القونوي:٣٢٤/٩

(٢) إرشاد العقل السليم:١٠٤/٣ ومابعدها

(٣) تفسير التحرير والتنوير:٣٧/١١

وفي قوله تعالى:

٣٩ -﴿إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (١١٦)﴾

جاءت جملتا: (يحيي ويميت) لتّصوير معنى الملك في أتم مظاهره المحسوسة للنّاس المسلَّمُ بينهم أن ذلك من تصرف الله تعالى لا يستطيع أحدٌ دفع ذلك، ولا تأخيره"[١]

وفي قوله تعالى:

٤٠ -﴿وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢١)﴾

جاء خبر(كانوا) في قوله تعالى:(ما كانوا يعملون) مضارعا لـ"إفادة أن مثل هذا العمل كان ديدنهم"[٢]

وفي قوله تعالى:

٤١ -﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (١٢٣)﴾

اعلموا هنا بمعنى أيقنوا ، أي:" أيقنوا عند قتالكم إياهم أن الله معكم وهو ناصركم عليهم فإن اتقيتم الله وخفتموه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه، فإن الله ناصر من اتقاه ومعينه"[٣]

---

(١) تفسير التحرير والتنوير: ٤٨/١١

(٢) السابق: ٥٨/١١

(٣) جامع البيان: ٧١١/١١

وافتتاح الجملة بـ (اعلموا)" للاهتمام بما يراد العلم به"[1]

وفي قوله تعالى:

٤٢ -﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ﴾

اختيرت الجملة الاسمية في قوله تعالى:﴿ و لا هم يذّكرون ﴾؛"لإفادة الدوام والثبات؛ولأنّ عادتهم الاستمرار على ذلك "[2]

من كلّ ما تقدم يتبين لنا أنّ للجملة الاسمية، كما للجملة الفعلية، أهمية في إيضاح المعنى، فإذا أريد التعبير عن معنى الثبوت، فإنه يؤتى بالجملة الاسمية، أما إذا أريد التعبير عن معنى التجدد والاستمرار، واستحضار الصورة، فإنه يؤتى بالجملة الفعلية.

كذلك قد يأتي الكلام مطلقاً، بدون أيّ قيد، وذلك فيما إذا لم يتعلّق غرض بذكر الخصوصيات، وإنما المقصود أصل الكلام، وقد يُؤتى به مقيّداً، لتوقّف الكلام، أو مقصود المتكلّم عليه.

---

(١) تفسير التحرير والتنوير:: ٦٤/١١

(٢) حاشية القونوي:٣٧٥/٩

المبحث الثاني: التقديم والتأخير وأسراره البلاغية.

توطئة:

قال عبد القاهر الجرجاني ـــ رحمه الله ـــ عن التقديم والتأخير: "هو باب كثير الفوائد، جم المحاسن واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفترُّ لك عن بديعة ويفضي بك إلى لطيفة"(١)

ويُعد تقديم ما حقه التأخير أحد طرق القصر المشهورة عند البلاغيين، قال القزويني:

"للقصر طرق منها (العطف)، ومنها (النفي والاستثناء) ومنها (إنما) ومنها التقديم" (٢)

وسيأتي الحديث عن القصر بالتقديم في موضعه من هذا البحث(٣)، وقد أضطّر لإيراد بعض آيات القصر بالتقديم هنا لأسراره البلاغية.

والتقديم على وجهين: "تقديم يقال: إنّه على نية التأخير، وذلك في كلِّ شيء أقررته مع التقديم على حكمه الذي كان عليه وفي جنسه الذي كان فيه كخبر المبتدأ إذا قدمته على المبتدأ والمفعول إذا قدمته على الفاعل كقولك: منطلقٌ زيدٌ، وضربَ عمراً زيدٌ، معلومٌ أنّ منطلقاً وعمراً لم يخرجا بالتقديم عمّا كانا عليه من كون هذا خبرَ مبتدأ ومرفوعاً بذلك، وكون ذلك مفعولاً ومنصوباً من أجله، كما يكون إذا أخرت، وتقديم لا على نية التأخير، ولكن على أنْ تنقل الشيء عن حكم إلى حكم وتجعل له باباً غير بابه، وإعراباً غير إعرابه، وذلك أن تجيء إلى اسمين يحتمل كُلٌّ واحد منهما أنْ يكون مبتدأ، ويكون الآخر خبراً له، فتقدم تارة هذا على ذاك وأخرى ذاك على هذا"(٤)

---

(١) دلائل الإعجاز: ١٠٦

(٢) التلخيص: ١٣٩ ومابعدها

(٣) المبحث الثالث من هذا الفصل

(٤) دلائل الإعجاز: ١٠٦

وهنا ألمح الشيخ إلى السرّ في التقديم والتأخير، وأنّه لا يأتي اعتباطا، وإنما لغاية. والقرآن أعلى مثل في ذلك فإنّك تراه يُقدم لفظة مرة، ويؤخرها مرة أخرى على حسب المقام، كلّ ذلك بحسب ما يقتضيه القول وسياق التعبير.

صور من التقديم والتأخير في السورة:

من صور التقديم في هذه السورة المباركة، تقديم ماله الصدارة ومنه قوله تعالى:

١- ﴿كَيۡفَ يَكُونُ لِلۡمُشۡرِكِينَ عَهۡدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ فَمَا ٱسۡتَقَٰمُواْ لَكُمۡ فَٱسۡتَقِيمُواْ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ۝٧﴾

كيف: اسم استفهام في محل نصب خبر مقدم لـ(يكون)، والاستفهام في قوله تعالى: (كَيْفَ):

"استفهام بمعنى الإنكار والاستبعاد، لأنْ يكون لهم عهدٌ، ولا ينكثوه مع وغرة صدورهم، أو لأنّ يفي الله ورسوله بالعهد، وهم نكثوه، وخبر يكون: (كيف) وقُدِّم للاستفهام، أو للمشركين أو عند الله، وهو على الأوّلين صفة للـ(عهد)، أو ظرف له أو لـ(يَكُونَ)، و(كَيْفَ) على الأخيرين حال من الـ(عهد)، و(لِلْمُشْرِكِينَ) إن لم يكن خبراً فتبيين"[1]

وإذا كان خبر (يكون) هو (كيف) فاسمها (عهد) إذا كان الفعل: (يكون) من الكون الناقص ويُحتمل أن يكون من الكون التام كما اختاره البعض.[2]

ومثلها قوله تعالى:

٢- ﴿كَيۡفَ وَإِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ لَا يَرۡقُبُواْ فِيكُمۡ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ يُرۡضُونَكُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَتَأۡبَىٰ قُلُوبُهُمۡ وَأَكۡثَرُهُمۡ فَٰسِقُونَ ۝٨﴾

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ١/٣٩٦

(٢) يُنظر: حاشية القونوي: ٩/١٦٠

حيث جاءت(كيف) اسم استفهام في محل نصب خبر مقدم ليكون،فتقدم لأنّ الاستفهام له حق الصدارة.

ومن التقديم لرعاية الفاصلة ما جاء في قوله تعالى:

٣-﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ ۚ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ ﴾

فقد جاء تقديم الظرف المتعلق بالخبر في قوله تعالى:(وفي النّار هم خالدون) تأكيداً لمضمون الجملة [(١)] والسرّ من وراء هذا التقديم" للاهتمام به، ولأجل الفاصلة"[(٢)]

وفي قوله تعالى:

٤-﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾

قُدِّمَ الأبلغُ منهما وهو: (الرؤوف)لأنّ الرأفة شدة الرحمة ومحافظة على الفواصل" [(٣)]

وتقديم المتعلّق على عامليه في قوله: (بالمؤمنين رءوف رحيم)"للاهتمام بالمؤمنين في توجه صفتيْ رأفته ورحمته بهم" [(٤)]

---

(١) يُنظر:فتح القدير:٣٤٤/٢

(٢) الدر المصون:٤٥٣/٣

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤٢٦/١

(٤) تفسير التحرير والتنوير:٧٣/١١

و من التقديم لأجل القصر [1]ما جاء في قوله تعالى:

٥- ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾

الأصل في قوله تعالى: (وعلى الله فليتوكل المؤمنون):ليتوكلِ المؤمنون على الله،"قدّم الظرفُ على الفعل لإفادة القصْرِ "[2]

وفي قوله تعالى:

٦- ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَاۖ فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾

تقدم المسند إليه في قوله تعالى:(ونحن نتربص) على الخبر الفعلي للحصر. [3]

ومنه أيضا قوله تعالى:

٧- ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾

حيث جاء تقديم المجرور لإفادة القصر،"أي: إلى الله راغبون، لا إلى غيره" [4]

وفي قوله تعالى:

٨- ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾ ﴾

---

(١) تم تناول ما يختص بهذا الغرض في فصل القصر من هذا البحث وما ذكر هنا على سبيل المثال لا الحصر.

(٢) إرشاد العقل السليم:٣/٧٣

(٣) ينظر:حاشية القونوي:٩/٢٥٠

(٤) تفسير التحرير والتنوير:١٠/٢٣٤

معنى القصر مستفاد من "تقديم الجار على الفعل في (عليه توكلت)؛ فإنّ معناه لا أتوكل على غيره"[1]

ومنه ما جاء في قوله تعالى:

٩- ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾﴾

فقد تأخر النصر عليهم_ في النظم القرآني_ ووجه التقديم للتعذيب، و الإخزاء على النصر في الذكر؛ لأنّ التعذيب لاسيما أنه جاء(بأيدي) المخاطبين مما يكون قرة العين به من قبلهم.[2]

وفي قوله تعالى:

١٠- ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾

جاء الجار والمجرور في (من دون الله) متعلقين بمحذوف مفعول به ثانٍ مقدم لـ(يتخذوا)

قال ابن عاشور:"(من دون الله) متعلّق بـ (وليجة) في موضع الحال المبيّنة"[3]

وقيل:"(من دون الله) متعلقٌ (بالاتخاذ) أُبقيَ على حاله، مفعولٌ ثانٍ إن جُعل بمعنى التصيير"[4] وأيا كان متعلقه فالغرض من تقديمه للاهتمام به.

(١) حاشية القونوي:٣٧٧/٩

(٢) يُنظر: حاشية القونوي:١٧٤/٩

(٣) تفسير التحرير والتنوير:١٣٨/١٠

(٤) إرشاد العقل السليم:٤٩/٣

وفي قوله تعالى:

١١- ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٌ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٤١﴾

تقدمت: (الأموال) على (الأنفس)؛ لأنَّ "الجهاد بالأموال أقلّ حضوراً بالذهن عند سماع الأمر بالجهاد، فكان ذكره أهمّ بعد ذكر الجهاد مجملاً " [١]

وفي قوله تعالى:

١٢- ﴿فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ٥٥﴾

في الكلام تقديمٌ وتأخير، والمعنى: فلا تعجبك أموالهم، ولا أولادهم في الحياة الدنيا، إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة [٢]

وفي قوله تعالى عند ذكر أصناف أهل الزكاة:

١٣- ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٦٠﴾

استدل بعضهم على أن (الفقير)أسوأ حالاً من (المسكين) بتقديمه عليه في الآية، ولا دليل فيه لأنّ التقديم له اعتبارات كثيرة في كلام العرب [٣]

---

(١) تفسير التحرير والتنوير:١٠/٢٠٧

(٢)يُنظر: الدر المصون:٣/٤٧٣

(٣)يُنظر: رعاية القاضي وكفاية الراضي:٤/٥٨٦.

وفي قوله تعالى

١٤ -﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾﴾

قال صاحب الدر المصون:"في الكلام تقديمٌ و تأخير تقديره: والله أحقُّ أن يُرْضوه ورسولُه"(١)

وفي قوله تعالى:

١٥ -﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾﴾

(أبالله) متعلقٌ بقوله:(تستهزئون) و(تستهزئون) خبرُ كان، وفيه دليلٌ على تقديم خبر كان عليها، لأنَّ تقديمَ المعمول يُؤْذِن بتقديم العامل، وقد تقدم معمول الخبر على "كان""(٢)

فقُدم الجار والمجرور على معموله توبيخاً على استهزائهم بمن لا يصح الاستهزاء به (٣)

إنّ تقديم المتعلق في مثل ههنا؛ للإشعار بأنّ الإنكار للمتعلق، لا لأصل الفعل

و"المقصود ليس إنكار حصر الاستهزاء به تعالى بل إنكار الاستهزاء المتعلق به تعالى وآياته ورسوله"(٤)

(١) الدر المصون:٤٧٨/٣

(٢) السابق:٤٨٠/٣

(٣)يُنظر:أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤١١/١

(٤) حاشية القونوي:٢٧٣/٩

وحين يرى أغلب البلاغيين[1] أنه لاقصر في هذه الآية يرى ابن عاشور أنّ في هذه الآية قصراً ، وأورد الدليل على صحة ما ذهب إليه فقال:"والاستفهام إنكاري توبيخي، وتقديم المعمول وهو (أبالله) على فعله العامل فيه لقصد قصر التعيين؛لأنّهم لما أتوا في اعتذارهم بصيغة قصر تعيين[2]جيء في الردّ عليهم بصيغة قصر تعيين؛ لإبطال مغالطتهم في الجواب، فأعلمهم بأنّ لعبهم الذي اعترفوا به ما كان إلاّ استهزاء بالله وآياته ورسوله لا بغير أولئك، فقصْر الاستهزاء على تعلّقه بمن ذكر اقتضى أنّ الاستهزاء واقع لا محالة؛لأنّ القصر قيد في الخبر الفعلي، فيقتضي وقوعَ الفعل، على ما قرّره عبد القاهر في معنى القصر الواقع في قول القائل: أنا سعيتُ في حاجتك وأنّه يؤكّد بنحوجدي، أوْ لا غيري، وأنّه يقتضي وقوع الفعل فلا يقال: ما أنا قلت هذا ولا غيري، أي ولا يقال: أنا سعيت في حاجتك وغيري، وكذلك هنا لا يصحّ أن يفهم أبالله كنتم تستهزِئون أم لمَْ تكونوا مستهزئين"[3]

وفي قوله تعالى:

١٦ -﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾

جاءت جملة(رضي) خبراً عن قوله (السابقون) فتقدم المسند إليه على خبره الفعلي"لقصد التقوي والتأكيد"[4]

(١)لم ينص أغلب المفسرين المهتمين بالبلاغة على كونه قصراً ؛ يُنظر التفسير الخاص بهذه الآية في:الكشاف،زاد المسير،فتح القدير، إرشاد العقل السليم

(٢) المقصود قوله تعالى:(إنما كنا نخوض ونلعب).

(٣) تفسير التحرير والتنوير:٢٥١/١٠

(٤) السابق:١٨/١١

وفي قوله تعالى:

١٧-﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ۚ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ۚ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾

جاء قوله تعالى: (وعداً عليه) مصدراً مؤكداً لمضمون الجملة؛ لأن معنى الشراء بأنّ لهم الجنة وعد لهم بها على الجهاد في سبيله سبحانه، وقوله تعالى: (حقّاً) نعت له و (عليه) في موضع الحال من (حقّاً) لتقدمه عليه"(١)

وقيل: تقدم (حقاً) " على عامله للاهتمام بما دل عليه حرف (على) من معنى الوجوب" (٢)

وفي قوله تعالى:

١٨-﴿لَّقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾

المراد من هذه الآية: ذكر التوبة على المهاجرين، والأنصار، إلا أنّه جيء في ذلك بالنبي -صلى الله عليه وسلم- تشريفاً لهم وتعظيماً لقدرهم"(٣)

وقيل:" تقديم النبي -صلى الله عليه وسلم- في تعلق فعل التوبة بالغُزاة؛ للتنويه بشأن هذه التوبة، وإتيانها على جميع الذنوب إذ قد علم المسلمون كلهم أن- النبي صلى الله عليه وسلم-

(١) روح المعاني: ٦/١٢/٣٠

(٢) تفسير التحرير والتنوير: ١١/٣٩

(٣) روح المعاني: ٦/١٢/٣٨

قد غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر"[(١)]

من خلال ما تقدم من آيات نخلص إلى: أن ما يدعو بلاغياً إلى تقديم جزء من الكلام، هو ذاته ما يدعو بلاغياً إلى تأخير الجزء الآخر.

و تقديم الألفاظ بعضها على بعض له أسباب عديدة، يقتضيها المقام وسياق القول أشهرها أننا لا نقدم إلا ما نهتم له، والاهتمام باللفظة لا يكون من حيث أنها لفظة معينة، بل قد تكون العناية بحسب مقتضى الحال، ولذا نجد أن السبب في تقديم كلمة في موضع يختلف عن سبب تأخيرها في موضع آخر؛ لأن مراعاة مقتضى الحال تقتضي ذلك، والقرآن الكريم أعلى مثل في ذلك، فإنا نراه يقدم لفظة مرة ويؤخرها مرة أخرى على حسب المقام.

(١) تفسير التحرير والتنوير: ٤٩/١١

المبحث الثالث: القصر

توطئة:

القصر لغة يأتي بمعنى: الحبس [1] وفي الاصطلاح يعني:"تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص" [2]

و جملة القصر المكونة من موصوف وصفة، تنتظم حكمين هما: إثبات الحكم للمقصور عليه، ونفيه عن غيره، فهي تنحل إلى جملتين في المعنى، وتغنى غناءهما.

وتداخل النفى والإثبات فيالقصر، يجعله مركزاً ذا إشعاع، وظلال وقوة حسم؛لأنّه من أقوى طرق التوكيد [3]

وهو قسمين:حقيقي، وإضافي [4] ، وطرقه معروفة، أشهرها [5]:

١. طريق النفي والاستثناء.

٢. طريق(إنما).

٣. تقديم ما حقه التأخير.

٤. العطف بـ(لا، بل، لكن).

٥. وهناك طرق أخرى للقصر منها ضمير الفصل وتعريف المسند.

والأغراض البلاغية للقصر كثيرة تكون حسب السياق من أشهرها:

---

(١) لسان العرب مادة:(ق،ص،ر): ٩٧/٥

(٢) شروح التلخيص:١٦٦/٢

(٣) يُنظر: المفصل في علوم البلاغة:٢٣٨

(٤) التلخيص:١٣٧

(٥) السابق: ١٣٩

١-تمكين الكلام وتقريره في الذهن.

٢-المبالغة في التأكيد حتى قيل: إن القصر ماهو إلا تأكيد على تأكيد.

٣-الإيجاز. (١)

صور من القصر في السورة:

القصر بالنفي والاستثناء:

و منه قوله تعالى:

١-﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾

في قوله تعالى﴿ولم يخشَ إلا الله﴾قُصرت الخشية على التعلّق بجانب الله تعالى، و ليس المراد منه أنهّم لا يخافون شيئاً غير الله،فهم قد يخافونغيره مما يخُيف الأسَد والعدوّ ، ولكن معناه: إذا تردّد الحال بين خشيتهم الله،وخشيتهم غيره، فإنهمقيدّمون خشية الله على خشية غيره "فالقصر هنا إضافي باعتبار تعارض الخشيتين. (٢)

وفي قوله تعالى:

٢-﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾

(لا إله إلا هو) أي:" لا يصلح أن يكون معه إله آخر"(٣)

(١) المفصل في علوم البلاغة:٢٣٨

(٢) يُنظر:تفسير التحرير والتنوير:١٤٢/١٠

(٣) نظم الدرر:٣٠٣/٣

إن تخصيص العبادة به تعالى لا يتحقق إلا بتخصيص الطاعة به أيضاً ،وحيث لم يخصوها به تعالى لم يخصوا العبادة به سبحانه[1]

وفي قوله تعالى:

٣- ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾

قال صاحب الكشاف:فإن قلت : كيف جاز: أبى الله إلا كذا، ولا يقال: كرهت أو أبغضت إلا زيداً؟ قلت : قد أجرى (أبى) مجرى (لم يرد) ألا ترى كيف قوبل (يريدون أن يطفئوا) بقوله (ويأبى الله) وكيف أوقع موقع ولا يريد الله إلا أن يتم نوره)."[2]

وقال النحاس:"كيف دخلت (إلا) وليس في الكلام حرف نفي؟ ولا يجوز ضربت إلا زيدا"[3]

ثم ذكر في ذلك ثلاثة آراء:

أ- زعم " الفراء أن (إلا) إنما دخلت لأن في الكلام طرفا من الجحد.

ب_قال أبو اسحاق: الجحد والتحقيق، ليسا بذوي أطراف وأدوات الجحد:

(ما، ولا، ولم،ولن،وليس)، وهذه لا أطراف لها ينطق بها،ولو كان الأمر كما أراد لجاز كرهت إلا زيدا ولكن الجواب أن العرب تحذف مع(أبى) والتقدير ويأبى الله كل شئ إلا أن يتم نوره"[4]

---

(١) ينظر:إرشاد العقل السليم:٦١/٣

(٢) الكشاف:٣٥/٣ ومابعدها

(٣) إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس:٢١١/٢

(٤) السابق بصفحته

ج- قال علي بن سليمان:"إنما جاز هذا في يأبى لأنها منع أو امتناع فضارعت النفي"[1]

وقد أيد هذا القول النحاس بقوله"وهذا قول حسن"[2]

د-قال البيضاوي:"وإنما صح الاستثناء المفرّغ والفعل موجب لأنه في معنى النفي" [3]

ومنه أيضا قوله تعالى:

٤- ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٥١ ﴾ جاءت جملة:(إلا ماكتب الله لنا) "مفيدة معنى الاختصاص،كأنه قيل: لن يصيبنا إلاّ ما اختصنا الله [به] بإثباته، وإيجابه من النصرة عليكم أو الشهادة أو ما كتب لأجلنا في اللوح المحفوظ لا يتغير بموافقتكم ولا بمخالفتكم"[4]

وفي قوله تعالى:

٥- ﴿ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ١٢٩ ﴾

جاءت الجملة:(إلاّ هو) استئنافاً مقرِّراً لمضمون ما قبله[5]وربما جاءت مستأنفة للثناء بالوحدانية، أو في موضع الحال. [6]

(١) إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس:٢١١/٢

(٢) السابق بصفحته

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤٠٣/١

(٤) الكشاف:٥٢/٣

(٥)يُنظر: إرشاد العقل السليم:١١٤/٣

(٦)يُنظر: تفسير التحرير والتنوير:٧٣/١٠

القصر بإنما:

ومنه ما جاء في قوله تعالى:

٦- ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾

جاء القصر في قوله تعالى (إنما يعمر مساجد الله) "المراد قصر تحقق العمارة ووجودها على المؤمنين لا قصر جوازها ولياقتها أي إنما يصح ويستقيم أن يعمرها عمارة يعتد بها (من آمن بالله) وحده "[١]

فالمقصور عليه هنا الفاعل وهو قوله تعالى:(من آمن بالله)، وما عطف عليه، قصر عمارة المسجد الحرام على من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة واتى الزكاة.

وفي قوله تعالى:

٧- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾

جاء القصر في قوله تعالى:(إنما المشركون نجس) بين المبتدأ والخبر [٢]ونجاسة المشركين في الآية، إنما استحقوها"لخبث باطنهم ،أو لأنه يجب أن يجتنب عنهم كما يجتنب عن الأنجاس، أو لأنهم لا يتطهرون ولا يتجنبون عن النجاسات فهم ملابسون لها غالباً ، وفيه دليل على أن ما

---

(١) إرشاد العقل السليم:٥١/٣

(٢)يُنظر: إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس:٢٠٩/٢

الغالب نجاسته نجس"[1]

والقصر المستفاد من إ(نما)هو:" قصر المشركين على النجس كما هو المشهور عند أئمة البلاغة من أن المقصور عليه يؤخر في (إنما)"[2]

وقد مال الإمام الرازي إلى خلافه فقال:"واعلم أن قوله تعالى: (إنما المشركون نجس) يدل على فساد هذا القول؛ لأن كلمة (إنما) للحصر، وهذا يقتضي أن لا نجس إلا المشرك، فالقول بأن أعضاء المحدث نجسة مخالف لهذا النص"[3]

وفي قوله تعالى:

٨- ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾

صيغة القصر في قوله تعالى:(إنما النسيء زيادة في الكفر):"تقتضي أنّه لا يعدو كونه من أثر الكفر لمحبّة الاعتداء والغارات،فهو قصر حقيقي، ويلزم من كونه زيادة في الكفر أنّ الذين وضعوه ليسوا إلاّ كافرين وما هم بمصلحين، وما الذين تابعوهم إلاّ كافرون كذلك وما هم بمتّقين"[4]

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤٠١/١

(٢) حاشية القونوي:١٩٥/٩

(٣) مفاتيح الغيب:٢١/١٥/٨

(٤) تفسير التحرير والتنوير:١٩١/١٠

وفي قوله تعالى:

٩- ﴿إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾﴾

أفادت (إنما)في قوله تعالى:(إنما يستأذنك) القصر، "و لمكان القصر يفيد مُفاد خبرين بإثبات شيء ونفي ضده كانت صيغة القصر هنا دالّة باعتبار أحد مُفادَيها على تأكيد جملة:(لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر) [1] وقد كانت مغنية عن الجملة المؤكّدة لولا أنّ المراد من تقديم تلك الجملة التنويه بفضيلة المؤمنين"[2]

وفي قوله تعالى:

١٠- ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾

جاء القصر بـ (إنما) في هذه الآية الكريمة؛ لقصر جنس الصدقات على الأصناف المعدودة وأنها مختصة بها، لا تتجاوزها إلى غيرها كأنه قيل: "إنما هي لهم لا لغيرهم"[3]

قال البيضاوي:" ظاهر الآية يقتضي تخصيص استحقاق الزكاة بالأصناف الثمانية ووجوب الصرف إلى كلّ صنف وجد منهم، ومراعاة التسوية بينهم "[4]

قال ابن عاشور:" المقصود من أداة الحصرأن ليس شيء من الصدقات بمستحقّ للذين

---

(١) التوبة(٤٤)

(٢) تفسير التحرير والتنوير: ٢١٢/١٠

(٣) الكشاف: ٥٩/٣

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٤٠٩/١

لمزوا في الصدقات، وحصر الصدقات في كونها مستحقّة للأصناف المذكورة في هذه الآية، فهو قصر إضافي أي الصدقات لهؤلاء لا لكم، وأمّا انحصارها في الأصناف الثمانية دون صنف آخر فيستفاد من الاقتصار عليها في مقام البيان إذ لا تكون صيغة القصر مستعملة للحقيقي والإضافي معاً إلاّ على طريقة استعمال المشترك في معنييه." [١]

وفي قوله تعالى:

١١- ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾

جاء القصر في قوله تعالى: (إنما كنا نخوض ونلعب) للتعيين: " أي: ما تحدثْنا إلاّ في خوض ولعب دون ما ظننته بنا من الطعن والأذى" [٢]

وفي قوله تعالى:

١٢- ﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ ۚ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾

جاء في قوله تعالى: (ما على المحسنين من سبيل) [٣] "في أمر الغزو والجهاد، وأن نفي السبيل في تلك الآية مخصوص بهذا الحكم. قالوا: السبيل الذي نفاه عن المحسنين، هو الذي أثبته في هؤلاء المنافقين، وهو الذي يختص بالجهاد، والمعنى: أن هؤلاء الأغنياء الذين يستأذنونك في التخلف سبيل الله عليهم لازم، وتكليفه عليهم بالذهاب إلى الغزو متوجه، ولا عذر لهم ألبتة في التخلف." [٤]

---

(١) تفسير التحرير والتنوير: ٢٣٥/١٠

(٢) السابق: ٢٥٠/١٠

(٣) التوبة(٩١)

(٤) مفاتيح الغيب: ١٢٩/١٥/٨

ولمّا نفت الآيتان السابقتان أن يكون سبيلٌ على المؤمنين الضعفاء، والمرضى والذين لا يجدون ما ينفقون والذين لم يجدوا حمولة، حصرت هذه الآية السبيل في كونه على الذين يستأذنون في التخلف وهم أغنياء، وهو انتقال بالتخلص إلى العودة إلى أحوال المنافقين كما دل عليه قوله تعالى: (إنما السبيل على الذين يستأذنوك وهم أغنياء)، أثبت في حق المنافقين ما نفاه في حق المحسنين، فدل لأجل المقابلة أنّ هؤلاء مسيئون، وأي إساءة أعظم من النفاق والتخلف عن الجهاد والرغبة بأنفسهم عن رسول الله، فالقصر إضافي بالنسبة للأصناف الذين نُفي أن يكون عليهم سبيل.

وفي هذا الحصر تأكيد للنفي السابق، أي لا سبيل عقابٍ إلا على الذين يستأذنونك وهم أغنياء، والمراد بهم المنافقون بالمدينة الذين يكرهون الجهاد إذ لا يؤمنون بما وعد الله عليه من الخيرات". [١]

وقيل:" (إنما) ليس بحصر وإنما هي للمبالغة في التوكيد فيما يريد تقريره". [٢]

والحقيقة أن كونها للحصر، لا يمنع كونها للمبالغة والتوكيد،لأنّ الحصر يفيد التوكيد والمبالغة.

تقديم ماحقه التأخير:

ومنه ما جاء في قوله تعالى:

١٣- ﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣ ﴾

جاء القصر في قوله تعالى: (فالله أحق أن تخشوه):لإنكار خشيتهم من الناس، والحض

(١) تفسير التحرير والتنوير: ١١/٥

(٢) تفسير المحرر الوجيز: ٨/٢٥٣

على قصر الخشية على خشية الله"(١)

فالقصر في إضافي باعتبار تعارض الخشيتين، وهذا من خصائص المؤمنين،أما المشركون، فهم يخشون شركاءهم، وينتهكون حرمات الله؛ لإرضاء شركائهم، وأما أهل الكتاب فيخشون الناس ويعصون الله بتحريف كَلمِه وبمجاراة أهواء العامة بمخالفة أمرِه وترك قتالِ أعدائهِ (إن كنتم مؤمنين) فإن قضيةَ الإيمانِ تخصيصُ الخشيةِ به تعالى وعدمُ المبالاة بمن سواه" (٢)

وفي قوله تعالى:

١٤-﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ ۚ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ ﴾

جاء القصر في قوله تعالى: (وفي النار هم خالدون) فالحصر مستفاد من ضمير الفصل لأجل الشرك.(٣)

مجيِّء صيغة القصر فيها مؤذن بأنّ المقصود إقصاء فِرق أخرى عن أن يعمروا مساجد الله،غير المشركين الذين كان إقصاؤهم بالصريح، فتعينّ أن يكون المراد من الموصول وصلته خصوص المسلمين؛لأنّ مجموع الصفات المذكورة في الصلة لا يثبت لغيرهم، فاليهود والنصارى آمنوا بالله واليوم الآخر لكنّهم لم يقيموا الصلاة، ولم يؤتوا الزكاة؛لأنّ المقصود بالصلاة والزكاة العبادتان المعهودتان بهذين الاسمين والمفروضتان في الإسلام" (٤)

---

(١) حاشية القونوي: ١٧٣/٩

(٢) إرشاد العقل السليم: ٤٨/٣ ومابعدها

(٣) يُنظر: حاشية القونوي: ١٧٩/٩

(٤) تفسير التحرير والتنوير: ١٤١/١٠

وفي قوله تعالى:

١٥ -﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾﴾

قال البيضاوي في قوله تعالى:(ألا في الفتنة سقطوا)، "أي:إنّ الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة التخلف، أو ظهور النفاق لا ما احترزوا عنه" (١)

وقال القونوي شارحاً عبارة البيضاوي:"كأن فتنة التخلف، وظهور النفاق حقيقة الفتنة فإنها لا حقيقة لها وراء ذلك، وفيه من المبالغة ما لايخفى، وهذا الاعتبار ليس من باب القصر بل هو اعتبار فوق القصر، لكنه كثيرا ما يعبر عنه بصورة القصر، ولو لم يحمل كلام المصنف على هذا لأشكل استخراج الحصر من النظم الجليل"(٢)

والذي يظهر لي:أنّه لا تعارض بين القصر والمبالغة، فالقصر ما هو إلا تأكيد، وهذا ما نص عليه البلاغيون، وطريقه هنا هو تقديم الجار والمجرور(في الفتنة)، على العامل وهو الفعل (سقطوا)، والتقديم هو أحد طرق القصر المشهورة.

قال الشهاب:إنّ التخصيص هنا"مستفاد من تقديم الظرف على عامله والتصدير بأداة التنبيه؛ فإنها تدل على تحقق ما بعدها ورد بأن تقديم الظرف لا يفيد إلا تخصيص العامل"(٣)

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٤٠٧/١

(٢) حاشية القونوي: ٢٤٧/٩

(٣) حاشية الشهاب: ٥٧٩/٤

وفي قوله تعالى:

١٦- ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٥١ ﴾

في قوله تعالى:"(هو مولانا) بيان لاختصاص الله إياهم بالنصرة والشهادة،(وعلى الله فليتوكل المؤمنون) أي:"فليفعل المؤمنون ما هو حقهم، وهو أن لا يتوكلوا إلا على الله إذ ليس لهم مولى سوى الله تعالى، والحصر الذي أفاده هذا الدليل هو نتيجة الحصر المستفاد من قوله عزّوجلّ – (هو مولانا) فإنهم إذا لم يكن مولى غير الله، وجب ألا يتوكلوا إلا عليه "(١)

قدّم الظرفُ على الفعل لإفادة القصْرِ (٢)؛لأنّ حقهم ألا يتوكلوا على غيره وفيه "إشارة إلى الحصر المأخوذ من تقديم الجار والمجرور، وتفريع التوكل على ما قبله يقتضي: أنه لا ناصر ولا متولي لأمرهم غيره"(٣)

ومنه أيضا قوله تعالى:

١٧- ﴿ قُلۡ هَلۡ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحۡدَى ٱلۡحُسۡنَيَيۡنِۖ وَنَحۡنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمۡ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٖ مِّنۡ عِندِهِۦٓ أَوۡ بِأَيۡدِينَاۖ فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ٥٢ ﴾

تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي في قوله تعالى:(نحن نتربص)" إما للحصر، أو لتقوية الحكم" (٤)

---

(١) حاشية القونوي:٢٤٩/٩

(٢)يُنظر:إرشاد العقل السليم:٧٣/٣

(٣) حاشية الشهاب:٥٨٠/٤

(٤) حاشية القونوي:٢٥٠/٩

ومنه أيضا قوله تعالى:

١٨- ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾

جاء القصر في قوله تعالى:(إنا إلى الله راغبون) أي:"لا إلى غيره"(١)

فتقديم المجرور؛ لإفادة القصر، أي: "إلى الله راغبون، لا إلى غيره، والكلام على حذف مضاف، تقديره: إنّا راغبون إلى ما عيّنه الله لنا لا نطلب إعطاء ما ليس من حقّنا"(٢)

ومنه قوله تعالى:

١٩- ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ قال ابن عاشور في توضيح القصر هنا:

"الاستفهام إنكاري توبيخي، وتقديم المعمول وهو (أبالله) على فعله العامل فيه لقصد قصر التعيين؛لأنّهم لما أتوا في اعتذارهم بصيغة قصر تعيين جيء في الردّ عليهم بصيغة قصرِ تعيينٍ ؛ لإبطال مغالطتهم في الجواب، فأعلمهم بأنّ لعبهم الذي اعترفوا به ما كان إلاّ استهزاء بالله وآياته ورسوله لا بغير أولئك، فقصْر الاستهزاء على تعلّقه بمن ذكر اقتضى أنّ الاستهزاء واقع لا محالة؛ لأنّ القصر قيد في الخبر الفعلي، فيقتضي وقوعَ الفعل، على ما قرّره عبد القاهر في معنى القصر الواقع في قول القائل: أنا سعيتُ في حاجتك وأنّه يؤكّد بنحو: وحدي، أوْ لا غيري، وأنّه يقتضي وقوع الفعل فلا يقال: ما أنا قلت هذا ولا غيري، أي ولا يقال: أنا سعيت في حاجتك وغيري، وكذلك هنا لا يصحّ أن يفهم: أبالله كنتم تستهزِئون أم لَمْ تكونوا مستهزئين) "(٣)

---

(١) حاشية القونوي:٢٥٧/٩

(٢) تفسير التحرير والتنوير:٢٣٤/١٠

(٣) السابق:٢٥٠/١٠

طرق أ ، خرى للقصر(تعريف المسند،أو ضمير الفصل):

منها قوله تعالى:

٢٠- ﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ ﴾

جاء القصر في قوله تعالى: (أولئك هم المعتدون) "فإنهم ضموا إلى الكفر والشرك الخيانة وعدم الحمية،وبهذا الاعتبار حصر الاعتداء فيهم"[1] والقصر هنا إمّا أن يكون للمبالغة في اعتدائهم، لأنّه اعتداء عظيم باطني على قوم حالفوهم وعاهدوهم، ولم يلحقوا بهم ضرّ مع تمكّنهم منه، وإمّا أن يكون قصر قلب، أي: هم المعتدون لا أنتم لأنهم بدأوكم بنقض العهد "[2]

ومثله قوله تعالى:

٢١- ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾

حيث جاء القصر في قوله تعالى:(أولئك هم الفائزون)أي:"(الفائزون)بالثواب ونيل الحسنى عند الله دونكم"[3]

ف"الكلام يفيد قصر المسند على المسند إليه، فيكون الفوز منفياً عما عداه "[4]

وتعريف المسند باللام مفيد للقصر، وهو قصر ادّعائي[5] للمبالغة في عظم فوزهم حتىّ إن

---

(١) حاشية القونوي:١٦٨/٩

(٢) تفسير التحرير والتنوير:١٢٧/١٠

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٣٩٩/١

(٤) حاشية القونوي:١٨٣/٩

(٥) إضافي.

فوز غيرهم بالنسبة إلى فوزهم يُعَدّ كالمعدوم"[1]

ومثله قوله تعالى:

٢٢- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣ ﴾

والمراد في قوله تعالى: (فأولئك هم الظالمون) "الظالمون أنفسهم؛لأنهم وقعوا فيما نهاهم الله فاستحقّوا العقاب،فظلموا أنفسهم بتسبّب العذاب لها،وصيغة الحصر للمبالغة بمعنى أنّ ظلم غيرهم كلا ظلم بالنسبة لعظمة ظلمهم"[2]

وفي قوله تعالى:

٢٣- ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ٣٣ ﴾

في قوله تعالى:(هو الذي أرسل رسوله) صيغة قصر، أي"هو لا غيره أرسَلَ رسوله بهذا النور أو (هو)وحده"[3]"

قال ابن عاشور:"أي هو لا غيره أرسَلَ رسوله بهذا النور، فكيف يَترُك معانديه يطفئونه.

وهذا القصر بيان لجملة: (ويأبى الله إلا أن يتم نوره)[4] أنّه أرسل رسوله بهذا الدين، فلا يريد إزالته ولا يجعل تقديره باطلاً وعبثاً ، وفي هذا البيان تنويه بشأن الرسول–صلى الله عليه

(١) إرشاد العقل السليم:٥٣/٣

(٢) تفسير التحرير والتنوير:١٥١/١٠

(٣) نظم الدرر:٣٠٤/٣

(٤) التوبة(٣٢)

وسلم- بعد التنويه بشأن الدين" [١]

وفي قوله تعالى:

٢٤- ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾

جاء القصر في قوله تعالى:(هو مولانا) أي:"الذي يتولانا ونتولاه، ذلك بأنّ الله مولى الذين آمنوا وأنّ الكافرين لا مولى لهم"[٢]

فجاء المسند إليه (هو) معرفة بضمير الغائب؛"ليؤكد أنه تعالى وحده(مولانا) أي:

هو القريب منا الذي يتولى جميع أمورنا، لا قريب منا أحد كقربه"[٣]

كذلك جاء القصر في قوله تعالى:(وعلى الله فليتوكل المؤمنون) بتقديم الظرفُ على الفعل لأنّ حقهم ألا يتوكلوا على غيره.

وفي قوله تعالى:

٢٥- ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾

جاء القصر في قوله تعالى:(إذ هما في الغار) بتعريف الطرفين للتخصيص لأنه:" عائد على

---

(١) تفسير التحرير والتنوير:١٧٣/١٠

(٢) الكشاف:٥٣/٣

(٣) نظم الدرر:٣٣١/٣

النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – وأبي بكر الصديق رضي الله عنه"[١]

كذلك جاء القصر في قوله تعالى:(وكلمة الله هي العليا) و" المقصود بها كلمة الحق" لا إله إلا الله"[٢]

وهي أعرف من أن نعرف بها؛ لذا جئ بأعرف المعارف، وهو الضمير ليعود إليها، ويمكن اعتبار الضمير(هي) ضمير فصل كما ذكر السمين الحلبي[٣] فيكون الغرض من مجيء الضمير للإعلام لكون الخبر خبرا لاصفة.

وفي قوله تعالى:

٢٦- ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۢ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾

جاء القصر في قوله تعالى:(إن المنافقين هم الفاسقون)قصراً إضافياً "للمبالغة؛لأنهّم لما بلغوا النهاية في الفسوق جعل غيرهم كمن ليس بفاسق"[٤]

وفي قوله تعالى:

٢٧- ﴿ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾

جاء القصر في قوله تعالى:(أولئك هم الخاسرون)، لأنه لما كانت خسارتهم جسيمة ُعل

---

(١) جامع البيان:١١/٤٦٣.

(٢) تفسير التحرير والتنوير :١١/٤٧٦.

(٣) الدر المصون:٣/٤٦٦.

(٤) تفسير التحرير والتنوير:١٠/٢٥٥

غيرهم من الخاسرين،كلا خاسرين،فَحـ ُصرت الخسارة في هؤلاء بقوله: (وأولئك هم الخاسرون) قصراً مقصوداً به المبالغة" [١]

وفي قوله تعالى:

٢٨ -﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾

جاء القصر في قوله تعالى:(ذلك هو الفوز العظيم) بتعريف الطرفين، وضمير الفصل.

قال الشوكاني:"والإشارة بقوله: (ذلك) إلى الجنة، أو إلى نفس البيع الذي ربحوا فيه الجنة ووصف الفوز، وهو الظفر بالمطلوب بالعظم، يدل على أنه فوز لا فوز مثله" [٢]

ومن هنا فإنّ ."القصر في (هو الفوز العظيم) قصر حقيقي باعتبار وصف الفوز بعظيم"[٣]

ومثله تماماً قوله تعالى:

٢٩ -﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾

وفي قوله تعالى:

٣٠ - ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾

جاء القصر في قوله تعالى: (أن الله هو يقبل التوبة)والمعنى:ألم يعلموا قبل أن يتاب عليهم وتقبل صدقاتهم إذاصحـ ّـت، ويقبل الصدقات إذا صدرت عن خلوص النية، وهو للتخصيص

---

(١) تفسير التحرير والتنوير:١٠/٢٥١

(٢) فتح القدير :٢/٤٠٨

(٣) تفسير التحرير والتنوير:١٠/٢٦٥

والتأكيد، وأن الله تعالى من شأنه قبول توبة التائبين" [1]

من خلال ما سبق: نستنتج أن القصر من أقوى أساليب التوكيد، وهو قَصْر شيء على شيء،كما أنّه قادر على مخاطبة العقل والوجدان معاً، كذلك لديه القدرة على حمل القارئ و السامع على تصوير الموقف، واستشعاره وما فيه من معانٍ سواء أكانت مثبتة أم منفية معلومة أم مجهولة.

(١) الكشاف:٣/٨٩

الفصل الثالث

أسرار التعبير بالجملة الإنشائية

- المبحث الأول: الأسرار البلاغية لأساليب الاستفهام في الجملة.
- المبحث الثاني: الأسرار البلاغية لأساليب الأمر والنهي والنداء في الجملة.
- المبحث الثالث: خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر ويتضمن:

١. الالتفات.

٢. التعبير عن الماضي بالمضارع وعكسه.

٣. خروج الخبر إلى الإنشاء.

٤. وضع الظاهر موضع المضمر وعكسه.

الفصل الثالث

أسرار التعبير بالجملة الإنشائية

توطئة:

يُطلق الإنشاء على الكلام الذي ليس لنسبته خارج تطابقه، أو لا تطابقه وقد يُطلق على فعل المتكلم أي: إلقاء الكلام الإنشائي ،كالأخبار والمراد هنا هو الثاني؛لأنّه ينقسم إلى الطلب وغيره، وينقسم الطلب إلى التمني والاستفهام وغيرهما.

والمقصود بالنظر هنا هو الطلب لاختصاصه بمزيد أبحاث لم تذكر في بحث الخبر، ولأنّ كثيرا من الإنشآت غير الطلبية في الأصل أخبار نُقلت إلى معنى الإنشاء [1]

رأي الخطيب أنّ الإنشاء كالخبر في كثير من الأبواب [2] كأحوال الإسناد الخبري، والمسند إليه، والمسند، ومتعلقات الفعل، والقصر.

وأنواع الطلبي كثيرة منها على ما ذكر الخطيب القزويني : التمني، الاستفهام، النداء النهي و الأمر [3] ومما يلُحق بالإنشاء: جواب الشرط إذا كان إنشاء قال السعد:"والشرط قيد للفعل مثل: المفعول ونحوه فإن قولك:إن تكرمني أكرمك بمنزلة قولك أكرمك وقت إكرامك إياي ولا يخرج الكلام بتقييده بهذا القيد عما كان عليه من الخبرية والإنشائية، فالجزاء إن كان خبرا فالجملة خبرية نحو:إن جئتني أكرمك، بمعنى أكرمك وقت مجيئك وإن كان إنشاء فالجملة إنشائية نحو: إن جاء زيد فأكرمه أي أكرمه وقت مجيئه" [4]

---

(١) يُنظر:المطول:٢٢٤

(٢) التلخيص:١٧٤

(٣) السابق:١٥١

(٤) المطول:١٥٢

المبحث الأول: الأسرار البلاغية لأساليب الاستفهام في الجملة

احتل موضوع الاستفهام عند البلاغيين منزلة الثريا، فأخذوا يرصدون صوره، ويحددون أسراره ومعانيه في كتبهم حتى تفردت كتب بعينها بالحديث عنه.

وألفاظه الموضوعة له: الهمزة، وهل، وما، ومَن، وأيٌّ، وكيف، وأنَّى، ومتى، وأيّان. [١]

صور من الاستفهام في السورة:

من الاستفهام بكيف قوله تعالى:

١- ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۖ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾﴾

الاستفهام في (كيف): "استفهام في معنى الاستنكار والاستبعاد لأن يكون للمشركين عهد عند رسول الله ــصلى الله عليه وسلمــ، وهم أضداد وغرة صدورهم"[٢]

وهو ليس استنكاراً بمعنى إنكار الواقعِ كما في قوله تعالى: (كيف تكفرون بالله)[٣] بل بمعنى إنكار الوقوعِ. [٤]

---

(١) يُنظر: التلخيص: ١٥٣

(٢) الكشاف: ١٥/٣

(٣) البقرة(٢٨)

(٤) يُنظر: إرشاد العقل السليم: ٤٤/٣

و في قوله تعالى:

٢- ﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨﴾ ﴾

جاء (كيف) تكراراً لاستبعاد ثباتهم على العهد أو بقاء حكمه"[١]

يرى أبو السعود أن: "(كيف) تكرير لاستنكار ما مر من[٢] أن يكون للمشركين عهدٌ حقيقٌ بالمراعاة عند الله سبحانه وعند رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال: "وأما ما قيل من أنه لاستبعاد ثباتهم على العهد، لأن ما يُذكر بصدد التعليل للاستبعاد عدم ثباتهم على العهد لا شيءٌ يستدعيه، وإنما أعيد الاستنكار والاستبعاد تأكيداً لهما"[٣]

وعليه سار ابن عاشور بقوله: "وفي إعادة الاستفهام التعجبي تأكيد وتقرير وإشعار بأنّ جملة الحال لها مزيد تعلّق بتوجّه الإنكار على دوام العهد للمشركين، حتّى كأنّها مستقلّة بالإنكار والمعنى إنكار دوام العهد مع المشركين في ذاته، ابتداء، لأنّهم ليسوا أهلاً لذلك، وإلى إنكار دوامه بالخصوص في هذه الحالة. وهي حالة ما يبطنونه من نية الغدر بالمسلمين"[٤]

فالاستفهام بصورتيه في الآيتين السابقتين للإنكار إلا أنّ ابن عاشور جعل الإنكار مسلطاً على الدوام في الموضعين، لا على الواقع كما ذكر أبو السعود وهذا كلام جيّد يحسب لابن عاشور؛ لأنّ العهد "قائم بالفعل بدليل أمر الله المؤمنين بإتمام عهد غير الناكثين منهم في أوائل

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ١/٣٩٦

(٢) أي: الآية التي قبلها، وهي آية (٧)

(٣) إرشاد العقل السليم: ٣/٤٥

(٤) تفسير التحرير والتنوير: ١٠/١٣٢

السورة"[1]

ومما سبق نلحظ أن بعض المفسرين في هاتين الآيتين يجعلون الاستفهام (ستنكاراً)، وآخرين يجعلونه:(إنكاراً)، والمقصود بهما واحد، إلا أن كلمة(استنكار) تجمع مابين الإنكار والتعجب ومن هنا جاء معنى الاستبعاد والله أعلم.

ومن الاستفهام بالهمزة ما جاء في قوله تعالى:

٣-﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ ﴾

في هذه الآية:" إنكار أن يشبه المشركون وأعمالهم المحبطة بالمؤمنين وأعمالهم المثبتة"[2]

فالاستفهام للإنكار الواقعي وللتوبيخ"والإنكار متوجه إلى الجعل الذي بمعنى الاعتقاد،فمنشأ إنكار تشبيه المؤمنين انتفاء مشاركة الأعمال بالأعمال"[3]

و في قوله تعالى:

٤-﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾

جاء الاستفهام في هذه الآية الكريمة"توبيخاً على استهزائهم بمن لا يصح الاستهزاء به وإلزاماً للحجة عليهم"[4]

(١) التفسير البلاغي للاستفهام:٦/٢

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٣٩٩/١

(٣) حاشية القونوي:١٨٢/٩

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤١١/١

كذلك رأه ابن عاشور فقال:" إنكاري توبيخي"(١)

ومنه أيضا قوله تعالى:

٥-﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾

الهمزةُ في قوله تعالى:(أفمن أسس)" للإنكار"(٢)وممن قال به أبو السعود والألوسي وقيل الاستفهام تقريري" (٣)وممن قال به رشيد رضا وابن عاشور" (٤)

ومن دخول همزة الاستفهام على النفي قوله تعالى:

٦-﴿ أَلَا تُقَـٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَـٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾

جاء في هذه الآية الكريمة استفهامان، وكلاهما بالهمزة، الأول في قوله تعالى:(ألا تقاتلون) و الثاني في قوله تعالى:(أتخشونهم).

قال الزمخشري في قوله تعالى:(ألا تقاتلون):"دخلت الهمزة على (لاتقاتلون)تقريراً بانتفاء المقاتلة، ومعناه الحضّ عليها على سبيل المبالغة وقوله: (أتخشونهم) تقرير بالخشية منهم وتوبيخ عليها"(٥).

(١) تفسير التحرير والتنوير:٢٥١/١

(٢) إرشاد العقل السليم:١٠٣/٣

(٣) تفسير التحرير والتنوير:٣٤/١١

(٤) التفسير البلاغي للاستفهام ٢٦/٢.

(٥) الكشاف:١٨/٣

وقال البيضاوي: "تحريض على القتال؛ لأنّ الهمزة دخلت على النفي للإنكار" [١]

فأفادت المبالغة في الفعل (أتخشونهم) أي: أتتركون قتالهم خشية أن ينالكم مكروه منهم. (قَاتِلُوهُمْ) أمر بالقتال بعد بيان موجبه والتوبيخ على تركه و التوعيد عليه، ووجه المبالغة أن الهمزة دخلت على قوله تعالى: (ألا تقاتلون) تقريراً بانتفاء المقاتلة ومعناه التحضيض على المقاتلة في سبيل المبالغة"[٢]

و هذا ما سار عليه أبو السعود بقوله: "الهمزةُ الداخلةُ على انتفاء مقاتَلتِهم للإنكار والتوبيخِ تدل على تخصيصِهم على المقاتلة بطريق حملِهم على الإقرار بانتفائها كأنه أمرٌ لا يمكن أن يُعترف به طائعاً لكمال شناعتِه فيلجأون إلى ذلك ولا يقدرون على الإقرار به فيختارون المقاتلة"[٣]

وقيل: "بخّهم أولاً بترك مقاتلتِهم، وحضَّهم عليها، ثم وصفهم بما يوجب الرغبةَ فيها ويحقق أن مَنْ كان على تلك الصفاتِ السيئةِ حقيقٌ بأن لا تترك مصادمتُه ويوبَّخَ من فرّط فيها (فالله أحق أن تخشوه) بمخالفة أمرِه وترك قتالِ أعدائِه"[٤]

و لأبي حيان رأيان في هذه الآية :

الأول أنه يرى أن (ألا) حرف عرض ومعناه الحث على قتالهم.

الثاني سار فيه على نهج صاحب الكشاف فقال: "إنّه تقرير للخشية منهم وتوبيخ عليها [٥]

في حين ذكر ابن عاشور[٦] أن (ألا) في هذه الآية لها احتمالان :

---

(١) أي: لإنكار النفي.

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ١/٣٩٧

(٣) إرشاد العقل السليم: ٣/٤٨

(٤) السابق بصفحته.

(٥) يُنظر: البحر المحيط: ٥/٢٠

(٦) تفسير التحرير والتنوير: ١٠/١٣٢

الأوّل: يحتمل أن يكون مجموع حرفين: هما همزة الاستفهام، و(لا) النافيةُ

والثاني: يحتمل أن يكون حرفاً واحداً للتحْضيض، مثل قوله تعالى: (ألا تحبون أن يغفر الله لكم) (١)

قال موضحا ذلك: "فعلى الاحتمال الأول يجوز أن يكون الاستفهام إنكارياً .

وعلى الاحتمال الثاني أن يكون (ألا) حرفاً واحداً للتحْضيض؛ فهو تحْضيض على القتال "(٢)

والراجح ـ والله أعلم ـ أن (ألا) حرف تحضيض، وإن كان استفهاما "إلا أن هناك من يرجح أنها للإنكار "لأنهم مقرون بتراخيهم، فجاء الاستفهام لإنكار هذا التراخي منهم"(٣)

ومنه قوله تعالى:

٧- ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ ﴾

جاء الاستفهام في (أَلَمْ يَعْلَمُوا) "للتوبيخ على ما أقدَموا عليه من العظيمة مع علمهم بسوء عاقبتِها"(٤)

وقيل: "الاستفهام مستعمل في الإنكار والتشنيع؛ لأنّ عدم علمهم بذلك محقّق بِضرورة أنهّم كافرون بالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبأنّ رضى الله عند رضاه ولكن لما كان عدم علمهم بذلك غريباً لوجود الدلائل المقتضية أنّه ممّا يحقّ أن يعلموه، كان حال عدم العلم به

(١) النور(٢٢)

(٢) تفسير التحرير والتنوير: ١٣٢/١٠

(٣) التفسير البلاغي للاستفهام :٩/٢

(٤) إرشاد العقل السليم: ٧٨/٣

حالاً منكراً وقد كثر استعمال هذا ونحوه في الإعلام بأمر مهم "[١]

ومنه قوله تعالى:

٨- ﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ۖ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾

جاء الاستفهام في قوله تعالى: (ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم)" للتقرير والتحذير"[٢]

وهو "موجه للمخاطبين تقريراً عنهم، بحيث يكون كالإستشهاد عليهم بأنهم أتاهم نبأ الذين من قبلهم"[٣]

ومنه أيضا ما جاء في قوله تعالى:

٩- ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ﴾

فقد جاء الاستفهام في قوله تعالى: (ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم) "للإنكار والتوبيخ والتهديد".

أي: ألم يعلموا أن الله يعلم ما أسروا به في أنفسهم وما تناجوا به فيما بينهم من المطاعن وتسمية الصدقة جزية وغير ذلك مما لا خير فيه.

وعلى قراءة (ألم تعلموا) "لتقرير علم المؤمنين بذلك وتنبيههم على أنه تعالى مؤاخذهم ومجازيهم بما علم من أعمالهم".[٤]

(١) إرشاد العقل السليم: ٧٨/٣

(٢) السابق: ٨٢٠/٣

(٣) تفسير التحرير والتنوير: ٢٦٠/١٠

(٤) ينظر: إرشاد العقل السليم: ٨٦/٣

والكلامُ استئناف؛لأجل التقرير، فهو تقرير للمخاطَب عنهم؛لأنّ كونهم عالمين بذلك معروف لدى كلّ سامع [1]

ومنه قوله تعالى:

١٠- ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ ﴾

المراد بالاستفهام في قوله تعالى:(ألم يعلموا) التحضيض [2] وقيل: المراد إنكار للنفي وتقرير المنفي [3] وقيل: استفهام تقرير أصالة وأبرز المعاني المتولدة عنه: الترغيب، والحث على التوبة وإيتاء الزكاة وكل صور الإنفاق الحر. [4]

ومن دخول همزة الاستفهام على حرف العطف قوله تعالى:

١١- ﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ﴾

الاستفهام في قوله تعالى:(أولا يرون)" داخل تحت الإنكار والتوبيخ"[5]

وقيل: للإنكار، والغرض من هذا الإنكار هو: الاستدلال على ما تقدم من ازدياد كفر المنافقين وتمكنه كلما نزلت سورة من القرآن بإيراد دليل واضح يُنَزَّلُ منزلة المحسوس المرئيّ حتى

(١) يُنظر:تفسير التحرير والتنوير:٢٤/١١

(٢) يُنظر:أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤٢٠/١

(٣) يُنظر:حاشية القونوي:٣٢٩/٩

(٤) يُنظر:التفسير البلاغي للاستفهام:٢٤/٢.

(٥) إرشاد العقل السليم:١١٣/٣

يَ توجه الإنكار على من لا يراه.[1]

وقيل: إنّه جاء للتقرير وهذا هو المعنى الأصلي، أما المعاني الثانية، فأبرزها: التسفيه والتقريع.[2]

ومن الاستفهام بـ(هل) ما جاء في قوله تعالى:

١٢- ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾

جاءت(هل) في قوله تعالى:(هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين)"للاستفهام الإنكاري"[3]

وقيل:للإنكار والنفي،فهو مستعمل في النفي بقرينة الاستثناء.

ومعنى الكلام:توبيخ لهم وتخطئة لتربّصهم لأنّهم يتربّصون بالمسلمين أن يقتلوا، ويغفلون عن احتمال أن ينصروا فكان المعنى: لاتربّصون بنا إلا أن نقتل أو نغلب وذلك إحدى الحسنيين.[4]

و في قوله تعالى:

١٣- ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾

جاء الاستفهام في قوله تعالى:(هل يراكم من أحد)"إنكاراً وسخرية "[5]

---

(١) يُنظر:تفسير التحرير والتنوير:١١/٦٨

(٢) يُنظر:التفسير البلاغي للاستفهام :٢/٣٢

(٣) يُنظر:حاشية القونوي:٩/٢٥٠

(٤) يُنظر: تفسير التحرير والتنوير:١٠/٢٢٤

(٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:١/٤٢٦

وهو استفهام حقيقي معناه: التأكيد من أن أحداً لا يراهم وهم يتسللون [1]

ومن الاستفهام بأم المنقطعة قوله تعالى:

١٤- ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾

الهمزة في قوله تعالى: (أم حسبتم) "للتوبيخ على الحسبان"[2].

وجيء بأم المنقطعة "للدلالة على الانتقال عن التوبيخ السابق، وهو التوبيخ على عدم القتال إلى توبيخ آخر"[3]

ومن الاستفهام أبي ّ)قوله تعالى:

١٥- ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

الاستفهام في قوله تعالى: (أنى يؤفكون) "مستعمل في التعجيب من حالهم في الإتباع الباطل، حتى ّ شبه المكان الذي يُ صرفون إليه باعتقادهم بمكان مجهول من شأنه أن يُ سأل عنه باسم الاستفهام عن المكان"[4]

---

(١) ُينظر: التفسير البلاغي للاستفهام: ٣٣/٢

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٣٩٩/١

(٣) حاشية القونوي: ١٧٦/٩

(٤) تفسير التحرير والتنوير: ١٦٩/١٠

ومن الاستفهام(أي) قوله تعالى:

١٦ - ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ١٢٤﴾

الاستفهام(أي) في قوله تعالى:(أيكم زادته هذه إيمانا)" مجازي،المتكلم والمخاطب فيه هم المنافقون قالوه على سبيل الاستهزاء والسخرية. (١)

وقد جاء الاستفهام مع ما أفاده من معنى الاستهزاء، متضمناً معنى إنكار أن يكون نزول سور القرآن يزيد سامعيها إيماناً توهماً منهم بأن ما لا يزيدهم إيماناً لا يزيد غيرهم إيماناً ، يقيسون على أحوال قلوبهم (٢)

و في قوله تعالى:

١٧ - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ٣٨﴾

جاء استفهامان إنكاريان الأول في قوله تعالى: (ما لكم)، والثاني في قوله تعالى:(أرضيتم)

أما عن (ما) في قوله تعالى: (ما لكم)فهي:"استفهام فيه معنى الإنكار والتوبيخ"(٣)

والاستفهام بالهمزة في قوله تعالى:(أرضيتم) " إنكاري توبيخي، إذ لا يليق ذلك

(١) التفسير البلاغي للاستفهام :٢/٣١

(٢) يُنظر:تفسير التحرير والتنوير:١١/٦٥

(٣) إرشاد العقل السليم:٣/٦٥

بالمؤمنين" [١]

و في قوله تعالى:

١٨ - ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾﴾"

توجهُ الإنكار في قوله تعالى:(لم أذنت لهم) إلى الإذن باعتبار شمولِه للكل لا باعتبار تعلّقِه بكل فردٍ لتحقق عدمِ استطاعةِ بعضِهم كما ينبئ عنه قوله سبحانه: (حتى يتبين لك الذين صدقوا) أي:فيما أَخبروا به عند الاعتذارِ "[٢]

"وألقي العتاب بصيغة الاستفهام عن العلّة؛ إلى أنّه ما أذن لهم إلاّ لسبب تَأَوَّلَه ورجَاء منه الصلاح على الجملة، بحيث يُسْأل عن مثله في استعمال السؤال من سائل يطلب العلم، وهذا من صيغ التلطّف في الإنكار أو اللوم، بأن يظْهر المنكِر نفسه كالسائِل عن العلّة التي خفيت عليه" [٣]

ومن الاستفهام بـ(من) قوله تعالى:

١٩ - ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾

قيل الاستفهام في قوله تعالى:(ومن أوفى):"مبالغة في الإِنجاز،وتقرير لكونه حقاً "[٤]

---

(١) تفسير التحرير والتنوير:١٠/١٩٧

(٢) إرشاد العقل السليم:٣/٦٨

(٣) تفسير التحرير والتنوير:١٠/٢١٠

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:١/٤٢٢

وقيل:الاستفهام إنكاري بتنزيل السامع منزلة من يجعل هذا الوعد محتملاً للوفاء وعدمه كغالب الوعود فيقال: ومن أوفى بعهده من الله إنكاراً عليه" [١]

وقيل: الاستفهام"للنفي والترغيب والحث على الجهاد الخالص في سبيل الله أي لا أحد أوفى من الله"[٢] ولا يمنع أن تكون هذه الأغراض مجتمعة هي التي أفادها الاستفهام.

من خلال ما سبق يتبين لنا أن بلاغة الاستفهام تكمن في خروجه عن معناه الأصلي وهو:(طلب الفهم) إلى معاني أخرى يحددها السياق.

(١) تفسير التحرير والتنوير:٥٥/١١

(٢) التفسير البلاغي للاستفهام:٣٠/٢

المبحث الثالث: الأسرار البلاغية لأساليب الأمر والنهي والنداء

توطئة:

من الأساليب الإنشائية الطلبية: الاستفهام، والتمني،و الأمر، والنهي، والنداء.

وقد مر الحديث عن الاستفهام في المبحث السابق، أما التمني فلم يظهر لي، بحسب صيغه المشهورة أن له وجوداً في هذه السورة؛ لذا سيقتصر الحديث في هذا المبحث عن الثلاثة المتبقية.

الأمر:

الأظهر: أن صيغته كما في التلخيص، وشروحه من المقترن باللام نحو:(ليحضر زيد) وأكرم عمرًا ،موضوعة لطلب الفعل ،وقد تستعمل لغيره ،كالإباحة والتهديد والتعجيز والإهانة والتسوية والتمني والدعاء والالتماس. [1]

النهي:

وله حرف واحد وهو(لا) الجازمة [2]،و هو كالأمر في الاستعلاء وقد يستعمل في غير طلب الكف أو الترك كالتهديد. [3]

وكثيراً ما يُعطف أحدهما على الآخر، كما سيتضح في الآيات التي وقفت عليها بإذن الله.

النداء:

قد تستعمل صيغته في غير معناه الأصلي، ويخرج لأغراض عدة.

وأشهر حروف النداء (الياء) و(الهمزة)، ولم يأتي في هذه السورة المباركة غير النداء بالياء

---

(١) يُنظر:الإيضاح:١/٣/٨١

(٢) المقصود بها الناهية

(٣) يُنظر:الإيضاح:١/٣/٨٨

حيث ورد في سبع آيات، منها ستة لنداء المؤمنين والسابعة لنداء النبي_صلى الله عليه وسلم_كما سيتضح معنا عند التحليل.

صورمن التعبير بالأمر، والنهي، والنداء في السورة:

قال تعالى:

١- ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ ۙ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ ﴿٢﴾﴾

إيثارُ صيغةِ الأمرِ في قوله تعالى:(فسيحوا) مع إمكانية إفادةِ المعنى بطريق الإخبارِ كأن يُقال:(فلكم أن تسيحوا) أو نحو ذلك؛ "للإظهارِ القوةِ والغلبةِ وعدمِ الاكتراث لهم ولاستعدادهم "[١]

وفي قوله تعالى:

٢-﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾

جاء النداء للنهي في قوله تعالى:(يأيها الذين أمنوا لا تتخذوا)حتى لا يمنعوهم عن الإيمان وفي هذا إشارة إلى سبب النهي في الآية. [٢]

وقيل:" نزلت نهياً عن موالاة التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة، والمعنى لا تتخذوهم أولياء يمنعونكم عن الإِيمان ويصدونكم عن الطاعة"[٣]

وقيل نهي"لكُل فردٍ من أفراد المخاطَبين عن موالاة فردٍ من المشركين"[٤]

---

(١) إرشاد العقل السليم٣/٤٠-٤١.

(٢) يُنظر:حاشية القونوي:٩/١٨٥

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:١/٣٩٩ ومابعدها

(٤) إرشاد العقل السليم:٣/٥٤

وقيل: استئناف ابتدائي؛ لتقريع المنافقين ومن يواليهم؛ ولذلك افتتح الخطاب بـ(يأيها الذين آمنوا) إشعاراً بأنّ ما سيلقى إليهم من الوصايا هو من مقتضيات الإيمان وشعاره"[1]

وفي قوله تعالى:

٣- ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾

جاء التعبير بالأمر في قوله تعالى:(قل)"تلوين للخطاب،وأمر له _عليه الصلاة و السلام_ بأن يرغّب المؤمنين في حبّ الله تعالى ورسوله على أخص أحبائهم وعشائرهم ،والترهيب عن خلافه بالوعيد عليه"[2]

وقيل:"ابتداء الخطاب بفعل الأمر (قل) يشير إلى غلظه والتوبيخ به"[3].

أما الأمر في قوله تعالى: (فتربصوا حتى يأتي الله بأمره) فجواب ووعيد[4]، وقيل: إنّه للتحضيض المجازي، المفيد قلّة الاكتراث بتربصهم.[5]

---

(١) تفسير التحرير والتنوير: ١٥٠/١٠

(٢) حاشية القونوي: ١٨٥/٩

(٣) يُنظر: تفسير التحرير والتنوير: ١٣٥/١٠

(٤) يُنظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٤٠٠/١

(٥) يُنظر: تفسير التحرير والتنوير: ١٥١/١٠

وفي قوله تعالى:

٤ - ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٢٨ ﴾

بدأت الآية الكريمة بالاستئناف الابتدائي عن طريق نداء المؤمنين" للرجوع إلى غرض إقصاء المشركين عن المسجد الحرام المفاد في قوله تعالى:"ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر فجيء به لتأكيد الأمر بإبعادهم عن المسجد الحرام مع تعليله بعلّة أخرى تقتضي إبعادهم عنه وهي أنهّم نجس،فقد علّل فيما مضى بأنهّم شاهدون على أنفسهم بالكُفر، فليسوا أهلاً لتعمير المسجد المبني للتوحيد، وعلّل هنا بأنهّم نجس فلا يعمروا المسجد لطهارته"(١)

والسرّ في مجيء النداء للنهي،كذلك جاء النهى في قوله تعالى:(فلا يقربوا): للمبالغة في النهي عن الاقتراب أو للمنع عن دخول الحرم.

وقيل المراد به النهي عن الحج، والعمرة لا عن الدخول(٢)لأنّ" مناسك الحجّ كلّها تتقدّمها زيارة المسجد الحرام وتعقبها كذلك فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم بأن ينادَى في الموسم أن لا يحجّ بعد العام مشرك، وقرينة ذلك توقيت ابتداء النهي بما بعد عامهم الحاضر،فدلّ ذلك على أنّ النهي منظور فيه إلى عمل يكمل مع اقتراب اكتمال العام،وذلك هو الحجّ ولولا إرادة ذلك لما كان في توقيت النهي عن اقتراب المسجد بانتهاء العام حكمة ولكان النهي على الفور"(٣)

---

(١) تفسير التحرير والتنوير: ١٥٩/١٠

(٢) يُنظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٤٠١/١

(٣) تفسير التحرير والتنوير: ١١٠/١٠

وقيل: بل المراد النهي عن الدخول،وإذا نُهي عن الدخول، فالمنع عن قربه أبلغ.[1]

وفي قوله تعالى:

٥-﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾

جاء الأمر تسلية للمسلمين بقتال أهل الكتاب، ونهب أموالهم، والسبي لأولادهم إلى أن يعطوا الجزية وبها يحصل الغنى الموعود به، ويرتفع به خوف الفاقة المتوهمة من منع المشركين عن الحرم.[2]

وقد ينفرد النداء كما في قوله تعالى:

٦-﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ ﴾

فقد جاء النداء "شروعٌ في بيان حال الأحبارِ والرهبانِ في إغوائهم لأراذلهم إثرَ بيانِ سوءِ حالِ الأتباع في اتخاذهم (لهم)أرباباً يُطيعونهم في الأوامر والنواهي واتباعِهم لهم فيما يأتون وما يذرون"[3]

وقيل: "شروع في بيان دناءة الأحبار والرهبان تسفيها لمن أطاعوهم وزجرا عن مطاوعتهم" [4]

---

(١)يُنظر:حاشية القونوي:٩/١٩٥

(٢)يُنظر:حاشية القونوي:٩/١٩٨

(٣) إرشاد العقل السليم:٣/٦٢

(٤) حاشية القونوي:٩/٢١١

والأقرب أنه:استئناف ابتدائي؛لتنبيه المسلمين على نقائص أهل الكتاب، تحقيراً لهم في نفوسهم، ليكونوا أشدّاء عليهم في معاملتهم.

وقيل: افتتاح الجملة بالنداء واقترانها بحرفي التأكيد؛ للاهتمام بمضمونها. (1)

وفي قوله تعالى:

٧- ﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

جاء لفظ الذوق، والتبشير بالعذاب تهكم بالأحبار والرهبان الذين يأكلون أموال الناس بالباطل (2)ففي الكلام استعارة تهكمية.

وقيل إنّ التعبير بالأمر هنا للتوبيخ والتنديم.(3)

وفي قوله تعالى:

٨- ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾

جاء النهي في قوله تعالى:(فلا تظلموا) للنهي عن الظلم في الأشهر الحرم، مع أنه منهي عنه في عموم الأوقات (4)

---

(1) يُنظر:تفسير التحرير والتنوير: ١٧٤/١٠

(2) يُنظر:حاشية ابن التمجيد: ٢١٥/٩

(3) يُنظر:تفسير التحرير والتنوير: ١٥٥/١٠.

(4) يُنظر:حاشية القونوي: ٢٢٠/٩

وفي قوله تعالى:

٩- ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ ﴾

جاء النداء "شروع في حث المؤمنين على قتال المشركين إثر بيان نبذ من جناياتهم الموجبة للمحاربة والقتال "(١)

رجوعٌوقيلإلى:"حث المؤمنين وتجريدِ عزائمِهم على قتال الكفرةِ إثرَ بيان طرَفٍ من قبائحهم الموجبةِ لذلك"(٢)

وقيل:"هذا ابتداء خطاب للمؤمنين للتحريض على الجهاد في سبيل الله بطريقة العتاب على التباطؤ بإجابة دعوة النفير إلى الجهاد، والمقصود بذلك غزوة تبوك"(٣)فالنداء جاء لأجل الأمر.

وفي قوله تعالى:

١٠ -﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَـٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾

جاء الأمر في موضعين من الآية هما: (انفروا)، و(جاهدوا)

قال القونوي:"لما أنكر الله التثاقل والتباطؤ عن النفور(٤) خاطبهم، وأمرهم بالنفور تشديداً

---

(١) حاشية القونوي:٩/٢٢٤

(٢) إرشاد العقل السليم:٣١١٠

(٣) تفسير التحرير والتنوير:١٩٥/١٠ ومابعدها

(٤) المقصود ما ورد في قوله تعالى:(يأيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله أثاقلتم إلى الأرض التوبة:(٣٨)

عليهم لتأخرهم عما هو نجاتهم في الدارين"(١)

وقيل السرّ في التعبير بفعل الأمر هنا: تجريدٌ للأمر بالنفور بعد التوبيخ (٢)

وفي قوله تعالى:

١١- ﴿وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾

جاء الأمر بالقعود" لالحاقهم بالعجزة الذين ليس لهم إلا القعود في البيت. (٣)

وفي قوله تعالى:

١٢- ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾﴾

الأمر، والنهي في قوله تعالى: (ائذن لي ولا تفتني)"فيه إشعار بأنه لا محالة متخلف، أذن له أم لم يأذن. (٤)

وفي قوله تعالى:

١٣- ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾

جاءت إحدى صيغ الأمر في قوله تعالى: (وعلى الله فليتوكل) أي"فليفعل المؤمنون ما هو

---

(١) حاشية القونوي: ٢٣٢/٩

(٢) إرشاد العقل السليم: ٦٧/٣

(٣) يُنظر: حاشية القونوي: ٢٤٢/٩

(٤) يُنظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٤٠٧/١

حقهم وهو أن لا يتوكلوا إلا على الله إذ ليس لهم مولى سوى الله تعالى"[1]

وفي قوله تعالى

١٤- ﴿ قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾

الأمر في قوله تعالى:(قل انفقوا) "أمر في معنى الخبر، أي لن يُتقبل منكم نفقاتكم أنفقتم طوعاً أو كرهاً ،وفائدته المبالغة في تساوي الإنفاقين في عدم القبول، كأنهم أمروا بأن يمتحنوا فينفقوا وينظروا هل يتقبل منهم.[2]

وفي قوله تعالى:

١٥-﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾

النهي في قوله تعالى:(فلا تعجبك): للتعجب، والمعنى فلا تستحسن و لا تفتتن بما أوتوا من زخارف الدنيا ومن أهمها الأولاد والأموال. [3]

ومثلها قوله تعالى:

١٦-﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾

حيث جاء الكلام تكريراً لما سبق[4] وتقريراً لمضمونه بالإخبار بوقوعه، ويجوز أن يكون

---

(١) حاشية القونوي:٩/٢٤٩

(٢) يُنظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل:١/٤٠٨

(٣) يُنظر:حاشية القونوي:٩/٢٥٣

(٤) حيث تم ذكرها في آية(٥٥) من هذه السورة المباركة

هذا في حق فريقٍ غيرِ الفريقِ الأولِ المقصود بالآية السابقة"[1]

وفي قوله تعالى:

١٧- ﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾

قال البيضاوي في قوله تعالى:(يحذر):" قيل إنه خبر في معنى الأمر،وقيل كانوا يقولونه فيما بينهم استهزاء لقوله: (قل استهزئوا ن الله مخرج ما تحذرون) مبرز أو مظهر(ما تحذرون) أي: ما تحذرونه من إنزال السورة فيكم، أو ما تحذرون إظهاره من مساوئكم" [2]

وفي قوله تعالى:

١٨- ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾

جاء الأمر في قوله تعالى(قُلْ)توبيخاً على استهزائهم بمن لا يصح الاستهزاء به، وإلزاماً للحجة عليهم.

و النهي في هذه الآية عن الدوام على الاعتذار، لاعن الاعتذار فإنه واقع.[3]

وقيل: النهي هنا لقاء في توبيخهم، فالجملة متضمّنة توكيداً لمضمون جملة، والنهي مستعمل في التسوية وعدم الجدوى. [4]

---

(١) إرشاد العقل السليم:٩٠/٣

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤١١/١

(٣) يُنظر:حاشية القونوي:٢٧٣/٩

(٤) يُنظر:تفسير التحرير والتنوير:١٢٣/١٠

وفي قوله تعالى:

١٩- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾

خص الحق عزّ وجلّ رسوله صلى الله عليه وسلم بالتكريم والتعظيم فلم يُناده باسمه، بل قال: (يأيها النبي) وفي مواقع أخرى كان يناديه: (يأيها الرسول)، والنداء من الحق لباقي الأنبياء، يكون مثل قوله تعالى:

﴿يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ﴿٣٥﴾﴾[(١)] وقوله تعالى: ﴿يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا ﴿٤٨﴾﴾[(٢)] وقوله تعالى: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾[(٣)] وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾﴾[(٤)] وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ ﴿١١٦﴾﴾[(٥)].

فكل رسول ناداه الحق -سبحانه وتعالى- باسمه، إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد ناداه بقوله (يأيها النبي)، و(يأيها الرسول) تكريماً للرسول عليه الصلاة والسلام، ورفعاً لمقامه عند ربه.

وفي هذا الآية يطلب الحق -سبحانه وتعالى- من رسوله صلى الله عليه وسلم أن يجاهد الكفار والمنافقين.[(٦)]

---

(١) البقرة:٣٥.

(٢) هود:٤٨.

(٣) الصافات:١٠٤.

(٤) طه:١١.

(٥) المائدة:١١٦.

(٦) يُنظر: تفسير الشعراوي: ٩/٥٣٢٧

والأمر بالجهاد هنا المقصود به بذل الجهد في صرف الكفار والمنافقين عن المنكر وإعادتهم للحق سواء بالسيف أو الحجة.[1]

وقد أُخرج على لفظ الأمر؛ "للدلالة على أنه حتم واجب لا يكون غيره"[2]

ومجاهدة الكفار في قوله تعالى:(يأيها النبي جاهد الكفار والمنافقين) تكون بالسيف أما مجاهدة المنافقين فتكون بإلزام الحجة، وإقامة الحدود، لا بالسيف؛لأنهم يدينون بالإسلام،حتى وإن أضمروا الشرّ ،[3]فمجاهدتهم تكون بإظهار الحجة،كذا مجاهدة كلّ من كان في اعتقاده فساد،وإن كان كافراً مظهراً الكفر، فجهاده بالسيف، وإن كان مبطناً له،ومظهراً للإسلام فجهاده يكون بعرض الحجة.[4]

فالمنافقون لا يُقاتلون ما لم يظهروا الكفر،ونحن مأمورون بالظاهر.[5]

وجاء الأمر في قوله تعالى: (وأغلظ) عليهم؛ ليبين شدة الانتهار،والنظر بالبغض استقباحاً لعملهم.[6]

وفي قوله تعالى

٢٠ - ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾﴾

جاء الأمر في قوله تعالى:(استغفر لهم أو لا تستغفر لهم) للدلالة على التساوي بين الأمرين في عدم الإفادة لهم كما نص عليه بقوله تعالى: (إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر

(١) يُنظر:حاشية محيي الدين شيخ زاده: ٤٩١/٣

(٢) الكشاف:٧٦/٣

(٣) يُنظر:أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤١٣/١

(٤) يُنظر:حاشية ابن التمجيد:٢٨٣/٩

(٥) يُنظر:حاشية القونوي:٢٨٣/٩

(٦) يُنظر:حاشية محيي الدين شيخ زاده: ٤٩١/٣

الله لهم)" [١]

وفي قوله تعالى:

٢١- ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ ﴾

الغرض من النهي في قوله تعالى: (لا تنفروا في الحر)تثبيطاً من المنافقين لإخوانهم وكسراً لنشاطهم، وتواصياً بينهم بالمخالفة لأمر الله ورسوله-صلى الله عليه وسلم.[٢]

والأمر في قوله تعالى:(قل):"رداً عليهم وتجهيلاً لهم" [٣]

وفي قوله تعالى:

٢٢-﴿ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾

الأمر في قوله تعالى:(فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً) "إخبار عما يؤول إليه حالهم في الدنيا والآخرة أخرجه على صيغة الأمر للدلالة على أنه حتم واجب "[٤]

وقيل:" هذان الأمران معناهما الخبر، والمعنى:فسيضحكون قليلاً ، ويبكون كثيراً ، وإنما جيء بهما على لفظ الأمر؛ للدلالة على أن ذلك أمر محتوم لا يكون غير"[٥]

---

(١) يُنظر:أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤١٤/١

(٢) يُنظر: فتح القدير:٣٨٨/٢

(٣) إرشاد العقل السليم:٨٨/٣

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤١٥/١

(٥) فتح القدير:٣٨٨/٢

وفي قوله تعالى:

٢٣- ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ إِنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمۡ فَٰسِقُونَ ٨٤ ﴾

جاء النهي في قوله تعالى:(ولاتصل) وقوله تعالى:(و لا تقم) والمراد من الصلاة الدعاء للميت والاستغفار له، وهو ممنوع في حق الكافر؛ ولذلك رتّب النهي على قوله: (مات أبداً) يعني الموت على الكفر، فإن إحياء الكافر للتعذيب دون التمتع فكأنه لم يحي (ولا تقم على قبره) ولا تقف عند قبره للدفن أو الزيارة"(١)

وقد جاءت لفظة (أبداً) متعلقة بالنهي لأي "لا تدعُ ولا تستغفرْ لهم أبداً (ولا تقم على قبره) أي: لا تقِفْ عليه للدفن أو للزيارة"(٢)

وفي قوله تعالى:

٢٤- ﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ٨٦ ﴾

جاء الأمر في قوله تعالى: (آمِنُواْ بِٱللَّه)مفسراً لما في الإنزال من معنى القول،وقُدّم الأمر بالإيمان؛لأنّ الاشتغال بالجهاد لا يفيد إلا بعد الإيمان. (٣)

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٤١٦/١

(٢) إرشاد العقل السليم: ٨٩/٣

(٣) يُنظر: فتح القدير: ٣٨٩/٢

وفي قوله تعالى:

٢٥- ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٩٥) ﴾

أمر الله نبيه-صلى الله عليه وسلم-بأن يُعرض عن المنافقين، ولاُ وبخوهم،فهم رجس لا ينفع فيهم التأنيب؛ لأنّ المقصود به التطهير بالحمل على الإنابة، وهؤلاء أرجاس لا تقبل التطهير،فهو علة الإِعراض وترك المعاتبة" (١)

والغرض من العطف في قوله تعالى:(فأعرض) التنبيه على أن المراد بالإعراض عدم المعاتبة على ترك الجهاد، والقعود مع الخالفين ،إذ لاينفع فيهم التأنيب والتأديب .(٢)

وفي قوله تعالى:

٢٦- ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٠٣) ﴾

لما كان من شأن الرضوان قبول القربان، أمر الله نبيه- صلى الله عليه وسلم -"أن يأخذ من أموالهم صدقة؛تطهيراً لهم؛وتطييباً لقلوبهم بقوله:(خذ) ورحمهم بالتبعيض فقال: (من أموالهم صدقة) أي: تطيب أنفسهم بإخراجها (تطهرهم) أي: هي من ذنوبهم وتجري بهم مجرى الكفارة (وتزكيهم) أي: أنت تزيدهم وتنميهم (بها) بتكثير حسناتهم (وصل) أي اعطف (عليهم) وأظهر شرفهم بدعائك لهم؛ ثم علل ذلك بقوله: (إن صلواتك) أي دعواتك التي تصلهم بها فتكون موصلة لهم إلى الله (سكن لهم) أي تطمئن بها قلوبهم بعد

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:١/٤١٨

(٢)يُنظر:حاشية القونوي:٩/٣١٣-٣١٤

قلق الخوف من عاقبة الذنب لما يعلمون من أن القبول لا يكون إلا ممن حصل له الرضا عنهم ومن أن الله سمع قولك إجابة لك ويعلم صدقك في صلاحهم"[١]

وفي قوله تعالى:

٢٧- ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾

جاء الأمر في قوله تعالى:(وقل اعملوا) للتهديد[٢]،وقيل:"زيادةُ ترغيبٍ لهم في العمل الصالحِ الذي من جملته التوبةُ " [٣] وهو الأظهر في رأيي.

وفي قوله تعالى:

٢٨- ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾

وُجه النهي في قوله تعالى:(لا تقم) على الصلاة في مسجد ضرار؛ "لأن صلاة النبي_ صلى الله عليه وسلم_ فيه تكسبه يُمْناً وبَركة فلا يرى المسلمون لمسجد قباء مزية عليه، فيقتصر البعض على الصلاة فيه لقربه من منازلهم، وبذلك يحصل غرض المنافقين من وضعه للتفريق بين جماعة المسلمين، فلما كانت صلاة النبي _صلى الله عليه وسلم_ فيه مفضية إلى ترويج مقصدهم الفاسد، صار ذلك وسيلة إلى مفسدة فتوجه النهي إليه، وهذا النهي يعم جميع المسلمين؛ لأنه لما نهي النبي عن الصلاة فيه علم أن الله سلب عنه وصف كونه مسجداً فصارت الصلاة فيه باطلة ؛لأن النهي يقتضي فساد المنهي عنه ولذلك أمر الرسول الله_ صلى

---

(١) نظم الدرر:٣/٣٨٠

(٢) يُنظر:حاشية القونوي:٩/٣٢٩

(٣) إرشاد العقل السليم:٣/٩٠

الله عليه وسلم_بعدم الصلاة فيه"[١]

وفي قوله تعالى:

٢٩-﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾

معنى الأمر في قوله تعالى:(فاستبشروا) أي:"فافرحوا به غاية الفرح، فإنه أوجب لكم عظائم المطالب "[٢]

وفي قوله تعالى:

٣٠-﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾

النداء في قوله تعالى:(يأيها الذين آمنوا)خطاب عام يندرج فيه التائبون اندراجاً أولياً وقيل: لمن تخلف عنهمن الطلقاء عن غزوة تبوك خاصة"[٣] وقيل: هو""خطاب لكافة المؤمنين إلى يوم القيامة "[٤]

أما الأمر في قوله تعالى(كونوا)جاء؛ "لأنه أبلغ في التخلق بالصدق من: اصدقوا ونظيره"[٥]

---

(١) تفسير التحرير والتنوير:١٠/٢٣٤

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:١/٤٢٢

(٣) إرشاد العقل السليم:٣/١١٠

(٤)حاشية القونوي:٩/٣٦١

(٥) تفسير التحرير والتنوير:١١/٥٤

وفي قوله تعالى:

٣١- ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةًۭ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾﴾

قيل لما ء ُ لمت المقاصد وتهيأت القلوب لقبول الفوائد، وأمر بالإنذار بالفقه، وكان من الناس من لا يرجع إلا بشديد البأس، أقبل على الكل مخاطباً لهم بأدنى أسنان القلوب ليتوجه إلى الأدنى، ويتناول الأعلى منه من باب الأولى فقال: (يا أيها الذين آمنوا) أي: ادَّعوا بألسنتهم الإيمان(قاتلوا) أي: تصديقاً لدعواكم ذلك (الذين يلونكم) أي: يقربون منكم

(من الكفار) فالذين يلونهم إن لم تروا غيره أصلح لمعنى يعرض لما في ذلك من حسن الترتيب ومقتضى الحكمة؛ ولأن الجهاد معروف وإحسان، والأقربون أولى بالمعروف، ولتبعدوا العدو عن بلادكم فيكثر صلاحهم ويقل فسادكم وتكونوا قد جمعتم بالتفقه والقتال بين الجهادين: جهاد الحجة وجهاد السيف مع الاحتراس بهذا الترتيب من أن يبقى وراءكم إذا قاتلتم من تخشون كيده"(١)

و قيل:"في توجيه النداء للذين آمنوا دون النبي إيماء إلى أن النبي – عليه الصلاة والسلام – لا يغزو بعد ذلك وأنّ أجله الشريف قد اقترب"(٢)

من خلال ما تقدم من آيات في هذا المبحث نلحظ أن النداء في سورة التوبة لم يأت إلا للمؤمنين، وللنبي–صلى الله عليه وسلم–لم يأت ِ للناس عامة، ولم يأت لأهل الكتاب كما في باقي سور القرآن الكريم.

(١) نظم الدرر:٤٠٣/٣

(٢) تفسير التحرير والتنوير:٦٢/١١

وفي النداء بوصف المؤمنين تذكير لهم بالعهد الذي عاهدوا الله عزّوجلّ - عليه، وهو الإيمان بما أمرهم بالإيمان به، وكأنه - عز وجل يحثهم بهذا الوصف على أن يقبلوا على ما يأمرهم به فيأخذوه وعلى ما ينهاهم عنه، فيجتنبوه.

وفي اختيار (يا) النداء، وهي عند بعض أهل العلم لنداء البعيد، للدلالة على أن المنادى فيه شيء من البعد بالمعصية والذنوب عن المنادِي جل جلاله- فعليه أن يصغي لما ينادي عليه.

هذا فيما يتعلق بنداء المؤمنين، أما نداء الرسول-صلى الله عليه وسلم- بياء النداء، ولفظ (النبي)دون(الرسول)، فلا ينطبق عليه ما قيل عن المؤمنين هنا،وإنما اقتضت صرامة الخطاب في السورة أن يأتي النداء بهذه الصورة، وأن ينادى بصفته،للتذكير بمهمته الكبرى-عليه الصلاة والسلام- وهي تبليغ ما أمره الله به،وليعلم الكفار والمنافقون أن الأمر بالجهاد هنا من الله عزّ وجلّ - وليس من غيره.

كذلك ارتبط النداء في سورة التوبة بالأمر، والنهي في بعض الآيات، فكان نداء لأجل الأمر والنهي.

وقد ينفصل الأمر والنهي عن النداء في سورة التوبة، فيرتبط الأمر والنهي مع بعضهما البعض وقد ينفرد كل منهما عن الآخر.

المبحث الثالث :خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر

توطئة:

درس علماء البلاغة ضمن موضوعات علم المعاني ظاهرة (خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر)لعلة بلاغية يتطلبها المقام، ومن المباحث التي اشتهرت بخروج الكلام فيها على خلاف مقتضى الظاهر:

- الالتفات
- التعبير عن الماضي بالمضارع وعكسه
- خروج الخبر إلى الإنشاء
- وضع الظاهر موضع المضمر وعكسه(١)

١-الالتفات:

رأى السكاكي أن" نقل الكلام عن الحكاية إلى الغيبة لا يختص بالمسند إليه،ولا بهذا القدر بل الحكاية والخطاب والغيبة ثلاثتها ينقل كل واحد منها إلى الآخر ويسمى هذا النقل التفاتا"(٢)

والمقصود بعبارة السكاكي:(ولا بهذا القدر) أي:" النقل غير مختص بأن يكون عن الحكاية،إلى الغيبة-ففي العبارة أدنى تسامح- ،ويحتمل أن يكون المعنى:(النقل عن

(١) يُنظر: الإيضاح:١/٢/٨١-٨٥

(٢) مفتاح العلوم:٢٩٦

الحكاية إلى الغيبة غير مختص بالقدر المذكور، وهو أن يكون الغيبة باسم مظهر لا بمضمر والأو ّ ل أوفق بقوله:(بل كل من التكلم والخطاب والغيبة مطلقا ينقل إلى الآخر)" [١]

قال الدكتور محمد خفاجي في شرحه لهذه العبارة:" ولاشك أن العبارة على هذا تكون واهية ولذلك قدر السعد (مطلقاً) أي: ولا النقل حال كونه مطلقاً من التقييد بكونه من التكلم إلى الغيبة مختص بهذا القدر"[٢]

والحقيقة أن من قدر(مطلقا) ليس السعد، بل القزويني، بدليل قول السعد نفسه:"وقوله(مطلقا) زيادة من المصنف، ليس بمصرح في كلام السكاكي"[٣]

من خلال كلام السكاكي يتبين لنا أن تعريف الالتفات هو:"التعبير عن معنى بطريق من الطرق (الثلاثة) التكلم والخطاب والغيبة(بعد التعبير عنه) أي: عن ذلك المعنى(بآخر منها) أي: بطريق آخر من الطرق الثلاثة بشرط أن يكون التعبير الثاني على خلاف مقتضى الظاهر"[٤]

بلاغة الالتفات:

وعن بلاغة الالتفات قال السكاكي:" العرب يستكثرون منه، ويرون الكلام إذا انتقل من أسلوب، إلى أسلوب أدخل في القبول عند السامع، وأحسن تطرية لنشاطه،وأملأ باستدرار إصغائه"[٥]

---

(١) المطول:١٣٠

(٢) الإيضاح:٢/٨٥

(٣) المطول:١٣٠

(٤) السابق:١٣١

(٥) مفتاح العلوم:٢٩٦

هل الالتفات من علم المعاني أو من علم البيان؟

درس بعض البلاغيين هذا الفن في علم المعاني، كما درسه بعضهم في علم البديع، وممن ذكره في علم البديع المعنوي الطيبي فقال عنه:"هو الانتقال من إحدى الصيغ الثلاث، أعني: الحكاية، أو الخطاب، والغيبة إلى الأخرى لمفهوم واحد، رعاية لنكتة وهو على أقسام:

أولها: الانتقال من الغيبة إلى الخطاب .

ثانيها:من الخطاب إلى الغيبة.

ثالثها:من الحكاية إلى لغيبة."(١)

بينما رأى صاحب التلخيص: إنه داخل في علم المعاني فقال:"(يسمى هذا النقل عند علماء المعاني التفاتاً) وقول صاحب الكشاف:(إنّه يسمى التفاتا في علم البيان،مبني على أنّه كثيرٌ ما يطلق علم البيان على العلوم الثلاثة" (٢)

علاقة هذا المصطلح بمعناه في اللغة:

رأى ابنالأثير أنّ حقيقة هذا الفن" مأخوذة من التفات الإنسان عن يمينه و شماله ،فهو يقبلُ بوجهه تارة كذا وتارة كذا"(٣)

كما يرى:" أن الانتقال من الخطاب إلى الغيبة، أو من الغيبة إلى الخطاب لا يكون إلا لفائدة اقتضتها وتلك الفائدة أمر وراء الانتقال من أسلوب إلى أسلوب، غير أنها لاتحد بحد ولا

---

(١) التبيان:٢٨٤-٢٨٥

(٢) المطول:١٣٠

(٣) المثل السائر:٤٠٨/٢

تضبط بضابط"[١]

أما عن صور الالتفات: المشهورة فهي الثلاثة التي وردت عند الطيبي آنفا.

صور من الالتفات في السورة:

أمثلة هذا الفن في السورة متنوعة [٢]منها قوله تعالى:

١- ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٢﴾

أُلتفت من الغيبة في قوله تعالى:(إلى الذين عاهدتم من المشركين) إلى الخطاب في الآية الثانية وهو قوله تعالى:(فسيحوا)

وتلوينُ الخطاب بصرفه عن المسلمين وتوجيهه إليهم مع حصول المقصود بصيغة أمرِ الغائبِ أيضاً للمبالغة في الإعلام بالإمهال وحسماً لمادة تعلّلِهم بالغفلة وقطعاً لشأفة اعتذارِهم بعدم الاستعداد"[٣]

وفي قوله تعالى:

٢- ﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣﴾

---

(١) المثل السائر:٢/٤٠٩

(٢) أحصى الدكتور حسن طبل في كتابه غالبية المواضع التي جاء فيها الالتفات في القرآن الكريم ووضع لها جدولا خاصا وأطلق عدة تسميات لنوع الالتفات كل بحسب نوعه للاستزادة يُنظر:(أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية):١٧١_٢١٥

(٣) إرشاد العقل السليم: ٣/٤٠

انتقل الحق تبارك وتعالى من الغيبة في قوله تعالى:(من المشركين)إلى الخطاب في قوله تعالى: (فإن تبتم) [1]ففي الكلام التفات من الغَيبة إلى الخطاب لزيادة التهديد والتشديد"[2]

قال القونوي:"فإن تبتم التفات من الغيبة إلى الخطاب للترغيب والتحريض إلى التوبة إذا لذة المخاطبة تؤدي إلى المسارعة إلى الإجابة وقيل لزيادة التشديد والتهديد"[3]

وفي قوله تعالى:

٣-﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِىَ حَسْبُهُمْۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾

جاء الالتفات في قوله تعالى: (المنافقين) من الغيبة إلى الخطاب في قوله:(من قبلكم) للتشديد. [4]

وقيل:" هذا الخطاب التفات، عن ضمائر الغيبة الراجعة إلى المنافقين، إلى خطابهم لقصد التفريع والتهديد بالموعظة، والتذكير عن الغرور بما هم فيه من نعمة الإمهال بأنّ آخر ذلك حبط الأعمال في الدنيا والآخرة، وأن يحقّ عليهم الخسران"[5]

---

(١) تفسير تحرير التنوير:١١١/١٠

(٢) إرشاد العقل السليم:٤١/٣

(٣) حاشية القونوي:١٥١/٩

(٤)يُنظر:إرشاد العقل السليم:٤٥/٣

(٥) تفسير التحرير والتنوير:٢٥٦/١٠

وفي قوله تعالى:

٤- ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾

جاء الالتفات عن الغيبة في قوله تعالى:(فاستبشروا)[(١)] إلى الخطاب في قوله تعالى:(ببيعكم)"[(٢)] لزيادة التشريف،والاستبشار إظهاراً لسرورهم"[(٣)]

و في قوله تعالى:

٥-﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾

التفت الكلام في هذه الآية من خطاب العرب[(٤)] إلى خطاب النبي_ صلى الله عليه وسلم _ فقيل له:(فإن تولوا فقل حسبي الله) والتقدير: (فإن توليتم عنه فحسبه الله)، فجيء بالالتفات؛ للإيماء إلى عدم تأهلهم لخطاب الله على تقدير حالة ،و لتلوين الخطاب وتوجيهه للرسول -صلى الله عليه وسلم- تسلية له.[(٥)]

من خلال ما تقدم :يتبين لنا أن الالتفات لا يكون إلا لفائدة اقتضته، كما أن في الانتقال من أسلوب إلى أسلوب فيهاتساعاً وتفنناً في أساليب الكلام .

---

(١) في قوله تعالى:(إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم)

(٢) ينظر:تفسير الجلالين:١٦٧.

(٣) روح المعاني:٣٤٥/٩/٥

(٤) في الآية السابقة لها وهي قوله تعالى:"لقد جاءكم رسول من أنفسكم"(١٢٨)

(٥) إرشاد العقل السليم:١١٤/٣

٢- التعبير عن الماضي بالمضارع وعكسه

توطئة:

قال الخطيب القزويني:"ومنه_ ومن مجيء الكلام خلاف مقتضى الظاهر_ التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي؛تنبيهاً على تحقق وقوعه نحو قوله تعالى﴿**وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ ٦٨**﴾ (١)

فصُعق بمعنى: (فزع) وهذا الكلام ولاسيما في كلام الله تعالى أكثر من أن يحصى"(٢)

قال ابن الأثير عن هذا القسم:"وهذا القسم كالذي قبله في أنّه ليس الانتقال فيه من صيغة إلى صيغة ؛طلبا للتوسع في أساليب الكلام فقط، بل لأمر وراء ذلك، وإنما يقصدإليه تعظيماً لحال من أجري عليه الفعل المستقبل؛تفخيما لأمره، وبالضد من ذلك فيمن أجري عليه فعل الأمر" (٣)

وهذا التصريح من ابن الأثير يوضح لنا السرّ في مجئ الكلام على هذه الصياغة،وأنّه ليس من أجل التوسع في طرق الكلام، وأساليبه، وإنما لغاية ونكتة بلاغية يقتضيها السياق.

صور من التعبير عن الماضي بصيغة المضارع وعكسه:

١- قال تعالى:﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِي ٱلْأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ٣٨**﴾

جاء الفعل:(أثاقلتم)ماضٍ لفظاً مضارعٌ معنىً ،كأنه قيل: (تتثاقلون)فالعاملُ في

---

(١) الزمر(٦٨)

(٢) المطول:١٣٦-١٣٧

(٣) المثل السائر:٤١٥/١

الظرفِ لا الاستقرارُ المقدرُ في لكلِّ أو معنى الفعلِ المدلولِ عليه بذلك"[1]

ومن التعبير عن الماضي بلفظ المضارع قوله تعالى:

٢- ﴿ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَـٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾

إيثارُ صيغةِ الاستقبالِ في قوله تعالى (يجدون) وإن كان المعنى على المُضِيّ ؛لإفادة استمرارِ عدمِ الوجدان فإنّ المضارعَ، المنفيَّ الواقعَ موقعَ الماضي ليس نصاً في إفادة انتفاءِ استمرارِ الفعلِ كما هو الظاهرُ بل قد يفيد استمرارَ انتفائِه أيضاً حسبما يقتضيه المقامُ.[2]

وفي قوله تعالى:

٣- ﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَـٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَـٰتِ ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾

ثبت أُظُلمُهم أنفُسَهم لهم بأ بلغ وجه، "إذْ أسند إليهم بصيغة الكون الماضي(ما كان) الدالّ على تمكّن الظلم منهم منذ زمان مضى، وصيغ الظلم الكائن في ذلك الزمان بصيغة المضارع[3] للدلالة على التجدّد والتكرّر، أي: على تكرير ظلمهم أنفسهم في الأزمنة الماضية"[4]

وقيل التعبير بهذه الصيغة: "للمبالغة في تنزيه ساحةِ الحق سبحانه عن الظلم، أي: ما صح وما استقام له أن يظلِمهم ولكنهم ظلموا أنفسَهم، فالجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل في قوله عز وجل: (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) للدِلالة على استمرار ظلمِهم

(١) إرشاد العقل السليم:٦٥/٣

(٢)يُنظر:إرشاد العقل السليم:٧٥/٣.

(٣) (ليظلمهم) بدلا من(ظلمهم)

(٤) تفسير التحرير والتنوير:٢٦٠٥/١٠

حيث لم يزالوا يعرِّضونها للعقاب بالكفر والتكذيب"(١)

وفي قوله تعالى:

٤- ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾

عبُرّ عن كذبهم بصيغة المضارع بعد فعل الكون الماضي في قوله تعالى: (كانوا يكذبون) للدلالة كان على أنّ الكذب كائن فيهم، ومتمكّن منهم، وجاء بعده بصيغة المضارع للدلالة على تكرار الكذب منهم وتجدده(٢)

و في قوله تعالى:

٥- ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾

جيء بصيغة الماضي في قوله تعالى:(مات)؛"تنبيهاً على تحقق الوقوعِ لا محالة" (٣)

حكاية الحال الماضية:

من حكاية الحال الماضية واستحضار صورتها ما جاء في قوله تعالى:

١٠- ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾

قال ابن التمجيد:"تغيير الأسلوب إلى صيغة المستقبل، أي: في قوله تعالى:(ولا يأتون)

(١) إرشاد العقل السليم:٨٢/٣ .

(٢) تفسير التحرير والتنوير:٢٧٣/١٠

(٣) السابق:٨٢/٣ .

يحُتمل أن يكون لإفادة الاستمرار، أو لحكاية الحال الماضية واستحضارها"[1]

وفي قوله تعالى:

١١- ﴿ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدۡ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلۡكُفۡرِ وَكَفَرُواْ بَعۡدَ إِسۡلَٰمِهِمۡ وَهَمُّواْ بِمَا لَمۡ يَنَالُواْۚ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦۚ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيۡرٗا لَّهُمۡۖ وَإِن يَتَوَلَّوۡاْ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَا لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ٧٤ ﴾

قال البيضاوي في قوله تعالى:(يحلفون بالله ما قالوا) "روي أنه- صلى الله عليه وسلم- أقام في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المتخلفين فقال الجلاس بن سويد: لئن كان ما يقول محمد لإخواننا حقاً لنحن شر من الحمير، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحضره فحلف بالله ما قاله فنزلت فتاب الجلاس وحسنت توبته"[2]

قال أحد شراحه :"(قوله فحلف بالله ما قاله) يدل على"أن المضارع في النظم الجليل لحكاية الحال الماضية"[3] فعبر عن الماضي بلفظ المضارع لاستحضار الصورة.

من خلال ما تقدم يتبين لنا: أن التعبير عن الماضي بلفظ المضارع وعكسه ليس طلباً للتوسع في أساليب الكلام فقط،بل لأمر وراء ذلك كتعظيم حال من أُجري عليه الفعل المستقبل؛تفخيما لأمره،أو للتنبيه على تحقق وقوعه إذا عبر عن المستقبل بلفظ الماضي.

كذلك نخلص إلى أن الفائدة من حكاية الحال الماضية: بعث الماضي، وتصويره في صورة الذي يحدث في الحال، ونقل ذهن المتلقي إلى تلك اللحظة،كأنه يراها ببصره.

---

(١) حاشية ابن التمجيد:٢٥٢/٩

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤١٣/١

(٣) حاشية القونوي:٢٨٤/٩

٣-خروج الخبر إلى الإنشاء وعكسه.

توطئة:

قال السعد في المطول معلقاً على ماذكره صاحب التلخيص ذاكراً أهم اعتبارات خروج الخبر إلى الإنشاء:" الخبر قد يقع موقع الإنشاء :إما للتفاؤل أي:بلفظ الماضي على أنّه من الأمور الحاصلة التي حقها أن يخبر عنها بأفعال ماضية كقولك:(وفقك الله للتقوى)، أو لإظهار الحرص في وقوعه كما في بحث الشرط من أن الطالب إذا عظمت رغبته في شيء كثر تصوره إياه، فربما يحيل إليه حاصلا، فيورده بلفظ الماضي كقولك:(رزقني الله لقاءك)،والدعاء بصيغة الماضي من البليغ نحو:(رحمة الله) ويحتملهما رأي التفاؤل وإظهار الحرص أولاً احترازاً عن صورة الأمر، ومن الاعتبارات المناسبة لإيقاع الخبر موقع الإنشاء : القصد إلى المبالغة في الطلب حتى كأن المخاطب سارع في الامتثال، ومنها: القصد إلى استعجال المخاطب في تحصيل المطلوب ومنها:التعبئة على كون المطلوب قريب الوقوع في نفسه لقوة الأسباب في وقوعه ونحو ذلك من الاعتبارات"(١)

صور من خروج الخبر إلى الإنشاء وعكسه في السورة:

من الصور التي خرج فيها الخبر إلى الإنشاء قوله تعالى:

١-﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

قال البيضاوي في قوله تعالى:(قاتلهم الله):"دعاء عليهم بالإ هلاك؛ فإن من قاتله الله هلك

---

(١) المطول:٢٤٦

أو ربما كان المقصود تعجب من شناعة قولهم"(١)

وقيل:"هو طلب من ذاته أن يلعنهم، أو تعليم للمؤمنين، أن يدعوا عليهم بذلك،(أو ربما كان المقصود تعجب من شناعة قولهم)أي: المراد ليس دعاء بالهلاك، بل هذا اللفظ في التعجب سواء كان في المدح،أو في الذّم، والتعيين بالقرائن فيقال: قاتله الله ما أفصحه"(٢)

وقيل جملة" قاتلهم الله"كلام مركّب يستعمل في التعجّب من عمل شنيع، و هو دعاء مستعمل في التعجب والمفاعلة فيه للمبالغة في الدعاء: أي قتلهم الله قتلاً شديداً التعجب" (٣)

والراجح والله أعلم أنه للتعجب بدليل قوله:" والتعيين بالقرائن فيقال:قاتله الله ما أفصحه"(٤)

و قوله تعالى:

٢-﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾﴾

يرى بعض المفسرين أن (العفو) في هذه الآية جاء صراحة على الإخبار؛ لأنه جاء بلفظ الماضي وليس مقصودا به الدعاء، فقيل هو"صريحٌ في أنه -سبحانه وتعالى- قد عفا عنه _عليه الصلاة والسلام_ما وقع منه عند استئذانِ المتخلفين في التخلف، معتذرين بعدم الاستطاعةِ ، وإذنُه كان اعتماداً على أَيمْانهم ومواثيقِهم؛ لخلوها عن المزاعم من ترك الأولى والأفضلِ الذي هو التأنّي والتوقفُ إلى انجلاء الأمرِ وانكشافِ الحالِ " (٥)

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤٠٤/١

(٢) حاشية القونوي:٢٠٧/٩

(٣) تفسير التحرير والتنوير:١٦٩/١٠

(٤) حاشية القونوي:٢٠٧/٩

(٥) إرشاد العقل السليم:٦٨/٣

وقيل" في هذا الافتتاح كناية عن خفّة موجب العتاب؛ لأنّه بمنزلة أن يقال: ما كان ينبغي وألقي العتاب للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بصيغة الاستفهام عن العلّة إيماء إلى أنّه ما أذن لهم إلاّ لسبب تأوله ورجاء الصلاح، وهذا الأسلوب من صيغ التلطّف في الإنكار و اللوم بأن يظهر المنكر نفسه كالسائل عن العلّة التي خفيت عليه" [(١)]

و قوله تعالى:

٣- ﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾

قوله تعالى: (يَحْذَرُ) خبر في معنى الأمر، أي: ليحذر [(٢)] فهو في معنى الغائب فكأنه قيل: ليحذر المنافقون" [(٣)]

و قوله تعالى:

٤- ﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾

قوله تعالى: (فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً): " إخبار عما يؤول إليه حالهم في الدنيا والآخرة أخرجه على صيغة الأمر؛ للدلالة على أنه حتم واجب" [(٤)]

و أصل المعنى: " (فسيضحكون قليلاً ويبكون كثيراً)؛ إلا أنّه أُخرج الخبر على لفظ الأمر للدلالة على أنه حتم واجب، لا يكون غيره، وو جه دلالة صيغة الأمر على ذلك :أن الأمر إنشاء لا يحتمل الكذب كما يحتمله الخبر" [(٥)]

---

(١) تفسير التحرير والتنوير: ١٠/ ٢١٠

(٢) يُنظر: روح المعاني: ١٢٣/٣

(٣) يُنظر: حاشية القونوي: ٢٧١/٩

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٤١٥/١

(٥) حاشية القونوي: ٢٩٩/٩

و قوله تعالى:

٥- ﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾

قال البيضاوي: إخبار في معنى النهي للمبالغة"[١]

و المعنى :"فقل لا تخرجوا معي أبدا ولا تقاتلوا معي عدوا، فعدل عنه إلى الخبر مبالغة كما يعدل عن الأمر إلى الإخبار؛ لذلك في نحو:(رحمه الله) والمعنى:(ليرحمه الله) ويؤيد عطف فاقعدوا عليه أن هذا النهي في المعنى على وجه المبالغة في مثل ذلك هو إفادة الكلام حينئذ أن المطلوب بالأمر والنهي قد وقع وحصل فاخبر عنه"[٢]

في قوله تعالى:

٦- ﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ ﴾

جاء التعبير في قوله تعالى:(عليهم دائرة السوء) "اعتراض بالدعاء عليهم بنحو ما يتربصون أو الإِ خبار عن وقوع ما يتربصون عليهم"[٣]

"وكل ما كان بلفظ دعاء من جهة الله عز وجل، فإنما هو بمعنى إيجاب الشيء؛ لأن الله لا يدعو على مخلوقاته وهي في قبضته"[٤]

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤١٥/١

(٢) حاشية القونوي:٢٩٩/٩

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤١٨/١

(٤) المحرر الوجيز:٢٥٧/٨

فقوله تعالى: (عليهم دائرة السوء)دعاء عليهم وتحقير، والدعاء من الله على خلقه: تكوين وتقديومشوب بإهانة؛ لأنه لا يعجزه شيء، فلا يحتاج إلى تمني ما يريده"(١)

وفي قوله تعالى:

٧- ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾﴾

قال البيضاوي في قوله تعالى:(صرف الله قلوبهم):" يحتمل الإخبار والدعاء"(٢)

قال أحد شراحه:"(وقوله يحتمل الإخبار):قدمه ؛لأنه راجح؛ولأنه حقيقة ولا داعي قوي للمجاز؛ولأن الصرف متحقق في نفس الأمر (والدعاء) فيكون طلباً من ذاته أن يصرف قلوبهم أو تعليماً للمؤمنين بأن يدعوا عليهم بذلك" (٣)

وفي قوله تعالى:

٨- ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾

قال الزمخشري في قوله تعالى:(سخر الله منهم) إخبار بمجازاته تعالى إياهم على ما فعلوا من السخرية" (٤).

وقيل:(سخر الله منهم) يحتمل أن يكون خبراً محضاً، وأن يكون دعاءً " (٥)

قال القونوي:"اختير هنا صيغة الماضي؛ لتحقق وقوعه، والمراد الاستمرار سواء أريد به الجزاء

---

(١) تفسير التحرير والتنوير:١٠/ ٢٦٦

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤٢٦/١

(٣) حاشية القونوي:٣٧٦/٩

(٤) إرشاد العقل السليم:٧٠/٣

(٥) الكشاف:٧٢/٣

في الدنيا والآخرة، أما الاستمرار في الآخرة، فظاهر، وأما في الدنيا فلأن الجزاء ينقطع بل يحدث حالاً فحالاً "[1]

ومن خروج الإنشاء إلى الخبر قوله تعالى:

٩- ﴿ قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ (٥٣) ﴾

قال البيضاوي:" أمر في معنى الخبر، أي لن يتقبل منكم نفقاتكم أنفقتم طوعاً أو كرهاً . وفائدته المبالغة في تساوي الإنفاقين في عدم القبول كأنهم أمروا بأن يمتحنوا فينفقوا وينظروا هل يتقبل منهم" [2]

"معنى الآية الشرط والجزاء،أي إن أنفقتم طائعين أو مكرهين لن يُتقبل منكم"[3]

وقيل:" كما أن الخبر يستعمل للأمر في نحو رحمه الله،كذلك الأمر يستعمل في معنى الخبر كثيراً " [4]

وقوله تعالى:

١٠ -﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٨٠) ﴾

قوله تعالى:(استغفر) "أمر في معنى الخبر، وفيه معنى الشرط"[5] المراد به" التساوي بين الأمرين في عدم الإفادة لهم"[6] كأنه قيل استغفارك وعدم استغفارك سيان في عدم الإفادة"[7]

---

(١) حاشية القونوي:٩/٢٩٣

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:١/٤٠٨

(٣) حاشية ابن التمجيد:٩/٢٥١

(٤) عناية القاضي وكفاية الراضي:٤/٥٨١

(٥) الكشاف:٣/٧٤

(٦) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:١/٤١٤

الإفادة"[1]

وتصويره بصورة الأمر للمبالغة في بيان استوائهما كأنه -عليه الصلاة والسلام -أُمر بامتحان الحال بأن يستغفر تارة ويترك أخرى ليظهر له جلية الأمر"[2]

من خلال ما تقدم نخلص إلى: أن الخبر في سورة التوبة قد يخرج إلى الإنشاء بقصد الدعاء أو المبالغة في الغالب الأعم.

(١) حاشية ابن التمجيد: ٢٩٤/٩

(٢) إرشاد العقل السليم:٨٠/٣

٤-وضع الظاهر موضع المضمروعكسه

توطئة:

بعد أن فرغ القزويني من الحديث عن أحوال المسند إليه من حذف وذكر، وتعريف وتنكير ،وتقديم وتأخير، قال:"هذا كله مقتضى الظاهر، وقد يخرج الكلام على خلافه، فيوضع المضمر موضع المظهر." (١)

وهو داخل عند كثير من البلاغيين في خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر.

قال السعد معلقا على عبارة الخطيب القزويني في التلخيص :

" (هذا) الذي ذكر من الحذف، والذكر والإضمار والتعريف والتنكير والتقديم والتأخير (كله مقتضى الظاهر) من الحال، (وقد يخرج الكلام على خلافه) أي: على خلاف مقتضى الظاهر لاقتضاء الحال إياه، (فيوضع المضمر موضع المظهر (وقد يعكس (فإن كان) المظهر الموضوع موضع المضمر (اسم إشارة فلكمال العناية بتمييزه (لا اختصاصه بحكم بديع) (أو التهكم بالسامع (كما إذا كان فاقد البصر) (أو النداء على كمال بلادته) بأنه لا يدرك غير المحسوس أو (فطانته) بأن غير المحسوس عنده بمنزلة المحسوس (وإن كان) المظهر الذي وضع موضع المضمر (غيره) أي غير اسم الإشارة (فلزيادة التمكن) أي تمكين المسند إليه عند السامع (نحو قل هو الله احد، الله الصمد) (ونظيره من غيره) من غير باب المسند إليه. (وبالحق أنزلناه وبالحق نزل) أي ما أنزلنا القرآن إلا بالحكمة المقتضيةلإنزاله وما نز ل إلا بالحكمة لاشتماله على الهداية إلى كل خير أو إدخال الروع في ضمير السامع وتربية المهابة وتقوية داعي المأمور،(ومثالهما) (قول الخلفاء أمير المؤمنين يأمرك بكذا) مكان أنا آمرك، (وعليه) أي: على

---

(١) التلخيص:٩٨-٩٠

وضع المظهر موضع المضمر لتقوية داعي المأمور (من غيره) أي من غير باب المسند إليه

(فإذا عزمت فتوكل على الله) حيث لم يقل عليّ ؛لما في لفظ الله من تقوية داعي النبي – صلى الله عليه وسلم –إلى التوكل عليه؛لدلالته على ذات ٍ موصوفة بالقدرة الكاملة، وسائر أوصاف الكمال (أو الاستعطاف) أي طلب العطف والرحمة كقوله:

إلهي عبدك العاصى أتاكا   مقرا بالذنوب وقد دعاكا(١)

حيث لم يقل أنا العاصي أتيتك؛لأن في ذكر عبدك من استحقاق الرحمة وترقب الشفقة ماليس في لفظ أنا " (٢)

صور من وضع الظاهر موضع المضمر وعكسه في السورة:

١ –قال تعالى:﴿فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾﴾

أُظهر لفظ الجلالة في قوله تعالى:(وأن الله مخزي الكافرين) ، وكان حقه الإضمار؛ لأنه ورد ذكره في قوله تعالى:(غير معجزي الله)؛لتربية المهابة ِ وتهويلِ أمر الإخزاء ِ " (٣) وقيل:" إشارة إلى أن سبب هذا الإخزاء هو: الكفر"(٤)

قال القونوي:"اعلموا أن الله مخزيكم كالدليل بما قبله وإظهار الاسم الجليل؛ لتربية المهابة

(١) البيت لإبراهيم بن أدهم :أبو إسحاق، إبراهيم بن منصور بن زيد بن جابر العجلي التميمي أحد علماء أهل السنة السنة والجماعة في القرن الثاني الهجري. ُنظر:وفيات الأعيان:١/٣١-٣٢

(٢) المطول:١٢٧ ومابعدها

(٣) إرشاد العقل السليم:٤١/٣

(٤) فتح القدير :٣٣٢/٢

وإنما أضمر الكافرين للإشارة إلى علة الحكم، ورعاية للفاصلة"[1]

وفي قوله تعالى:

٢- ﴿ فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾

أُظهرت الأشهر الحرم في قوله تعالى:(الأشهر الحرم) وحقها الإضمار[2]ليكون ذريعةً إلى وصفها بالحُرمة؛تأكيداً لما ينبئ إباحةُ السياحةِ من حرمة التعرضِ لهم مع ما فيه من مزيد الاعتناءِ بشأنها"[3]

وفي قوله تعالى:

٣- ﴿ وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ ﴾

قال الزمخشري في قوله تعالى: (فقاتلوا أئمة الكفر) وضع الظاهر(أئمة الكفر) وكان حقه الإضمار بأن يقال:(قاتلوهم)" إشعارا بأنهم نكثوا في حال الشرك تمرداً،وطغياناً وطرحاً لعادات الكرام الأوفياء من العرب"[4]

وقال البيضاوي: ُضع أئمة الكفر موضع الضمير؛ للدلالة على أنهم صاروا بذلك ذوي الرئاسة والتقدم في الكفر أحقاء بالقتل"[5]

---

(١) حاشية القونوي:١٤٨/٩

(٢) ورد ذكرها في الآية الثانية في قوله تعالى:(فسيحوا في الأرض أربعة أشهر)

(٣) إرشاد العقل السليم:٤٣/٣

(٤) الكشاف:١٧/٣

(٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٣٩٧/١

قال أحد شراحه:"أئمة الكفر مظهر موضوع موضع المضمر؛لأن مقتضى الظاهر أن يقال:(وإن نكثوا أيمانهم) من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوهم"[1]

و السبب في الإظهار:"لزيادة التشنيع عليهم ببلوغهم هذه المنزلة من الكفر، وهي أنهم قدوة لغيرهم"[2]

وفي قوله تعالى:

٤- ﴿ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾

إيثارُ إظهارِ لفظ الجلالة في قوله تعالى:(والله عليم حكيم) على الإضمار"لتربية المهابة وإدخال الروعة."[3]

وفي قوله تعالى:

٥- ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾

جاء الإظهار في تكرار لفظة(النور) في قوله تعالى:(ويأبى الله إلا أن يتم نوره).

قال أبو السعود:"إظهار النورِ في مَقام الإضمارِ مضافاً إلى ضميره عزّوجلّ ـ زيادةُ اعتناءٍ بشأنه وتشريفٌ له على تشريف وإشعارٌ بعِلة الحُكم."[4]

وقد فصل الشهاب في المراد من لفظة النور فقال:"وقوله: (إلا أن يتم نوره)إن كان المراد به

---

(١) حاشية ابن التمجيد:١٧١/٩

(٢) تفسير التحرير والتنوير:١٣٠/١٠

(٣) روح المعاني:٢٥٧/٩/٥

(٤) إرشاد العقل السليم:٦١/٣

النور السابق فهو من إقامة الظاهر مقام المضمر وإن أريد كل نور له[1] أعم من الأول فهو تتميم"[2]

كذلك وضع الظاهر فيما حقه الإضمار في قوله تعالى:(ويأبى الله)؛لأنه أظهر لفظ الجلالة وكان حقه الإضمار؛ لأنه سبق في قوله تعالى:(نور الله).

وفي قوله تعالى:

٦- ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾

جاء الإظهار في قوله: (فيحلّوا ما حرم الله) دون أن يقال:(فيُحلوا ما حرمه)؛ لزيادة التصريح بتسجيل شناعة عملهم، وهو مخالفتهم أمر الله تعالى وإبطالهُم حرمة بعض الأشهر الحرم" [3]

وأيضا جاء الإظهار في مقام الإضمار في قوله تعالى: (القوم الكافرين)" لقصد إفادة التعميم الذي يشملهم وغيرهم، أي: هذا شأن الله مع جميع الكافرين." [4]

---

(١) هذا نص ما جاء في النسخة المعتمدة في البحث ولعل لفظة(كان) سقطت منها وعليه تكون العبارة:(وإن أريد كل نور له كان أعم من الأول) والله أعلم.

(٢) عناية القاضي وكفاية الراضي :٥٥٩/٤

(٣) تفسير التحرير والتنوير:١٩٤/١٠

(٤) السابق:١٩٥/١٠

وفي قوله تعالى:

٧- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ ﴾

جاء التصريح بلفظة(الدنيا)، وكان حقها الإضمار في قوله تعالى: (فما متاع الحياة الدنيا) أُظهر في مقام الإضمار لزيادة التقرير أي فما التمتع بها وبلذائذها (في الآخرة) أي: في جنب الآخرة (إلا قليل) مستحقر لا يؤبه له"[1]

وفي قوله تعالى:

٨- ﴿ لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾

قال القونوي في قوله تعالى:(والله عليم بالمتقين):"أي: أن المراد بالمتقين ليس جنس المتقين إذ لا مساس له هنا، بل المراد المعهودون المذكورون بالذين يؤمنون، فوضع الظاهر موضع الضمير لبيان أنهم المتقون الفائزون بالثواب وحسن المآب"[2]

وفي قوله تعالى:

٩- ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي ۚ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾

جاء الإظهار في التصريح بلفظ(الكافرين) وحقه الإضمار"ووجه العدول عن الإتيان

---

(١) إرشاد العقل السليم:٣/٦٥

(٢) حاشية القونوي:٩/٢٣٨

بضميرهم إلى الإتيان بالاسم الظاهر لإثبات إحاطة جهنّم بهم بطريق شبيه بالاستدلال؛ لأنّ شمول الاسم الكلي لبعض جزئياته أشهر أنواع الاستدلال" [١]

وقيل :"إيثار وضع الظاهر موضع الضمير؛ للتسجيل عليهم بالكفر والإشعار بأنه معظم أسباب الإحاطة المذكورة وإما جميع الكافرين ويدخل هؤلاء دخولا أوليا" [٢]

وفي قوله تعالى:

١٠- ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾

إظهارُ الاسمِ الجليلِ [٣] في مقام الإضمار لإظهار التبرُّكِ والتلذذِ به وإن كانت مَسوقةً من قِبله تعالى أمراً للمؤمنين إثر أمرِه عليه الصلاة والسلام بما ذكر فالأمرُ ظاهرٌ " [٤]

قال القونوي:"إن كان من جملة المأمور به فإظهار الاسم الجليل مع أن المقام مقام المضمر، لقصد التلذذ به وإن كان من قبله تعالى، فالمقام مقام المظهر" [٥]

وفي قوله تعالى:

١١- ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٦٠﴾ ﴾

أُظهر لفظ الجلالة في قوله تعالى:(والله عليم حكيم)، وحقه الإضمار؛ لمجيئه مصرحاً به في قوله تعالى:(من الله)؛ لتربية المهابة، وأمثلته في القرآن كثيرة.

---

(١) تفسير التحرير والتنوير:١٠/٢٢١

(٢) روح المعاني:٩/٣٠٥

(٣) في قوله تعالى:(وعلى الله)

(٤) إرشاد العقل السليم:٣/٧٣

(٥) حاشية القونوي:٩/٢٥٠

وفي قوله تعالى:

١٢-﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾

جاء التصريح بلفظ (بالنبي)"إظهار في مقام الإضمار لأن قبله :(ومنهم من يلمزك في الصدقات)، فكان مقتضى الظاهر أن يقال: (ومنهم الذين يؤذونك)فعُدل عن الإضمار إلى إظهار وصف (النبي) للإيذان بشناعة قولهم، ولزيادة تنزيه النبي_ صلى الله عليه وسلم_ بالثناء عليه بوصف النبوة بحيث لا تحكى مقالتهم فيه إلاّ بعد تقديم ما يشير إلى تنزيهه والتعريض بجرمهم فيما قالوه" [(١)]

وفي قوله تعالى:

١٣-﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾

قال البيضاوي في توجيه قوله تعالى:(عليهم) أي:" على المؤمنين"[(٢)]

وقال أحد شراحه:"اختار كون مرجع الضمير مؤمنين في الموضعين، مع استلزامه تفكيك الضمائر؛ لأن إرجاعه إلى المنافقين، يستلزم التكلف في النزول عليهم،وأما تفكيك الضمير فليس بممنوع لاسيما عند قيام القرينة"[(٣)]

(١) تفسير التحرير والتنوير:١٠/٢٤١

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:١/٤١٠

(٣) حاشية القونوي:٩/٢٧٠

وفي قوله تعالى:

١٤- ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾

أُظهر لفظ (المنافقين)وحقه الإضمار في قوله تعالى: (إن المنافقين هم الفاسقون)؛ بقصد

إيقاع الظاهر موقع المضمر على التفخيم والتعظيم لما به على عكسه وهو التحقير.[١]

وفي قوله تعالى:

١٥- ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِىَ حَسْبُهُمْۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾

جاء الإظهار في موقع الإضمار من قوله تعالى:(وعد الله)؛" لزيادة التقرير والإشعار بعليّة وصف الإيمان لحصول ما تعلق به الوعد، وعدم التعرض لذكر ما أمر من الأمر بالمعروف وغير ذلك للإيذان بأنّه من لوازمه ومستتبعاته"[٢]

كذلك أُظهر لفظي (المنافقين والمنافقات) رغم ذكره في قوله تعالى:(المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض)[٣]؛"لتقرير المحكوم عليه في ذهن السامع حتى يتمكّن اتّصافهم بالحكم"[٤]

---

(١) يُنظر:الدر المصون:٤٨٣/٣

(٢) إرشاد العقل السليم:٨٣/٣

(٣) آية(٦٧)

(٤) تفسير التحرير والتنوير: ٢٦٤/١٠

وفي قوله تعالى:

١٦-﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾

أُظهر لفظ الجلالة في قوله تعالى:(إن الله) وحقه الإضمار" لزيادة التقرير"(١)

وفي قوله تعالى:

١٧-﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾

كذلك أظهر لفظ الجلال في(وعد الله) وحقه الإضمار لوروده في الآية السابقه لها(إن الله)

"والإظهار في موقع الإضمار؛ لزيادة التقرير، والإشعار بعليه وصف الإيمان لحصول ما تعلق به الوعد وعدم التعرض لذكر ما أمر من الأمر بالمعروف، وغير ذلك للإيذان بأنه من لوازمه ومستتبعاته أي وعدهم وعداً شاملاً لكل أحد منهم على اختلاف طبقاتهم في مراتب الفضل"(٢)

والإظهار في مقام الإضمار في قوله تعالى:(وعد الله المؤمنين والمؤمنات) دون أن يقال: وعَدهم الله على الرغم من تقدم ذكرهم في الآية السابقة لهذه الآية في قوله تعالى: (المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) "وذلك لتقريرهم في ذهن السامع ليتمكّن تعلّق الفعل بهم في ذهن السامع" (٣)

---

(١) فتح القدير:٣٨١/٢

(٢) إرشاد العقل السليم:٨٣/٣

(٣) تفسير التحرير والتنوير:٢٤٥/١٠

وفي قوله تعالى:

١٨- ﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾

السرّ في تكرار اسم الإشارة(أولئك)،دون التعبير بالضمير على سبيل المثال ما قاله البيضاوي وهو أن المقصود:" منافع الدارين: النصر والغنيمة خير في الدنيا والجنة والكرامة في الآخرة"(١)

وفي قوله تعالى:

١٩- ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ ﴾

وضْعُ (المحسنين) موضعَ الضمير؛ للدلالة على انتظامهم بنُصحهم لله ورسولِه في سلك المحسنين، أو تعليلٌ لنفي الحرجِ عنهم، أي: ما على جنس المحسنين من سبيل وهم من جملتهم"(٢)

وقيل:"وإنما وضع المحسنين موضع الضمير؛ للدلالة على أنهم منخرطون في سلك المحسنين غير معاتبين لذلك "(٣)

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٤١٦/١

(٢) إرشاد العقل السليم:٩٢/٣

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٤١٧/١

وفي قوله تعالى:

٢٠ - ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٩٤)﴾

أظهر الوصف (عالم الغيب والشهادة)؛"لتشديد الوعيد"(١)

وقيل:"وضع الوصف موضع الضمير؛ للدلالة على أنه مطلع على سرهم وعلنهم لا يفوت عن علمه شيء من ضمائرهم وأعمالهم" (٢)

وقيل:"يكون لتشديد الوعيد فإن علمه سبحانه وتعالى بجميع أعمالهم الظاهرة والباطنة وإحاطته بأحوالهم البارزة والكامنة مما يوجب الزجر العظيم" (٣)

وقيل :أو" لإشعار ذلك بإحاطته بكل شيء يقع منهم ويكتمونه ويتظاهرون به" (٤)

وفي قوله تعالى:

٢١ - ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (٩٦)﴾

المقصود بـ(القوم الفاسقين) هم (المنافقون)" والعدول عن الإتيان بضمير هم إلى التعبير بصفتهم للدلالة على ذمهم وتعليل عدم الرضا عنهم، فالكلام مشتمل على خبر وعلى دليله

---

(١) إرشاد العقل السليم:٩٤/٣

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:١٣٨/٣

(٣) إرشاد العقل السليم:٨٩/٣

(٤) فتح القدير:٣٤٠/٢

فأفاد مفاد كلامين لأنه ينحل ّ إلى: فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عنهم، لأن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين" [١]

وفي قوله تعالى:

٢٢-﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾

جاء الإظهار في قوله تعالى: (إلى عالم الغيب والشهادة)، وكان حقه الإضمار،أي: (إليه)"فوضع الظاهر موضع المضمر لما ذكره سابقا"[٢]

وفي قوله تعالى:

٢٣-﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾

جاء الإظهار في قوله تعالى:(والله لايهدي القوم الظالمين):أي:" إلى ما فيه صلاحهم ونجاحهم"[٣]

والمراد بالظالمين جنس الظالمين، فيدخل الذين اتخذوا مسجدا،دخولاًأوليّاً ، ويحتمل أن يكونوا مرادين به على أن تكون اللام للعهد"فوضع الظاهر موضع الضمير للتسجيل على ظلمهم لأنفسهم وللإشارة إلى علة الحكم والتأكيد المستفاد من الجملة الاسمية للمبالغة في الإقناط وكلمة (لا)لدوام النفي لا لنفي الدوام"[٤]

(١) تفسير التحرير والتنوير: ١٧٨/١٠

(٢) حاشية القونوي:٣٣٠/٩

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٤٢٢/١

(٤) حاشية القونوي:٣٤٢/٩

وفي قوله تعالى:

٢٤- ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٢﴾

وضع الظاهر في قوله تعالى:(وبشر المؤمنين)أي:"الموصوفين بالنعوت المذكورة ، ووضعُ المؤمنين موضعَ ضميرهم؛ للتنبيه على أن مِلاك الأمرِ هو الأيمانُ وأن المؤمن الكاملَ مَنْ كان كذلك، وحُذف المبشَّرُ به للإيذان بخروجه عن حد البيانِ ، وفي تخصيص الخطابِ بالأولين إظهارُ زيادةِ اعتناءٍ بأمرهم من الترغيب والتسلية"[(١)]

من خلال ما تقدم نخلص إلى أن إظهار لفظ الجلالة، إذا كان حقه الإضمار، يكون لتربية المهابة في الغالب الأعم.

كما أن وضع المظهر موضع المضمر، أو عكسه، قد يأتي للتوكيد، أو للتفخيم، أو لزيادة التقرير كما مرّ معنا في تحليل الآيات.

(١) إرشاد العقل السليم:١٠٧/٣

الباب الثاني

ألوان التصوير البياني وأسرارها البلاغية

- الفصل الأول: التصوير بالتشبيه: أنواعه وأسراره.
- الفصل الثاني: التصوير بالمجاز:
  1. المجاز العقلي.
  2. المجاز المرسل.
  3. الاستعارة.
- الفصل الثالث: التصوير بالكناية والتعريض.

الفصل الأول: التصوير بالتشبيه: أنواعه وأسراره.

توطئة:

التشبيه أحد فنون علم البيان،وهو الذي تُبنى عليه الاستعارة،وله فوائد كثيرة؛لذا كان المقصد الأول في علم البيان، ويرى الخطيب :أن التعرض له، وهو من أنواع الحقيقة إنما كان لبناء الاستعارة عليه.

وهو في اللغة يأتي بمعنى: التمثيل كما في لسان العرب (١)، و في الاصطلاح كما يقول صاحب الإيضاح: الدلالة على مشاركة أمر لأمر آخر في معنى (٢).

والأمر الأول هو المشبه، والثاني المشبه به، والمعنى هو وجه الشبه.

أقسام التشبيه:

أقسام التشبيه كثيرة منها: ما هو باعتبار طرفيه، وما هو باعتبار وجهه، وما هو باعتبار الأداة، وماهو باعتبار الغرض منه، وليس هذا مجال تتبع تلك الأقسام، فهي مبسوطة في كتب البلاغة.(٣)

قيمة التشبيه البلاغية :

قال الخطيب:"إنّه مما اتفق العقلاء على شرف قدره وفخامة أمره في البلاغة،وأن تعقيب المعاني به لا سيما قسم التمثيل منه،يضاعف قواها في تحريك النفوس إلى المقصود بها مدحاً كانت أم ذمّاً أو افتخاراً أو غير ذلك" (٤)

---

(١) لسان العرب : مادة(ش. ب.هـ) ١٣/٥٠٣

(٢) الإيضاح:١٦/٤.

(٣) السابق

(٤) الإيضاح :١٩/٤

وكأنه أفاد من قول عبد القاهر:"واعلم أنه مما اتفق عليه العقلاء أن التمثيل إذا جاء أعقاب المعاني، أو برزت هي باختصار في معرضه،ونُقلت عن صورها الأصلية إلى صورته، كساها أُبهّة، وكسبها منقبة، ورفع من أقدارها،فإذا كان مدحاً ، كان أبهى وأفخم، وأنبل في النفوس وأعظم"[1]

وقد أشار كثير من العلماء إلى القيمة البلاغية للتشبيه، كالمبرد، وأبي هلال العسكري وغيرهما ،وخير من تحدث عن ذلك الخطيب القزويني .

أغراض التشبيه:

الغرض من التشبيه غالبا يعود إلى المشبه وهو إما من أجل:

١-بيان إمكان المشبه في كل أمر غريب.

٢-بيان حاله.

٣-بيان مقدار المشبه في القوة والضعف والزيادة والنقص.

٤- تقرير المشبه في نفس السامع.

وهذه الأغراض الأربعة تقتضي أن يكون الوجه في المشبه به أتم وهو به أشهر.

وقد يكون الغرض من التشبيه تزيين المشبه، أو تقبيحه، أو استطرافه.[2]

التشبيه البليغ:

لقي هذا النوع من التشبيه عناية كبيرة من البلاغيين، ولكنهم اختلفوا في تحديده فقيل:

---

(١) أسرار البلاغة:١١٥

(٢) يُنظر: الإيضاح:١١٨/٤.

البليغ من التشبيه ما حذِف منه وجه الشبه وأداة التشبيه[1].

وذكر كثير من البلاغيين أنّه:"أعلى مراتب التشبيه في قوة المبالغة" [2]، نحو:زيد أسد وهذا هو المشهور عند كثير من البلاغيين.

على أن في الإيضاح :"البليغ من التشبيه ما كان من النوع البعيد لغرابته ،لأن الشيء إذا نِيل بعد الطلب له والاشتياق إليه كان نيله أحلى وموقعه من النفس ألطف وبالمسرة أولى" [3]

وعلى الرغم من صحة ما ذهب إليه صاحب الإيضاح وهو أن :بلاغة التشبيه تتجلى في التشبيهات الغريبة البعيدة دون غيرها لأنّ الأمر فيها يحتاج إلى إعمال ذهن، ومعاودة فكر مرة بعد مرة حتى تصل النفس بعد التمعن إلى الأنس بالحصول على مطلبها بعد الاشتياق إليه إلا أن الأمر في نظري لا يتنافى مع كون التشبيه البليغ: هو ما اقتصر على ركني التشبيه الرئيسين _ المشبه والمشبه به_ على أن يكون التشبيه محققا لمعنى البعد والغرابة.

تشبيه التمثيل:

ذكر الشيخ عبد القاهر الجرجاني في (أسرار البلاغة) أنّ : أرقى أنواع التشبيه ما سماه تشبيه التمثيل ولعله أوّل من أشار إليه.[4]

وهو عند الخطيب وجه مُركبٌ سواء كان حسيّا أو عقليّا[5] أما عبد القاهر فلم يدخل الوجه الحسيّ في تشبيه التمثيل.

لقد جاء التشبيه في هذه السورة وسيلة إثبات وبرهان ذلك؛ لأنّ ما يميز هذه السورة عن غيرها من سور القرآن الكريم هو مخاطبتها لفئة المنافقين على وجه الخصوص ،أو وصف

(١) جواهر الكنز:٦٠.

(٢) التلخيص:٢٨٩-٢٩٠.

(٣) الإيضاح:١١٨/٤.

(٤) يُنظر:أسرار البلاغة:١١٥

(٥) يُنظر: الإيضاح:١١٨/٤

حالهم، أو بيان مواقفهم في كثير من الآيات، مما جعل نوعية الخطاب فيها أحيانا تعتمد على نوع من أنواع البيان، ومنها التشبيه ،لتبيين الحقائق المحسوسة والمعقولة، فكان.

صور من التشبيه في السورة:

١-قال تعالى ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾﴾

قال البيضاوي في وجوب التأويل فيما ظاهره تشبيه المحسوس بالمعقول:"السقاية والعمارة مصدرا سقى وعمر، فلا يشبهان بالجثث،بل لا بد من إضمارٍ تقديره :أجعلتم أهل سقاية الحاج كمن آمن، أو أجعلتم سقاية الحاج كإيمان من آمن،و يؤيد الأول قراءة من قرأ(سُقاة الحاج وعمارة المسجد)، والمعنى إنكار أن يشبه المشركون وأعمالهم المحبطة، بالمؤمنين وأعمالهم المثبتة ،فكيف يساوون الذين هداهم الله ووفقهم للحق والصواب" [١]

وقال الشهاب مؤيدا البيضاوي في تأويله:

"وتشبيه المعنى بالجثث لا يحسن هنا فلذا احتيج إلى تقدير في الأوّل أو في الثاني، وقوله: ويؤيد الأوّل قراءة من قرأ(سُقاة) (بضم السين جمع سَاقٍ وعَمَرة)(بفتحتين) جمع عامر فإن فيها تشبيه ذات بذاتكما في الوجه الأوّل ،ويؤيده أيضا ضمير يستوون إذ على غيره يحتاج إلى تقدير لا يستوون في أعمالهم ،فيرجع إلى نفي المساواة بين الأعمال نفسها وقوله:(والمعنى إنكار أن يشبه المشركون، وأعمالهم المحبطة الخ) أشار:إلى وجهي التقدير بالجمع بينهما وأن كلاً منهما مستلزم للآخر، فلذا لم يعطف بأو" [٢]

وعلى هذا الرأي يكون المشبه بتقدير مضمر في الأول أي:(أهل سقاية الحاج وأهل عمارة المسجد)فيخرج من تشبيه المعاني بالجثث، إذ إن التشبيه هنا بين أهل سقاية الحاج

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ١/٣٩٩

(٢) عناية القاضي وكفاية الراضي ٤/٥٤١_٥٤٢.

وعمارة المسجد، وبين من آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فيكون من قبيل تشبيه ذات بذات وما يؤيد هذا القول على رأي البيضاوي: جمعهما في ضمير واحد(يستوون) مما يدل على أن المشبه، والمشبه به من جنس واحد.

إن جعل المشبه بتقدير مضمر واحد(أهل) أيسر بكثير من جعل الآية تكتظ بالمضمرات.

فأدوات الصورة يمكن إدراكها بالحواس إذ هي تشبيه جثة بجثة -على الأرجح- كما أن وجه الشبه لم يذكر، وإن كان يمكن أنْ تلمّس من خلال الصورة، كما أن أداة التشبيه ملفوظة لا مضمرة.

وفي قوله تعالى:

٢- ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾

قال الزمخشري في قوله تعالى:(إنما المشركون نجس):" جعلوا كأنهم النجاسة بعينها مبالغة في وصفهم بها" (١)

وأضاف البيضاوي:"لخبث باطنهم أو لأنه يجب أن يجتنب عنهم كما يجتنب عن الأنجاس، أو لأنهم لا يتطهرون ولا يتجنبون عن النجاسات، فهم ملابسون لها غالبا"(٢) فالتركيب" من قبيل زيد أسد ،من باب التشبيه البليغ ،كأنه قيل إنهم بمنزلة الشيء النجس العين في وجوب الاجتناب عنهم" (٣)

ولعل الغرض من هذا التشبيه:التنفير من المشركين، وتقبيح حالهم، والتحذير من

(١) الكشاف:٣/٣٠.

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:١٣٩/٣

(٣) حاشية محي الدين شيخ زاده: ٤٤٨/٣.

دخولهم المسجد الحرام،وكونه من التشبيه البليغ جرياً على عادة البلاغيين في مثله، وهو ما حُذف منه الأداة والوجه،وإلا فكل تشبيهات القرآن الكريم بليغة.

وفي قوله تعالى:

٣- ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

قال البيضاوي في قوله تعالى:(يضاهئون قول الذين كفروا) أي:"يضاهي قولهم قول الذين كفروا ،فحذف المضاف ،وأقيم المضاف إليه مقامه (مِن قَبْلُ) أي: من قبلهم والمراد: قدماؤهم على معنى: أن الكفر قديم فيهم، أو المشركون الذين قالوا الملائكة بنات الله، أو اليهود على أن الضمير للنصارى، والمضاهاة المشابهة"(١)

قال أحد شراحه:"(قوله أي :من قبلهم والمراد قدماؤهم)، فالمشبه والمشبه به واحد بالذات مختلف بالاعتبار ،وفيه نوع ضعف"(٢)

فصّل أبو السعود القول في ذلك بقوله:"(يضاهئون)أي في الكفر والشناعة

(قول الذين كفروا) أي: يشابه قولُهم على حذف المضاف، وإقامة المضافِ إليه مُقامَه (مِن قَبْلُ) أي :من قبلهم، وهم المشركون الذين يقولون الملائكةُ بناتُ الله أو اللاتُ والعزّى بناتُ الله)،لا قدماؤهم كما قيل إذ لا تعددَ في القول حتى يتأتّى التشبيهُ وجعلُه بين قولي الفريقين مع اتحاد المقولِ ليس فيه مزيدُ مزيةٍ وقيل الضميرُ للنصارى أي يضاهي قولُهم:المسيحُ ابنُ الله قولَ اليهودِ عزيرٌ ... لأنهم أقدمُ منهم وهو أيضاً كما ترى فإنه يستدعي اختصاصَ

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤٠٢/١

(٢) حاشية القونوي:٢٠٦/٩

الردّوالإبطالَ بقوله تعالى: (ذلك قولهم بأفواههم) بقول النصارى: (قاتلهمٱلله ُ) "[1]

وفي قوله تعالى:

٤- ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾

قال البيضاوي في معنى قوله تعالى:(هو أذن)أي:"يسمع كل ما يقال له ،ويصدقه سمي بالجارحة للمبالغة كأنه من فرط استماعه صار جملته آلة السماع كما سمي الجاسوس عينا لذلك" [2]

قال أحد شراح البيضاوي:."قوله (يسمع كل ما يقال ويصدقه) يعني أن الأذن في الأصل اسم لآلة السماع وأطلق على من يصدق كل ما يسمع ويقبل قول كل أحد على طريق التشبيه البليغ من حيث إنه لفرط سماعه وقبول جميع ما يسمعه صار بجملته كأنه آلة السماع" [3]

---

(١) إرشاد العقل السليم:٥٩/٣ ومابعدها

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤١٠/١

(٣) حاشية محي الدين شيخ زاده:٤٨٠/٣.

وفي قوله تعالى

٥-﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾﴾

في هذه الآية ثلاث صور للتشبيه:

الصورة الأولى

جاء التشبيه الأول في قوله تعالى:(كالذين من قبلكم) أي :"أنتم مثل الذين، أو فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم،(كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالاً وأولاداً) ،بيان لتشبيههم بهم وتمثيل حالهم بحالهم"[(١)]"فقوله:(فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم) من باب التشبيه البليغ كما في زيد أسد"[(٢)]

الصورة الثانية

جاءت في قوله تعالى:(فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم)

قال البيضاوي:"ذمّ الأوّلين باستمتاعهم بحظوظهم المخدجة من الشهوات الفانية والتهائهم بها عن النظر في العاقبة،والسعي في تحصيل اللذائذ الحقيقية تمهيداً لذم المخاطبين بمشابهتهم واقتفاء أثرهم"[(٣)]

قال أحد شراحه:"قوله:(ذم الأولين باستمتاعهم):هذا جواب سؤال عما يرد ههنا بأن

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٤١٢/١

(٢) حاشية القونوي: ٢٧٦/٩

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٤١١/١

يُقال:قوله عزّ وجلّ -كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم مغنٍ عن قوله:"فاستمتعوا بخلاقهم"فأي فائدة في قوله:(فاستمتعوا بخلاقهم)مع وجود المغني عنه، وتقدير الجواب:إن الفائدة فيه ذم الأولين بالاستمتاع بما أتوا من حظوظ الدنيا،وتوطئة لذم المخاطبين بمشابهتهم لهم ، وإتباعهم طريقتهم، ويمكن أن يقال:إن التمثيل الثاني كالفرع على الأول بشهادة الفاءين للإيذان بأن حب الدنيا رأس كل خطيئة"[(١)]

وقال شارح آخر:"فيه إشعار من أن قوله تعالى:(كانوا أشد)؛لأنّه تمهيد لبيان وجه الشبه وأن وجه الشبه على الأوّل الاستماع بالخلاق وقد أشير إليه في الكشاف أيضا فمراد المصنف هناك حيث قال: بيان لتشبيههم بهم الخ ما أشار إليه هنا ثم في كلامه إشارة إلى أن أصل الكلام في التشبيه أن يقال: فاستمتعتم بخلاقكم، كما استمتع الذين من قبلكم مثل قوله :(فخضتم كالذين خاضوا) وأما قوله:(فاستمتعوا بخلاقهم) فلا دخل له في التشبيه لكن ذكر لذمّ الأوّلين بما ذكره المصنف من القبائح أولا للتمهيد للتمثيل؛لإظهار قبح الاستمتاع باللذات الفانية، و إلقاء الرعب في قلوب السامعين بإيراد الكلام إجمالا، وتفصيلا كما فهم من الكشاف"[(٢)]

الصورة الثالثة:

قال البيضاوي في قوله تعالى:(وخضتم كالذي خاضوا):"أي: دخلتم في الباطل (كالذي خاضوا) كالذين خاضوا، أو كالفوج الذي خاضوا، أو كالخوض الذي خاضوه"[(٣)]

قال ابن التمجيد:"أشار إلى أن الخوض أكثر استعماله في التوغل في الباطل؛ إذ أصله

(١) حاشية ابن التمجيد:٩/٢٧٧-٢٧٨

(٢) حاشية القونوي:٩/٢٧٨

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:١/٤١١

الشروع في دخول الماء،ي ُستعار لمباشرة الأمور، والجامع المزاولة في العمل، والشروع فيه"[1]

من خلال ما تقدم يتبين لنا :أن استخدام التشبيه في سورة التوبة جاء كالدليل على إثبات الحقائق، و أداة لإيضاح المعنى المقصودسواء كان تنفيراً كما في قوله تعالى:(إنما المشركون نجس)،وقوله تعالى:(يضاهئون قول الذين كفروا)،أو تحسيناً لصورة المشبه كقوله تعالى:(قل هو أذن خير).

كما أن تشبيهات السورة على الرغم من قلّتها قياساً بباقي سور القرآن الكريم أخذت الطابع العام الذي سارت عليه تشبيهات القرآن الكريم من القدرة على تصوير المشاعر المختلفة،لاسيما عند الحديث عن المنافقين والكفار، للتشهير بصفاتهم السيئة، والاحتراز من الوقوع في شنائعهم.

(١) حاشية ابن التمجيد:٢٧٨/٩

الفصل الثاني: التصوير بالمجاز

١- المجاز العقلي

٢- المجاز المرسل

٣- الاستعارة

١- المجاز العقلي

توطئة:

يرى البلاغيون أن المجاز أبلغ من الحقيقة_ وإن كانت هي الأصل_؛لأنّ المجاز يؤدي ما لا تؤديه الحقيقة.

قال الخطيب:

"أطبق[١] البلغاء على أن المجاز والكناية أبلغ من الحقيقة و التصريح،لأن الانتقال فيهما من الملزوم إلى اللازم ،فهو كدعوى الشيء ببينة وان الاستعارة أبلغ من التشبيه لأنها نوع من المجاز"[٢]

و وجه أبلغية المجاز على الحقيقة:أن وجود الملزوم يقتضي وجود اللازم؛ لامتناع انفكاك الملزوم عن اللازم وهذا ظاهر لا إشكال فيه،وإنما الإشكال في بيان اللزوم في سائر أنواع المجاز كما أجمع أهل البلاغة على أن الاستعارة التحقيقية، والتمثيلية، أبلغ من التشبيه؛ لأنها نوع من المجاز ،وهو أبلغ من الحقيقة.[٣]

وليس السبب في كون المجاز والاستعارة والكناية أبلغ أن واحداً من هذه الأمور يفيد زيادة في نفس المعنى لا يفيدها خلافه،بل لأنه يفيد تأكيداً لإثبات المعنى،لا يفيد خلافه فليست مزية قول:يتُ أسداً على قول:رأيت رجلاً هو والأسد سواء في الشجاعة أن الأوّل أفاد زيادة في مساواته للأسد في الشجاعة لم يفدها الثاني،بل الفضيلة هيأن الأوّل أفادتأكيداً لإثبات تلك المساواة له لم يفدها الثاني،وليست

---

(١) وردت في الإيضاح:(أطلق)،ُنظر: الإيضاح:١٧٥/٥/٢، شرح وتعليق:د:محمد خفاجي.

(٢) التلخيص:٣٤٦

(٣) ُنظر:لمطول:٤١٤-٤١٥

فضيلة قول: كثير الرماد على قول: كثير القرى أن: الأوّل أفاد زيادة القرى لم يفدها الثاني بل هي أن الأوّل أفاد تأكيداً ؛ لإثبات كثرة القرى له لم يفده الثاني .[1]

والحقيقة " أن الاستعارة أصلها التشبيه، والأصل في وجه الشبه أن يكون في المشبه به أتم منه في المشبه، وأظهر فقول: رأيت أسداً يفيد للمرء شجاعة أتم مما يفيدها قول: رأيت رجلاً كالأسد لأن الأوّل يفيد له شجاعة الأسد ،والثاني يفيد زيادة في نفس المعنى لا يفيده خلافه"[2]

تعريف المجاز العقلي:

المجاز العقلي عند الخطيب، وشراحه، وكثير من البلاغيين ،يكون في الإسناد سواء كان خبريا، أو إنشائيا وحاصله كما في المطول: إسناد الفعل أو ما في معناه كالمصدر واسم الفاعل والمفعول والصفة المشبهة، واسم التفضيل إلى غير ما هو له عند المتكلم نحو: أنبت الربيع البقل وكقوله: عيشة راضية فيما بُني للفاعل، وأسند للمفعول، إذ العيشة مرضية وسيل مُفعم في عكسه؛ إذ (المفعم) مفعول من أفعمتُ الإناءَ إذا ملأتُه ،وقد أسند إلى الفاعل نحو: أشعر شاعر في المصدر وجدّ جده، ونهاره صائم في الزمان ونهر جارٍ في المكان وبنى الأمير المدينة.[3]

وقد درسه الخطيب في علم المعاني بحجة أنه تجوّز في الإسناد، وليس في الكلمة[4] ،أما السكاكي فقد درسه في علم البيان فهو تجوّز فيه أن يحُمل على الاستعارة المكنية.[5]

(١) أسرار البلاغة: ٣٣
(٢) يُنظر: المطول: ٤١٤-٤١٥
(٣) يُنظر: السابق: ٤١٦
(٤) يُنظر: التلخيص: ٤٠
(٥) يُنظر: مفتاح العلوم: ٤٨٧

والمعتبر عند صاحب الكشاف كما ذكر السيد الشريف:"بتلّس ما أسند إليه الفعل بفاعله الحقيقي لأن حال المجاز العقلي أن يُسند الفعل إلى شيء ،وليس لتلبس بالذي هو في الحقيقة له. [1]

وأضاف السعد قائلا:"اعلم أن هذا المجاز قد يدل عليه صريحا كما مر،وقد يكون الكلام مستلزما كما في أن يجُعل الفاعل المجازي تمييزاً كقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ٣٤﴾ [2]؛ لأن التمييز في الأصل فاعل فتدبر فإنه بحث نفيس"[3]

صور من المجاز العقلي في السورة:

قال تعالى:

١- ﴿قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ١٤﴾

وعد الله في قوله تعالى: (يعذبهم الله بأيديكم) المؤمنين إن قاتلوا المشركين، بالنصر عليهم والتمكن من قتلهم، وإذلالهم.[4] وفي تمكن المسلمين من قتلهم، إشارة إلى أن الإسناد هنا من باب المجاز العقلي؛ إذ الإسناد إلى الكاسب حقيقي وإلى الخالق في تحقق الكسب مجازي كإسناد الصلاة، والصوم، والضرب، والقتل فإن إسنادها إلى العبد حقيقة لكونه كاسباً لها و إليه تعالى مجاز. [5]

---

(١) حاشية سيد شريف:٥٣

(٢) الفرقان(٣٤)

(٣) المطول :٤٠٥

(٤) يُنظر:أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٣٩٨/١

(٥) يُنظر:حاشية القونوي:١٧٤/٩

وقيل: إسناد التعذيب إلى الله، وجعل أيدي المسلمين آلة له تشريفاً للمسلمين.[1]

وفي ذلك ما يوحي بأنّ المجاز في الآية، مجاز مرسل علاقته آلية، والراجح في نظري أنه مجاز عقلي، باعتبار السبب.

وفي قوله تعالى:

٢- ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾﴾

معنى (نعيم مقيم). أي: " دائم"[2]، فالمقيم مستعار للدائم، و قيل: فيه نظر[3] لأنّه قد يكون مجازاً عقلياً، والراجح والله أعلم أنه إسناد عقلي، وشبيه به ما جاء في قوله تعالى:

٣- ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ هِيَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾

المقيم في قوله تعالى: (عذاب مقيم) مجاز في عدم الانقطاع؛ لأنّ الإقامة من صفات العقلاء.[4]

وقد صرح الألوسي أنه يمكن أن يحمل على أنه مجاز عقلي بقوله: " وصف العذاب بها قياسا على قوله تعالى: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾﴾[5] فالمجاز حينئذ عقلي "[6]

---

(١) يُنظر: تفسير التحرير والتنوير: ١٣٥/١٠

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٣٩٩/١

(٣) يُنظر: حاشية القونوي: ١٨٣/٩

(٤) يُنظر: السابق: ٢٧٦/٩

(٥) القارعة (٧)

(٦) روح المعاني: ١٢٣/٩/٥

وفي قوله تعالى:

٤-﴿إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ ﴿٤٠﴾﴾

جاءإسناد الإِ خراج إلى الكفرة في قوله تعالى:(إذا أخرجه الذين كفروا)؛لأنّ همهم بإخراج الرسول–صلى الله عليه وسلم-، أو قتله تسبب الإذن له بالخروج.(١)؛لأنهم ما أخرجوه حقيقة، لكن همهم با خراجه،أو قتله كان سبباً لخوجه اختياراً بإذن من الله تعالى (٢)،فهم تسببوا فيه بأن دبّروا لخروجه أكثر مون ّ ة (٣)، فيكونالإسناد مجازاً عقلياً باعتبار السبب. (٤)

وفي قوله تعالى:

٥-﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾﴾

إسناد الفتنة إلى النبي _عليه الصلاة و السلام _في قوله تعالى:(لا تفتني)"مجاز عقلي من قبيل الإسناد إلى السبب أي: لاتكن سبباً لوقوعي في الفتنة أي: العصيان بأن لا تأذن لي"(٥)

لي"(٥)

وفي قوله تعالى:

٦-﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾

---

(١) يُنظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤٠٥/١

(٢) يُنظر:حاشية ابن التمجيد:٢٢٨/٩

(٣) يُنظر: تفسير التحرير والتنوير:٢٠١/١٠

(٤) يُنظر:حاشية القونوي:٢٢٨/٩

(٥) حاشية القونوي:٢٤٦/٩

جاء الإسناد في قوله تعالى:(ومساكن طيبة)من باب المجاز العقلي[1]، فطيبة في الآية أي: تستطيبها النفس،أو يطيب فيها العيش.[2]

وفي قوله تعالى:

٧-﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ٩٢﴾

جاء التعبير في قوله تعالى(وَأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ) وهو أبلغ من التعبير بـ(يفيض دمعها)؛لأنه يدل على أن العين صارت دمعاً فياضاً ،[3]فكأن العين من فرط البكاء تحولتدمعاً سيالاً مبالغة، فجعل إسناد الأعين مجازاً عقلياً ، وإن كان الكلام عند البعض يحتمل أن يكونمجازاً للامتلاء بعلاقة السببيةإلا أنّ اختيار كونهمجازاً عقلياً أبلغ.[4]

وفي قوله تعالى:

٨-﴿ وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرۡبَةٞ لَّهُمۡۚ سَيُدۡخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٩٩ ﴾

معنى قوله تعالى: (قربات)أي: بسبب (قربات)"[5]

لو أريد إعراب الكلام على ظاهره، ولم يقصد المبالغة لكان حقه أنيجُاء بلفظ السبب؛لأنه مراد إذ لو أُريد تقدير المضاف لكان الكلام خاليا من المبالغة ففي الكلام مجاز العقلي.[6]

---

(١) يُنظر:حاشية القونوي:٢٨١/٩

(٢) يُنظر:أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤١٣/١

(٣) يُنظر:السابق:٤١٧/١

(٤) يُنظر:حاشية القونوي:٣١١/٩

(٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤١٨/١

(٦) يُنظر:حاشية القونوي:٣١٩/٩

وفي قوله تعالى:

٩- ﴿وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَـٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾

قال البيضاوي:أي:"ولا يطؤون (مَوْطِئًا) مكاناً (يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ) يغضبهم وطؤه"[١]

شرح القونوي ذلك بقوله:"(قوله يغضبهم وطؤه)فيكون الإسنادُ إلى المكان مجازاً عقلياً "[٢]"ويجوز أن يكون الوطء هنا مستعاراً لإذلال العدو وغلبته وإبادته"[٣]

وفي قوله تعالى:

١٠- ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـٰذِهِۦٓ إِيمَـٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾

إسناد الزيادة للسورة في قوله تعالى:(زادته)"مجاز عقلي تنبيهاً على كمالها في السببية[٤]

نلحظ من كل ما سبق: أن المجاز العقلي في سورة التوبة يثير الإحساس، فدلالته تكشف عن حقيقة مراده، فليس من بين مفرداته ما يدل على مجازية الاستعمال، وإنما نستشعر ذلك بالعقل عن طريق الإسناد في الجملة؛ فهو مستنبط من هيئة الجملة العامة، ومستخرج من تركيب الكلام،دون النظر في لفظ أو صيغة معينة.

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤٢٥/١

(٢) حاشية القونوي:٣٦٤/٩

(٣) تفسير التحرير والتنوير:٥٦/١١

(٤) حاشية القونوي:٣٧٣/٩ بتصرف

٢-المجاز المرسل

المجاز المرسل هو:نوع من المجاز اللغوي وهو ما كانت العلاقة فيه غير المشابهة ،وهذا هو الفرق بينه بين الاستعارة، و كلاهما يعتمد على علاقة، وعلى قرينة مانعة.

وسمُي مرسلا؛ لعدم اعتماده على علاقة واحدة ،بل أرسلت فيه العلاقة ،لتشمل عدة علاقات،ترتقي عند بعضهم إلى خمسٍ وعشرين علاقة وأكثر،ولكن الخطيب و شراحه أوردوا منها تسعاً وهي المشهورة عدا علاقة الإطلاق والتقييد(١)

أشهر علاقات المجاز المرسل:

من أشهر علاقات المجاز المرسل:السببية، و المسببية، والجزئية، والكلية، واعتبار ما كان واعتبار ما يكون ،والحالية، والمحلية، والآلية، والمجاورة عند بعضهم، وبعض الشراح لم يذكروا الآلية والمجاورة(٢)

صور من المجاز المرسل في السورة :

١ -قال تعالى:﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾

قيل:إن قوله (أباؤكم) في الآية الكريمة،"شاملة للأجداد،و لو كان مجازا و (أبناؤكم) أيضا عامة للأبناء، ولأبناء الأبناء، والمعنى: إن كان أصولكم، وفروعكم، فالتناول بعموم المجاز"(٣)

ولعل مراد الشارح بعلاقته، أنها ذكر الجزء، وإرادة الكل كما أُطلق القيام على الصلاة في

---

(١) يُنظر:المطول:٣٥٥

(٢) يُنظر:الإيضاح:٢٥/٥ ومابعدها

(٣) حاشية القونوي:١٨٦/٩

نحو قوله تعالى﴿ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾[1]، حيث أن القيام جزء من الصلاة، وليس كل الصلاة فعبر بالجزء عن الكل، بعلاقة(الجزئية).

وفي قوله تعالى:

٢-﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾

المقصود بقوله تعالى:(ثم أنزل الله سكينته) ،أي:"رحمته التي سكنوا بها وأمنوا"(٢) فأطلق السكينة على الأمن مجازاً ؛ لكونها سببا للسكون.(٣)

أراد أنها من قبيل المجاز المرسل، والعلاقة السببية؛لكون السكينة سبباً للأمن، والظاهر جواز الحمل على الحقيقة والله أعلم .

و مثله ما جاء في قوله تعالى:

٣-﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾

فالسكينة في قوله تعالى:(فأنزل الله سكينته) _وقد تقدم ذكره _أي:"أمنته التي تسكن عندها القلوب" (٤) ويجوز أن نقول فيها ماورد عن القونوي في الآية السادسة والعشر ين ،وهو كونها: من قبيل المجاز المرسل، كما يجوز حملها على الحقيقة أيضا.

كذلك في قوله تعالى:(وجعل كلمة الذين كفروا السفلى) مجاز مرسل فكلمة الله تعني:

---

(١) المزمل(٢)

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤٠١/١

(٣) ينظر:حاشية القونوي:١٩٢/٩

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤٠٥/١

التوحيد،أو دعوة الإِ سلام،(١) فالكلمة مجاز عن مدلولها ،وهو الاعتقاد الباطل.(٢)

وكذلك القول في قوله تعالى:(وكلمة الله هي العليا)"قولهيعني التوحيد أو دعوة الإِ سلام الكلام فيه مثل الكلام في الشرك"(٣)

وهو من ذكر الجزء وإرادة الكل، فالكلمة بمعنى الكلامو كلمة (لا إله إلا الله) كلام وليست كلمة.

وفي قوله تعالى:

٤ -﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٢٩ ﴾

قال البيضاوي في قوله تعالى:(عن يد) " أي: عن يد مؤاتية بمعنى منقادين، أو عن يدهم بمعنى مسلمين بأيديهم غير عابثين بأيدي غيرهم، ولذلك منع التوكل فيه، و عن غنى، ولذلك قيل: لا تؤخذ من الفقير، أو عن يد قاهرة عليهم بمعنى عاجزين أذلاء"(٤)

قال أحد شراحه: "(قوله أو عن غنى)"فإن اليد قد تستعمل في الغنى تجوزاً يقال للغني هو صاحب يد"(٥)لوصول يده إلى ما يشاء من المال والمنال"(٦)

وقال شارح آخر (وقوله عن يد) "المراد به يد المعطي، لكن المراد المعنى المجازي والعلاقة أن اليد لظهور أكثر الأعمال فيها، وإيتاء القدرة، و معظمهما كانت ظاهرة فيها تكون مجازاً(٧) في

---

(١)يُ نظر:أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤٠٥/١

(٢)يُ نظر:حاشية القونوي:٢٣١/٩

(٣) السابق:٢٣١/٩

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤٠١/١-٤٠٢

(٥) علاقة السببية

(٦) حاشية ابن التمجيد:٢٠٠/٩

(٧) أي :مجاز مرسل.

القدرة، والغنى من أفراد القدرة أو سبب لها"(١)

وفي قوله تعالى:

٥- ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ٣٠ ﴾

قال البيضاوي في قوله تعالى:(وقالت اليهود عزير ابن الله)" إنما قاله بعض من متقدميهم أو ممن كانوا بالمدينة"(٢)"فنسبته إلى الجميع من قبيل:قَالَ بنو فلان والقاتل واحد منهم، لكن الظاهر أنه رضي به الباقون"(٣)

وعلى هذا يكون الكلام مجازاً مرسلاً علاقته الكلية،لأنّه أطلق الكل وأراد الجزء.

في قوله تعالى:

٦-﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٣٤ ﴾

قال البيضاوي في قوله تعالى:(ليأكلون أموال الناس)أي " يأخذونها بالرشا في الأحكام سمّي أخذالمال أكلاً ؛لأنّه الغرض الأعظم منه"(٤)

قال أحد شراحه سمّي:أخذ المال أكلاً ؛ لأنه الغرض الأعظم منه، إذ غالب حاجة

---

(١) حاشية القونوي:٩/٢٠٠

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤٠٢/١

(٣) حاشية القونوي:٩/٢٠٣

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٩/٤٠٣

الإنسان إليه لتحصيل المطاعم الشهية، وهذه العلة مشعرة بالعلاقة، وهي السببية لأن الغرض هو الباعث على الفعل، فذكر السبب الغائي، وأريد المسبب"(١)

وفي قوله تعالى:

٧- ﴿ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾

قوله تعالى:(فهم في ريبهم يترددون)،أي:"يتحيرون"(٢) و" التردد وهو الذهاب والمجيء مجاز هنا عن التحير بعلاقة السببية؛ إذ ديدن المتحيرين التردُّ "(٣) وقيل هو:" من قبيل إسناد فعل البعض إلى الكل"(٤)

وفي قوله تعالى:

٨- ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَـٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ﴿٧٤﴾ ﴾

ر ُ" وي أنه –صلى الله عليه وسلم –أقام في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المتخلفين، فقال الجلاس بن سويد:لئن كان ما يقول محمد لإخواننا حقاً ، لنحن شر من الحمير فبلغ ذلك رسول الله _صلى الله عليه وسلم _فاستحضره ،فحلف بالله ما قاله ،فنزلت فتاب الجلاس ،وحسنت توبته"(٥)

ف"إن إسناد الحلف في الآية إلى الجمع مع أن صدوره من الجلاس وحده لكونهم راضين به

---

(١) حاشية القونوي:٢١٢/٩

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤٠٧/١

(٣) حاشية القونوي:٢٤٠/٩

(٤) السابق بصفحته.

(٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤١٣/١

وإسناد ما صدر عن البعض إلى الكل شائع ذائع"(١)

فالكلام من باب إطلاق الكل، وإرادة الجزء،فيكون المجاز مرسلا، بعلاقة الكلية.

وفي قوله تعالى:

٩-﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُواْ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾

المقصود بلفظة سورة أي:"من القرآن،و يجوز أن يراد بها بعضها"(٢)،فيكون"مجازاً بطريق ذكر الكل وإرادة الجزء"(٣)

مما سبق يتبين لنا: أن أنواع المجاز المرسل التي وردت في سورة التوبة لم تتجاوز في الغالب الأعم ثلاثة أنواع وهي:السببية، والكلية، والجزئية.

وكلها أدت المعني المقصود بإيجاز شديد ،كذلك تجلّت فيها المهارة في تخير العلاقة بين المعني الأصلي، والمعني المجازي ، حيث جاءالمجاز مصوراً للمعنى المقصود خير تصوير ،كما في إسناد الشيء إلي سببه، أو الجزء إلى كله، أو الكل إلى جزئه.

وإذا دققنا النظر فيما تقدم من آيات المجاز المرسل في هذه السورة المباركة رأينا أن أغلب ضروب المجاز المرسل فيها لا تخلو من مبالغة بديعة جعلتالمجاز رائعاً خلاباً ،فإطلاق الكل علي الجزء وإطلاق الجزء وإرادة الكل كما ورد في هذا المبحث أفادت المبالغة، والإيجاز معا.

(١) حاشية القونوي:٢٨٥/٩

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤١٥/١

(٣) حاشية القونوي:٣٠٤/٩

٣-الاستعارة:

هي القسم الرئيس من المجاز اللغوي الذي ينقسم إلى: مرسل، واستعارة ، وقد سبق الكلام عن المجاز المرسل ،أما الاستعارة فهي :"استعمال اللفظ في غير ما وضع له"(١)

أقسام الاستعارة:

الاستعارة إما أن تكون في اللفظ المفرد، أو المركب، والمفرد –وهو الكثير– ينقسم إلى:

١-تصريحية:

هي ما صرح فيها بلفظ المشبه به دون المشبه وهي إما أصلية إن كان المشبه به اسم َ جنس أو مصدر كأسد ،وقتل،وتسمى تبعية إن كانت في فعلٍ أو مشتقٍ أو حرفٍ.

٢-مكنية:

وهي ما حـُذف فيها المشبه به مع بقاء شيء من لوازمه مسنداً إلى المشبه،وقرينتها دائماً استعارة تخييلية عند الجمهور.

وإما أن تكون في المركب فتُسمى: استعارة تمثيلية، وهي: داخلة في التصريحية؛ لأنَّه صـُرح فيها بلفظ المشبه به. (٢)

وأنواعها من الناحية الصرفية تنقسم إلى: تصريحية، وتبعية، فتكون أصلية إذا كانت كلمة الاستعارة اسماً جامداً ، و تكون تبعية: إذا كانت كلمة الاستعارة:فعلاً أو اسماً مشتقاً ، أو حرفاً .

---

(١) الإشارات والتنبيهات:١٨٢

(٢) يُنظر: الإيضاح:٣٦/٥ ومابعدها

و أنواعها من حيث التلاؤم، أو التناسب بين طرفي المستعار منه، والمستعار له، فثلاثة أنواع هي:

١-مرشحة :وهي ما ذكر معها ملائم المشبه به.

٢-مجردة : وهي ما ذكر معها ملائم المشبه.

٣-مطلقة : وهي ما خلت من ملائمات المشبه به أو المشبه.(١)

وتنقسم الاستعارة باعتبار الطرفين إلى: وفاقية، وعنادية، ومن الأخيرة تتفرع الاستعارة التهكمية، وهي: أحد نوعي الاستعارة العنادية التي لا يتصور فيها اجتماع أمرين متضادين،فهي ما نُزّل فيها التضاد منزلة التناسب؛ لأجل التهكم والاستهزاء. (٢)

أماالاستعارة التخييليةهي في أن يُستعار لفظ دال على حقيقة خيالية تقدر في الوهم، ثم تُردف بذكر المستعار له إيضاحاً لها أو تعريفاً لحالها. (٣)

صور من الاستعارة في السورة :

١-قال تعالى:﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾

قال البيضاوي في معنى: (انسلخ) ،أي:"انقضى، وأصل الانسلاخ: خروج الشيء مما لابسه من سلخ الشاة"(٤)

---

(١) يُنظر:شرح التلخيص للبابرتي:٥٧٣

(٢) يُنظر:السابق:٥٦١

(٣) يُنظر:السابق:٥٨١

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:١/٣٩٥

قال أحد شراحه:" الانسلاخ ،مستعار للانقضاء، وهي استعارة حسنة، وقوله من (سلخ الشاه)،أي :أخرج الشاة عن الإهاب،كأنه انقضى،وأُخرج عن الأشياء الموجودة المحيطة بالأشهر إحاطة الإهاب بالشاة، لكن الأولى أن يقال: من سلخ الجلد،فالأنسب كون هذا مستعاراً من السلخ أي :النزع، لا بمعنى الإخراج." [١]

وهذا ما ذهب إليه الشهاب أيضا بقوله:" إطلاق الانسلاخ على الأشهر استعارة"[٢]

وتبعه في ذلك الشوكاني، وكذلك الأ لوسي بقوله:" والانسلاخ فيما نحن فيه استعارة حسنة" [٣]كما سار على نهجهم ابن عاشور بقوله:" وهو في الأصل استعارة من سلْخ جلد الحيوان" [٤]

و في قوله تعالى:

٢-﴿ اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَن سَبِيلِهِ ۚ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ ﴾

قال البيضاوي:"قوله (اشتروا بأيات الله) معناها"استبدلوا بالقرآن(ثمناً قليلاً) أي بعرضاً يسيراً وهو إتباع الأهواء والشهوات" [٥]

وقال ابن عاشور:"والتعبير عن العوض المشترى باسم ثمن الذي شأنه أن يكون مبذولاً لا مقتنى جارٍ على طريق الاستعارة؛ تشبيهاً لمنافع أهوائهم بالثمن المبذول فحصُل من فعل (اشتروا) ومن لفظ (ثمناً) استعارتان باعتبارين"[٦]

---

(١) حاشية القونوي:١٥٤/٩

(٢) عناية القاضي وكفاية الراضي:٥٢٢/٤

(٣) روح المعاني: ٢٤٤/٩-٢٤٥.

(٤) تفسير التحريرو التنوير:١١٤/١٠.

(٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٣٩٦/١

(٦) تفسير التحرير والتنوير:١٢٥/١٠

ومعنى قوله تعالى:(فصدوا عن سبيله) أي: عن دينه الموصل إليه، أو سبيل بيته بحصر الحجاج والعمّار"(١)فهو على الأوّل مجاز، وعلى الثاني حقيقة.

قال أحد شراحه:" (قوله أو سبيل بيته بحصر الحجاج والعمار)السبيل حينئذ حقيقة وأما في الأول فاستعارة أشار إليه بقوله: (دينه) "(٢)

وفي قوله تعالى:

٣-﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ ﴾

قيل عن النكث:" أصله نقض الخيط بعد إبرامه، ثم استعمل في كل نقض، ومنه نقض الأيمان والعهود على طريق الاستعارة"(٣)فعبّر عن نقض العهد، بنكث الأيمان؛ تشنيعاً للنكث لأنّ العهد كان يقارنه اليمين على الوفاء؛ولذلك سمّي العهد حلفا"(٤)

وفي قوله تعالى:(وطعنوا في دينكم) لطعن حقيقته خرق الجسم بشيء محددٍ كالرمح ويُستعمل مجازاً بمعنى الثلب والنسبة إلى النقص، بتشبيه عِرض المرء، الذي كان ملتئما غير منقوص،بالجسد السليم، فإذا أظهرت نقائصه بالثلب والشتم شُبِّه بالجِلد الذي أفسِد التحامُه".(٥)

وقد نص القرطبي على كونها استعارة فقال:"هي هنا استعارة"(٦)

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٣٩٦/١

(٢)حاشية القونوي:١٦٧/٩

(٣) فتح القدير:٣٤٠/٢

(٤) المحرر الوجيز: ١٤٣/٨.

(٥) تفسير التحرير والتنوير: ١١٦/١٠.

(٦) الجامع لأحكام القرآن:٧٩/٨

وفي قوله تعالى:

٤ -﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ ﴾

أكل الأموال في الآية على وجهين: إما أن يستعار الأكل للأخذ، وإمّا على أن الأموال يؤكل بها، فهي سبب الأكل.

فعلى الأول:"عبر عن أخذ الأموال بالأكل، وهو قوله:(ليأكلون) والسبب في هذه الاستعارة، أن المقصود الأعظم من جمع الأموال هو الأكل، فسُمّي الشيء باسم ما هو أعظم مقاصده، أو يقال من أكل شيئاً فقد ضمنه إلى نفسه، ومنعه من الوصول إلى غيره، ومن جمع المال فقد ضم تلك الأموال إلى نفسه، ومنعها من الوصول إلى غيره، فلما حصلت المشابهة بين الأكل وبين الأخذ من هذا الوجه، سُمّي الأخذ بالأكل أو يقال:إنّه من أخذ أموال الناس فإذا طولب بردها قال: أكلتها وما بَقِيتْ، فلا أقدر على ردها، فلهذا السبب سُمّي الأخذ بالأكل"[1] باعتبار ما سيكون، أو أن الأكل مسبّب عن الأخذ والأولى هو الحمل على المجاز المرسل.

"وقوله (دينه) أي: سبيل الله مستعار لدينه[2]"وقيل:"سبيل الله طريقهُ، استعير لدينه الموصّل إليه، أي إلى رضاه"[3]

وفي قوله تعالى:(فبشرهم بعذاب أليم) شبه الإنذار بالبشارة على سبيل التهكم، فهي

(١) مفاتيح الغيب:٣٧/١١/٨

(٢) حاشية القونوي:٢١١/٩

(٣) تفسير التحرير والتنوير ١٢٤/١٠.

استعارة تهكمية.[1]

وفي قوله تعالى:

٥- ﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

قال ابن التمجيد:"المضاف إليه محذوف؛لأنّ المذوق ليس نفس الكنز، بل العذاب الذي هو وبال الكنز، ولفظ الذوق، والتبشير بالعذاب تهكّمٌ بهم"[2]

والتقدير: فذوقوا عذاب ما كنتم تكنزون،على سبيل الاستعارة التهكّمية.

وفي قوله تعالى:

٦- ﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾

قال البيضاوي في قوله تعالى:(و لأ وضعوا خلالكم) :"ولأسرعوا ركائبهم بينكم بالنميمة والتضريب، أو الهزيمة،والتخذيل من وضع البعير وضعاً إذا أسرع"[3]

قال ابن التمجيد:"(قوله ولأسرعوا ركائبهم) هو الاغتراء بين القوم، والمراد: الإسراع بالنمائم يعني: أنه من الاستعارة التبعية، شبه سرعة فسادهم لذات البين بالنمائم، بسرعة سير الركائب، ثم استعير لسرعة فسادهم (الإيضاع) الذي هو لازم المشبه به؛تصويراً لسرعة فسادهم، بصورة

(١)يُنظر:تفسير التحرير والتنوير: ١٧٨/١٠

(٢) حاشية ابن التمجيد:٢١٥/٩

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤٠٧/١

المحسوس ،وأصل الاستعارة ولا وضعوا ركائب نمائمهم خلالكم"[١]

قال القونوي:"(قوله:من وضع البعير وضعاً إذا أسرع) شبه أصحاب النميمة بالركائب في انتقالها (من)[٢]موضع إلى موضع على وجه السرعة، وأثبت لها الإيضاع، ففيه استعارة مكنية وتخييلية ،والأوضح أنها استعارة تمثيلية: شبه حالهم، وهي سرعتهم إلى الفساد بالنميمة والهزيمة بسير الإبل مع سرعتها، وعدم تحاشيها عن الضرار، والإضرار، ووجه الشبه الإسراع مطلقاً مع عدم الاحتراز عن ترتب الإفساد، بل مع الإقبال إلى تخريب البلاد والعباد"[٣]

قال العلامة الطيبي في قوله تعالى:(ولأوضعوا):"فيه استعارة تبعية حيث شبه سرعة إفسادهم ذات البين بالنمائم، بسرعة سير الراكب، ثم استعير لها الإيضاع، وهو للإبل والأصل: ولأوضعوا ركائب نمائمهم خلالكم، ثم حذف النمائم، وأقيم المضاف إليه مقامه فقيل: لأوضعوا ركائبهم ثم حذفت الركائب" [٤]

وفي قوله تعالى:

٧-﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾﴾

قال البيضاوي في قوله تعالى:(فخضتم كالذي خاضوا):"أي: دخلتم في الباطل كالذين خاضوا، أو كالفوج الذي خاضوا، أو كالخوض الذي خاضوه"[٥]

---

(١) حاشية ابن التمجيد:٢٤٣/٩

(٢) جاءت في طبعة دار الكتب العلمية(في)

(٣) حاشية القونوي:٢٤٣/٩-٢٤٤

(٤) روح المعاني:٣١٥/٩/٥

(٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤١١/١

قال القونوي:"(قوله:دخلتم في الباطل)،أشار إلى: أن الخوض أكثر استعماله في التوغل في الباطل,إذ أصله الشروع في دخول الماء ويُستعار لمباشرة الأمور والجامع المزاولة في العمل والشروع فيه"[1]

وفي قوله تعالى:

٨-﴿ ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾

قال البيضاوي في معنى قوله تعالى:(سخر الله منهم)،أي:"جازاهم على سخريتهم"[2]

قال أحد شراحه"(قوله جازاهم على سخريتهم) أي:"اختار صيغة الماضي(سخر)؛ لتحقق وقوعه والمراد الاستمرار(المضارع) سواء أريد به الجزاء في الدنيا أوالآخرة" [3]

وقد ذكر بعض البلاغيين أن التعبير بالماضي عن المضارع،وعكسه داخل في الاستعارة كقوله تعالى:﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ ﴿١﴾ ﴾[4]فقوله تعالى:(فلا تستعجلوه)قرينةعلى أنّه استعمل الماضي في(أتى) بدلا من المضارع.

والمعنى:"أنّ الله عامَلَهم معاملةً تُشبه سخرية الساخر، على طريق التمثيل، وذلك في أنْ أمرنبيه بإجراء أحكام المسلمين على ظاهرهم زمناً ، ثم أمره بفضحهم، ويجوز أن يكون إطلاق (سَخر الله منهم)على طريقة المجاز المرسل، أي احتقرهم ولعنهم" [5]

---

(١)حاشية القونوي:٢٧٨/٩

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤١٤/١

(٣) حاشية القونوي:٢٩٣/٩بتصرف.

(٤) النحل(١)

(٥) تفسير التحرير والتنوير: ٢١٤/١٠.

وفي قوله تعالى:

٩- ﴿ لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ ﴾

قال الزمخشري:" النصح لله ورسوله الإيمان بهما، وطاعتهما في السرّ والعلن وتولّيهما والحبّ والبغض فيهما كما يفعل الموالي الناصح بصاحبه"(١)

وقد أفاد البيضاوي من الزمخشري فقال:"(إذا نصحوا لله ورسوله) بالإيمان والطاعة في السرّ والعلانية كما يفعل الموالي الناصح، أو بما قدروا عليه فعلاً أو قولاً يعود على الإسلام والمسلمين بالصلاح"(٢)

قال ابن التمجيد إنّ البيضاوي يرى أن النصح في الآية الكريمة جاء على حقيقته عندما قال:"والمصنف -رحمه الله- جعل النصح على حقيقته ولم يجعله مجازاً مستعارا"(٣)

بينما قال القونوي :"إن نصح الله تعالى ورسوله مستعار للإيمان والطاعة ظاهراً وباطناً ،شبه الإيمان المذكور: بالنصح في الانقياد التام، وجلب النفع العام، فذكر لفظ المشبه به وأريد المشبه"(٤)

والحمل على الحقيقة كما أشار ابن التمجيد أولى.

---

(١) الكشاف:٣/٨١

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:١/٤١٧

(٣) حاشية ابن التمجيد:٩/٣٠٠٨

(٤) حاشية القونوي:٩/٣٠٨- ٣٠٩

وفي قوله تعالى:

١٠ -﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ ﴾

قيل:"جاءت الاستعارة في قوله تعالى:(عليهم دائرة السوء) أي :عليهم أيام السوء لأن الأيام والشهور قد تسمى دوائر على طريق الاستعارة؛لأنها ترجع بأعيانها، وإما تعود أشباهها، وأمثالها: فشهر كشهر، ويوم كيوم، وساعة كساعة، وسنة كسنة يقال: دارت السنون، ودارت الشهور على هذا المعنى، ولفظة(الدوائر) اختص ذكرها بالمواضع المكروهة فيقال:دارت عليهم الدوائر إذا أهلكتهم الأيام، وأفنتهم الأعوام،ويقال: دارت لهم الدنيا ؛إذا وصفوا بمواتاة الإقبال، وانتظام الأحوال، فكأن التّمييز في الخير أو الشر إنما يقع بقولنا: دارت لهم ودارت عليهم"[١]أما البيضاوي فقال" اعتراض بالدعاء عليهم بنحو ما يتربصون به، أو الإخبار عن وقوع ما يتبرصون عليهم"[٢]

ولم يُشر البيضاوي إلى أنه مجاز بالاستعارة،فحمل الكلام على الحقيقة، وهو في نظري أولى.

ومن الاستعارة في الحرف قوله تعالى:

١١ -﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾ ﴾

---

(١) تلخيص البيان في مجازات القرآن:١٤٩.

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤١٨/١

قال البيضاوي في قوله تعالى:(سيدخلهم الله في رحمته):"وعدلهم بإحاطة الرحمة عليهم "[(١)]

علق عليه أحد شراحه بقوله:"الإحاطة المستفادة من ظرفية الرحمة؛ للإدخال فإن الظرفية ولو مجازاً تفيد إحاطة الظرف بالمظروف من كل جانب،كأنّ الرحمة أحاطت بهم من الجوانب الستة، فهم مستغرقون فيها وفيه استعارة تبعية"[(٢)]في الحرف.

ومن الاستعارة التمثيلية ما جاء في قوله تعالى:

١٢-﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾

قال النحاس في قوله تعالى:(نور الله):"جعل البراهين بمنزلة النور لما فيها من البيان"[(٣)]

وعلى هذا يكون المصرح به في الآية لفظ المشبّه به (نور) فتكون استعارةً تصريحية

أما البيضاوي فقال:" (يريدون أن يطفئوا) أي:يخمدوا(نور الله) أي:حجته الدالة على وحدانيته وتقدّسه عن الولد، أو القرآن أو نبوة محمد صلى الله عليه وسلم"[(٤)]

فالمشبه على قول البيضاوي: حجته الدالة على وحدانيته، أو القرآن، أو نبوة محمد _صلى الله عليه وسلم- فهي استعارة تصريحية في المفرد.

وذكر البيضاوي وجهاً آخراً في هذه الاستعارة فقال:"إنّه تمثيل لحالهم في طلبهم إبطال نبوة محمد -صلى الله عليه وسلم -بالتكذيب بحال من يطلب إطفاء نور عظيم منبثٍّ في الآفاق

---

(١)أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤١٩/١

(٢) حاشية القونوي:٣٢١/٩

(٣) إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس:٢١١/٢

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤٠٢/١

يريد الله أن يزيده بنفخه"(1)

وقد أوضح الشهاب أيضا ما قيل في هذه الآية بقوله:" فنور الله استعارة أصلية تصريحية لحجته أو القرآن، أو للنبوة؛ لتشبيهها بالنور في الظهور، والسطوع، والإطفاء بأفواههم ترشيح وقيل :استعارة أخرى، وإضافته إلى الله قرينة أو تجريد"(2)

أما ابن التمجيد فقال شارحاً ما جاء به البيضاوي:"(قوله:إنّه تمثيل)أي: قوله تعالى:(يريدون أن يطفئوا نور الله): تمثيل، فعلى هذا يكون قوله:(إلا أن يتم نوره)ترشيحاً لتلك الاستعارة التمثيلية، وقوله تعالى:(هو الذي أرسل رسوله بالهدى) تجريد لهذه الاستعارة التمثيلية وقوله تعالى:(ولو كره الكافرون) تذييل الترشيح، وقوله تعالى:(ولو كره المشركون)(3) تذييل التجريد لأنّ في الإظهار على الدين كله مبالغةً في إظهار الحق،كما أن في الترك مبالغةً في إظهار الباطل"(4)

فكأنه جمع بين تجريد وترشيح على طريقة قول زهير بن أبي سلمى(5):

ِ دٍ شاكي السلاحِ ّ فٍ ُ ه ُ ل ِ م م ِ

فقوله:(شاكي السلاح)أي:له شوكة تناسب الرجل الشجاع، وقوله:(له لبد)وقوله:(أظفاره) تناسب الأسد.

وقيل في الآية:"هو استعارة تمثيلية، ولاستعارة في المفردات،فالنور ليس مستعاراً للحجة ولا الأفواه مستعارة للإشراك، والتكذيب، بل المستعار مجموع المركب الموضوع للهيئة المشبه بها

---

(1) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:1/402

(2) عناية القاضي وكفاية الراضي:4/559

(3) التوبة(33)

(4) حاشية ابن التمجيد:9/210

(5) هوزهير بن ربيعة بن قُرط شاعر جاهلي، من أصحاب المعلقات،يُنظر:الشعر والشعراء :73

للهيئة المشبهة، وتصوير الطرفين منفهم من بيان القائل، ووجه الشبه: الاشتغال بما لايقدر عليه لكونه محالاً بالبديهة "(١)

وقيل:" الكلام تمثيل لحالهم في محاولة تكذيب النبي-صلى الله عليه وسلم-وصدّ الناس عن اتّباع الإسلام، بحال من يحاول إطفانور بنفخ فمِ ه عليه، فهذا الكلام مركّب مستعمل في غير ما وضع له على طريقة تشبيه الهيئة بالهيئة، ومن كمال بلاغته أنّه صالح لتفكيك التشبيه بأنّ يشبّه الإسلام وحده بالنور، ويشبّه محاولو إبطاله بمريدي إطفاءِ النورويشبّه الإرجاف والتكذيب بالنفخ، ومن الرشاقة أنّ آلة النفخ وآلة التكذيب واحدة وهي الأفواه،(ويأبى الله إلا أن يتم نوره)ترشيحاً للاستعارة؛لأنّ إتمام النور زيادة في استنارته، وفشو ضوئه، فهو تفريع على المشبه به وما بعده من قوله -سبحانه- حيث: شبه الإبطال، بالإطفاء بالفم، ونسب النور إلى الله تعالى العظيم الشأن، ومن شأن النور المضاف إليه -سبحانه-أن يكون عظيماً فكيف يطفئ بنفخ الفم، وتمم كلاً من الترشيح والتجريد بما تمم لما بين الكفر الذي هو ستر وإزالة للظهور" (٢)

إنها كما قال سيد قطب:" صورة بائسة لهم وهم يحاولون إطفاء نور اللّه بنفخة من أفواههم وهم هم الضعاف المهازيل!"(٣)

و حمل الآية على التمثيل أولى؛ لوضوح التمثيل فيها.

وفي قوله تعالى

١٣-﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ (٤٩)﴾

(١) حاشية القونوي:٢٠٩/٩

(٢) تفسير التحرير والتنوير:٤٥/١٠

(٣) في ظلال القرآن:٦٩٤٤/١

السقوط في قوله تعالى:(ألا في الفتنة سقطوا): مستعمل مجازاً في الكَون فجأة، على وجه الاستعارة: شُبّه الكون بالسقوط في عدم التهيّؤ له وفي المفاجأة باعتبار أنّهم حصلوا في الفتنة في حال أمنهم من الوقوع فيها، فهم كالساقط في هُوّة على حين ظَنّ أنّه ماشٍ في طريق سهل وهذا كثير في كلام العرب، ومنه قولهم[1]: (على الخبير سقطتَ).[2]

والظاهر عندي أن التشبيه كان للفتنة حيث شبهها بالفجوة التي يمكن أن يُسقط فيها حذف الفجوة وجاء بشيء من لوازمها وهو السقوط على سبيل الاستعارة المكنية.

و في قوله تعالى: (وإنّ جهنّم لمحيطة بالكافرين) قال البيضاوي:" جامعة لهم يوم القيامة"[3]

قال أحد شراحه: "فتكون محيطة مجازاً حيث استعمل في الاستقبال، إذ اسم الفاعل حقيقة في الحال، والأظهر: أنه تمثيل: شبه جمع النار إياهم بحيث لا يُرجى خلاصهم، بجمع المحيط بالمحاط، بحيث لا يقدر التخلص، فاستعمل اللفظ المركب الموضوع للمشبه به في المشبه ووجه الشبه عدم التمكن من النجاة والسلامة"[4]

وفي قوله تعالى:

١٤- ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾﴾

قال البيضاوي في قوله تعالى:(أن تنزل عليهم)أي:" النازل فيهم ،كالنازل عليهم، من حيث

---

(١) يُقال إنّ المثل لمالك برجُبير العامري ، وكان من حكماء العرب،ومعناه أنّه عبرّ عن العثور بالسقوط لأنّ عادة العاثر أن يسقط على مايعثر عليه. يُنظر: مجمع الأمثال للميداني: ٢/٣٥٣

(٢) يُنظر: تفسير التحرير والتنوير: ١٠/١٢٢.

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ١/٤٠٧

(٤) حاشية القونوي: ٩/٢٤٧ بتصرف.

إنه مقروء، ومحتج به عليهم، وذلك يدل على ترددهم"(١)

قال أحد شراحه:"ففيه استعارة تمثيلية: شبه الهيئة المنتزعة من النازل فيهم، بالهيئة المنتزعة من النازل عليهم،فاستُعمل اللفظ الموضوع للهيئة المشبه بها في الهيئة المشبهة"(٢)

وقال البيضاوي في قوله تعالى:(سورة تنبئهم)أي" : تنزل على المؤمنين سورة تهتك أستار المنافقين"(٣)

قال أحد شراحه:"استعارة كما فُهم من الكشاف حيث قال:والمعنى تُنبئهم بما في قلوبهم كأنها تقول لهم: في قلوبهم كيت وكيت، يعني أنها تذيع أسرارهم عليهم حتى يسمعوها مذاعة منتشرة فكأنها تخبرهم"(٤)

فشبه السورة بالإنسان الذي ينبئ، حذف الإنسان، وجاء بشي من لوازمه، وهو الإنباء على سبيل الاستعارة المكنية.

وفي قوله تعالى:

١٥-﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ ﴾

قال البيضاوي في قوله تعالى:(ويأخذ الصدقات)أي" :"يقبلُها قبولَ من يأخذ شيئاً ليؤدي بدله"(٥)

قال أحد شراحه:"(قوله يقبلها قبول من يأخذ شيئاً ليؤدي بدله) يريد أن الأخذ ههنا من

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤١٠/١

(٢) حاشية القونوي:٢٧٠/٩

(٣) يُنظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤١٠/١

(٤) حاشية القونوي:٢٧٠/٩

(٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤٢٠/١

قبيل الاستعارة: حيث شبه قبول الصدقة بأخذ الشيء لأداء بدله"[١]

وقيل:"(قوله يقبلها قبول من يأخذ شيئاً ليؤدي بدله)الظاهر أن هذه استعارة تمثيلية: شبه الهيئة المنتزعة من قبول الله تعالى تلك الصدقات ،ومجازاتهم عليها بأحسن الجزاء، بالهيئة المأخوذة من أخذ الصدقات وقبولها مع نية إعطاء البدل، ولو كان بالدعاء فذكر اللفظ المركب الدال على الهيئة المشبه بها وأريد الهيئة المشبهة، ويمكن أن تعتبر الاستعارة في الأخذ فقط"[٢] فتكون الاستعارة في(يأخذ) تبعية.

وقد أفاد الألوسي مما ذكره البيضاوي فقال:"الأخذ استعارة للقبول، وجوز أن يكون إسناد الأخذ إلى الله تعالى مجازاً مرسلاً ".[٣]

والراجح في نظري: أنها مجاز مرسل، حيث أن معنى أَخذ الله الصدقات: قبولها؛ليجاز ي عليها، فهو مجاز مرسل لعلاقة اللزوم والتسبب.

وفي قوله تعالى:

١٦-﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾

قال البيضاوي في قوله تعالى:(أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به):

"وضع شفا الجرف، وهو ماجرفه الوادي الهائر في مقابلة التقوى:تمثيلاً لما بنوا عليه أمر دينهم في البطلان، وسرعة الانطماس، ثم رشحه بانهياره به في النار، ووضعه في مقابلة الرضوان"[٤]

---

(١) حاشية ابن التمجيد:٣٢٩/٩

(٢) حاشية القونوي:٣٢٩/٩

(٣) روح المعاني:٢٨/١١/٦

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤٢١/١

قال أحد شراحه:"(قوله ثم رشحه) أي رشح التمثيل بانهياره، أي: بسقوطه في النار جعله ترشيحاً للتمثيل؛ لأن الانهيار من ملائمات المشبه به: بمعنى شبه الباطل بشفا جرف هار في قلة الثبات، فاستعير للباطل، والقرينة وضع شفا جرف في مقابلة التقوى، والتقوى حق وما ينافي الحق هو الباطل لأنه يناسب المستعار منه"(١)

وقال شارح آخر : "شبه التقوى تشبيها مضمراً بما وضع عليه البناء ،وهو أصل البناء بنحو صخرة ملساء صماء ،في استحكام ما يوضع عليه، وسلامته عن الانحراف والانهدام وقوله :(وأسس بنيانه) تخييل مع كون البنيان استعارة مصرحة تحقيقية، حيث شبه الدين بالمبنى المحكم في نجاة من تحصن به وآوى إليه، فذكر المشبه به، وأريد المشبه، والتأسيس ترشيح ،له وهذا مختار المصنف ويحتمل الكلام استعارة تمثيلية : شبه الهيئة المنتزعة من أمور عديدة وهي: حال من اتقى عن المحارم وداوم على المبرّات طلبا للمرضاة:بحال من بنى بناء قوياً مؤسساً بأنواع المؤسسات فذُكر اللفظ المركب الدال على الهيئة المشبه بها، وأريد الهيئة المشبهة"(٢).

وقال ابن عاشور:"تمثيل حالة هدمه في الدنيا وإفضائه ببانيه إلى جهنم في الآخرة بانهيار البناء المُؤسس على شفَا جُرف هارَ بساكنه في هوّة. وجعل الانهيار به إلى نار جهنم إفضاء إلى الغاية من التشبيه. فالهيئة المشبهة مركبة من محسوس ومعقول وكذلك الهيئة المشبه بها. ومقصود أن البنيان الأول حصل منه غرض بانيه لأن غرض الباني دوام ما بناه. فهم لما بنوه لقصد التقوى ورضى الله تعالى ولم يُذكر ما يقتضي خيبتهم فيه كما ذُكر في مقابله عُلم أنهم قد اتقوا الله وأرضوه ففازوا بالجنة، كما دلت عليه المقابلة، وأن البنيان الثاني لم يحَصل غرضُ بانيه وهو الضرار والتفريق فخابوا فيما قصدوه فلم يثبت المقصد، وكان عدم ثباته مفضياً بهم إلى النار كما يفضي البناء المنهار بساكنه إلى الهلاك"(٣)

---

(١) حاشية ابن التمجيد:٩/٣٣٩-٣٤٠

(٢) حاشية القونوي:٣٣٩/٩

(٣) تفسير التحرير والتنوير: ١٤/١١

و في قوله تعالى:

١٧ -﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى
سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ
بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴾

قال البيضاوي:"هو تمثيل إثابة الله إياهم الجنة على بذل أنفسهم وأموالهم في سبيله"(١)

قال ابن التمجيد:(قوله هو تمثيل..)"وجه ذلك: أنه شبه معاملتهم مع الله ببذل أنفسهم وأموالهم في سبيله، ومعاملة الله معهم في إعطائه إياهم بدل مايبذلونه الجنة بمعاملة من اشترى متاعاً بثمن جُعلت نفسهم وأموالهم بمنزلة المُثمن والجنة بمنزلة الثمن،ولما انتزع وجه الشبه من أمور كثيرة وكان كل واحد من طرفي التشبيه أمراً مركباً من أمورٍ خُصّ باسم التمثيل، فلفظ(اشترى) استعارة مركبة تمثيلية"(٢)

وفي قوله تعالى:

١٨ -﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ
أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾

قال البيضاوي مشيرا إلى الاستعارة:"وهو_أي ضيق الأرض_ مثل لشدة الحيرة من فرط الوحشة والغم بحيث لا يسعها أنس وسرور"(٣)

وعلق عليه أحد شراحه بقوله:" أي: كأنهم لايجدون في الأرض مكاناً يستقرون فيه

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤٢٢/١

(٢) حاشية ابن التمجيد:٣٤٥/٩-٣٤٦

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤٢٤/٩ بتصرف

وتطمئن إليه نفوسهم، أو كأنهم لا يثبتون فيها ولا يسعهم مكانهم مع سعة الأرض"[(١)]

فقول البيضاوي:(مثل) يوحي بأنه مراده أنها استعارة تمثيلية، وأيده شرح القونوي على طريقة التمثيل، إلا أن بعض المفسرين رأي: أن الاستعارة جاءت في قوله تعالى:(وضاقت عليهم أنفسهم) فقط فقال: إنها استعارة ؛لأن الغم والهم ملأها.[(٢)]

وعليه تكون الاستعارة مكنية، حيث شبه النفس بالمكان، حذف المكان وجاء بشيء من لوازمه وهو:(الضيق) على سبيل الاستعارة المكنية، وهذا الرأي في نظري هو الأظهر.

من خلال ماتقدم يتبين لنا: أن الاستعارات في سورة التوبة قد جاءت متنوعة، فقد جاء منها: المكنية، والتصريحية، والتمثيلية .والتهكمية، والتبعية ،والأصلية .

كما اتضح لنا أن بلاغة الاستعارة في سورة التوبة تكمن في أن تركيبها يدل على تناسي التشبيه ويحملنا عمداً على تخيل صورة جديدة، تنسينا روعتها ما تضمنه الكلام من تشبيه خفي، وعليه فلا ريب أن تكونمجالاً فسيحاً للإبداع، وميداناً يتسابق فيه البلغاء؛ لما تحدثه من أثر في النفوس، وإعمال للفكر.

---

(١) حاشية القونوي:٢٣٨/٩

(٢) ينظر:المحرر الوجيز:٢٩٥/٨

الفصل الثالث: التصوير بالكناية والتعريض.

توطئة:

قال ابن منظور:"الكناية أن تتكلم بشيء وتريد غيره، وكنى عن الأمر بغيره يكني كناية: إذا تكلم بغيره مما يستدل عليه" (١) فالمادة المعجمية للكناية تدور حول معنى الستر والخفاء .

وقد استقر معناها الاصطلاحي عند الخطيب فقال في الإيضاح: الكناية: "لفظ أريد به لازم معناه، مع جواز إرادة معناه حينئذ(٢)"

العلاقة والقرينة في الكناية:

العلاقة في الكناية هي اللزوم كما هو واضح في التعريف ،كما أن القرينة واجبة فيها أيضا إلا أنها تفترق عن قرينة المجاز بكون قرينة الكناية غير مانعة، فيجوز معها إرادة المعنى الحقيقي. (٣)

فقولنا: فلانة نؤوم الضحى، أي: مخدومة لا تحتاج إلى السعي بنفسها للقيام بشؤونها ولا يمتنع أن يُراد مع ذلك نؤوم الضحى على حقيقته من غير تأويل.(٤)

وقد اختلف العلماء في الكناية هل هي حقيقة، أو مجاز ؟، والمشهور: أنها حقيقية.

كما أنها لا تنفك عن التعريض على رأي أشهر البلاغيين لذا رأيتُ ألا أفصل بينهما أثناء تحليل الآيات، وأن أسير على ترتيب آيات السورة.

---

(١) لسان العرب مادة(ك،ن،ى): ٢٣٣/١٥

(٢) جاء في شرح التلخيص للبابرتي: "مع جواز إرادة المعنى معه" يُنظر: شرح التلخيص للبابرتي: ٥٩٩ الإيضاح: ١٥٩/٥/٢

(٣) يُنظر: السابق بصفحته

(٤) يُنظر: شرح التلخيص للبابرتي: ٥٩٩

ويمكننا تعريف التعريض كما عرفه علماء البلاغة بقولهم: هو خلاف التصريح، يقال: عرّضت بفلان إذا قلت قولاً، وأنت تعنيه، ومنه المعارض في الكلام،وقيل التعريض: تضمين الكلام دلالة ليس لها ذكر كقولك: ما أقبح البخل! تعريض بأنّه بخيل.[1]

وقد ذكر الخطيب:أن الكناية تتفاوت إلى تعريض، أو تلويح، أو رمز.[2]

لذا آثرت عدم الفصل بين الكناية، والتعريض،اعتماداً على أقوال العلماء في امتزاج التعريض بالكناية في مواضع كثيرة.

صور من الكناية والتعريض في السورة:

١-قَالَ تَعَالَىٰ:﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾﴾

قال البيضاوي في قوله تعالى: (لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ): "استفهام بمعنى الإنكار والاستبعاد لأن يكون لهم عهد، ولا ينكثوه مع وغرة صدورهم"[3]

قال أحد شراحه:"(قوله استفهام بمعنى الإنكار) أي: بمعنى إنكار عهد المشركين قد توسل إلى إنكار العهد، بإنكار حال العهد، فإن الشيء لا يخلو عن حال، فنفي حال الشيء يستلزم نفي الشيء،لأن الشيء لو ثبت لكان له حال البتة"[4]

وقال شارح آخر:(وإنكار الكيفية) كناية عن إنكار العهد ففيه مبالغة"[5]

(١) يُنظر: التلخيص بشرح البابرتي:٦٠٨

(٢) يُنظر:الإيضاح:١٧٥/٥/٢

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٣٩٦/١

(٤) حاشية ابن التمجيد:١٦٠/٩

(٥) حاشية القونوي:١٦٠/٩

وفي قوله تعالى:

٢-﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾

قال البيضاوي في قوله تعالى:(ونفصل الآيات لقوم يعلمون):"اعتراض للحث على تأمل ما فُصِّل من أحكام المعاهدين ،أو خصال التائبين"(١)

قال أحد شراحه:"قوله اعتراض للحث على تأمل ما فُصِّل من أحكام المعاهدين): إشارة إلى أن العلم كناية عن التفكر"(٢)

وقال شارح آخر :"إشارة إلى أن العلم كناية عن التفكير ،والمراد بيعلمون أي:من شأنه العلم إن أريد علم مافصل،أو العلم بالفعل إن جعل لازماً "(٣)

وفي قوله تعالى:

٣-﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾﴾

قال الزمخشري:"القراءة بجمع(مساجد) فيها وجهان:"أحدهما: أن يراد المسجد الحرام، وإنما قيل مساجد؛لأنّه قبلة المساجد كلها، وإمامها؛ فعامره كعامر جميع المساجد؛ولأنّ كلّ بقعة منه مسجد والثاني: أن يراد جنس المساجد، وإذا لم يصلحوا لأن يعمروا جنسها، دخل تحت ذلك أن لا يعمروا المسجد الحرام الذي هو صدر الجنس ومقدمته وهو آكد؛لأنّ طريقته طريقة

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٣٩٧/١

(٢) حاشية ابن التمجيد: ١٦٩/٩

(٣) حاشية القونوي: ١٦٩/٩

الكناية كما لو قلت: فلان لا يقرأ كتاب الله، كنت أنفى لقراءته القرآن من تصريحك بذلك"
(١)

وقد اقتبس البيضاوي نص عبارة الزمخشري، كعادته دون أن يشير فقال: "المراد به المسجد الحرام،وإنما جمُ ع؛لأنّ ه قبلة المساجد، وإمامها فعامره كعامر الجميع"(٢)

وقال أحد شراحه:"(قوله وإنما جمع لأنه إمامها وذكر في الكشاف وجها آخر وهو: أن يراد جنس المساجد ،وإذا لم يصلُحوا لأن يعمروا جنسها دخل تحت ذلك أن لايعمروا المسجد الحرام الذي هو صدر الجنس، وهو آكد لأن طريقته الكناية"(٣)

وفي قوله تعالى:

٤- ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾

جاء التعريض في قوله تعالى: (والله لا يهدي القوم الفاسقين) فهو:"تعريض بهم بأنهّـم من الفاسقين"(٤)

وفي قوله تعالى:

٥- ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾

---

(١) الكشاف:٣/٢٠

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:١/٣٩٩

(٣) حاشية ابن التمجيد:٩/١٧٨

(٤) تفسير التحرير والتنوير:١٠/١٥٤

قال البيضاوي في معنى قوله تعالى:(وضاقت عليكم الأرض بما رحبت)أي: "بسعتها، لا تجدون فيها مفراً تطمئن إليه نفوسكم من شدة الرعب،أو لا تثبتون فيها كمن لا يسعه مكانه"[(١)]

قال أحد شراحه معنى:" ضاقت هنا كناية ،أو مثل في كمال الحيرة، والشدة كما صرح به في قوله تعالى[(٢)]:﴿ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا ﴿٧٧﴾ ﴾"[(٣)]

وفي قوله تعالى:

٦-﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾

استعمال اليد في قوله تعالى:(عن يد)جاء بمعنى :"الانقياد: إما حقيقة، أو كناية" [(٤)]

والظاهر -والله أعلم- أن استعمال اليد في هذه الآية من قبيل المجاز المرسل، لعلاقة السببية.

وفي قوله تعالى:

٧- ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾

عبرّ عن الإسلام بقوله:(بالهدى ودين الحق)تعريضاً بأنّ ما هم عليه ليس بهدى ولا حقّ " [(٥)]

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤٠٠/١

(٢) هود(٧٧)

(٣) حاشية القونوي:١٩١/٩ بتصرف

(٤) روح المعاني:٢٦٢/٩/٥

(٥) تفسير التحرير والتنوير:١٧٣/١٠

وفي قوله تعالى:

٨-﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَـٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾

جاء التعبير بالموصول في قوله تعالى: (عدة ما حرم الله)دون أن يعبر بنحو: عدة الأشهر الحرم، للإشارة إلى تعليل عملهم في اعتقادهم بأنهم حافظوا على عدة الأشهر التي حرمها الله تعظيماً، ففيه تعريض بالتهكّم بهم"(١)

وفي قوله تعالى:

٩-﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾﴾

الثِقَل"حالة في الجسم تقتضي شدّة تطلّبه للنزول إلى أسفل، وعُسرَ انتقاله، وهو مستعمل هنا في البطء مجازاً مرسلاً، وفيه تعريض بأنّ بُطأهم ليس عن عجز، ولكنّه عن تعلّق بالإقامة في بلادهم وأموالهم"(٢)

وفي قوله تعالى:

١٠-﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾﴾

قال الزمخشري في قوله تعالى: (عفا الله عنك) إنه:"كناية عن الجناية؛لأنّ العفو رادف

(١) تفسير التحرير والتنوير: ١٠/١٨٩

(٢) السابق: ١٠/١٩٧

لها"[1]

وتبعه البيضاوي بقوله:"كناية عن خطئه في الإِ ذن فإن العفو من روادفه"[2].

وقد علق أحد شراح البيضاوي منتقداً الزمخشري،ومتابعاً البيضاوي فيما ذهب إليه فقال:"قوله (كناية عن خطئه)وفي الكشاف (كناية عن الجناية) جعله كناية عن الخطأ أنسب لرعاية أدب الرسول من جعله كناية عن الجناية وجعل صاحب الكشاف ذلك الإذن ذنباً عاتبه الله عليه حيث قال: عفا الله عنك كناية عن الجناية؛ لأن العفو لا مرادف له، ومعناه أخطأت و بئس ما فعلت لأنّ الاستفهام فيه للإنكار، والعفو كناية عن الذنب،ثم قال: والحق حمله على ترك الأولى، والأفضل أنه قد اجتهد في تلك الواقعة وغاية في الباب أنه لم يُصِب لكن المجتهد إذا أخطأ فله أجرهب أنه كان ذنبا عاتبه الله عليه لكنّ تقديم العفو على ذكر الذنب يدل دلالة ظاهرة على تعظيمه ،وتوقيره فكيف قال أخطأ وبئس؟! فهو خطأ وسوء أدب"[3]

كما اعترض القونوي على هذا الإتباع من البيضاوي للزمخشري فقال: "إذ قال أخطأت وبئس ما فعلت ،وشنع عليه كثيرون فكان على المصنف أن لايتبعه في مثله ،ولقد أحسن من قال:إنّ من لطف الله تعالى بنبيه _صلى الله عليه وسلم_أن بدأه بالعفو قبل العتب، ثم صوّب ذلك بقوله: مراده أنه اجتهد عليه السلام في الإذن ،لكنه لم يصب في اجتهاده"[4]

وفي قوله تعالى:

١١ -﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَـٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾﴾

قال البيضاوي في قوله تعالى:(وقلبوا لك الأمور)،أي :"ودبروا لك المكائد والحيل ودوروا

---

(١) الكشاف:٤٨/٣

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤٠٦/١

(٣) حاشية ابن التمجيد:٢٣٦/٩

(٤)حاشية القونوي:٢٣٦/٩

الآراء في إبطال أمرك"[١]

قال أحد شراحه:"(قوله ودبروا لك)أي:قلّبوا مجازاً عن دبروا، إذ التقليب يستلزم التدبير أو هو نوع خاص من التدبير فذُكر الملزوم ،أو الخاص ،وأريد اللازم،أو العام، ولك التعبير بالسبب والمسبب في الأوّل"[٢]

فظاهره أنه: كناية؛لأنّه من ذكر الملزوم، وإرادة لازمه وبعضهم يُدخل الكناية في المجاز، والحق أنها حقيقة.

وفي قوله تعالى:

١٢- ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾

قال البيضاوي في قوله تعالى:(يقبضون أيديهم) أي:"عن المبار،وقبض اليد كناية عن الشح"[٣]

وقال الشوكاني:في قوله تعالى:(ويقبضون أيديهم) أي:القبض كناية عن الشحّ ، كما أن البسط كناية عن الكرم، والنسيان الترك: أي تركوا ما أمرهم به، فتركهم من رحمته وفضله؛ لأن النسيان الحقيقي لا يصح إطلاقه على الله سبحانه، وإنما أطلق عليه هنا من باب المشاكلة المعروفة "[٤]

وفي قوله تعالى:(نسوا الله فنسيهم) قال ابن التمجيد:"يريد أن النسيان مجازٌ عن الترك

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٤٠٧/١

(٢) حاشية القونوي: ٢٤٥/٩

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٤١١/١

(٤) فتح القدير: ٣٨٥/٢

وإلا لما استخدم الذم"[١]

وقيل:"النسيان كناية عن ترك الطاعة ،فالمراد لم يطيعوه سبحانه(فنسيهم) من لطفه وفضله عنهم" [٢]

فالكناية هنا باتفاق العلماء جاءت في قوله تعالى:(ويقبضون أيديهم)، أما قوله تعالى:(نسوا الله) فهذا الكلام لا يمكن إجراؤه على الحقيقة ،لأنا لو حملنا (النسيان) على الحقيقة لما استحقوا عليه ذماً ؛لأنّ النسيان ليس في وسع البشر، وهو في حق الله تعالى محال، فلا بد من التأويل، ليكون النسيان كناية عن الإهمال أو أن يحُمل النسيان على المشاكلة كما صرح به أكثر العلماء وهو الأولى.

قال ابن كثير في ذلك:"(نسوا الله)أي:نسوا ذكر الله(فنسيهم)أي: عاملهم معاملة من نسيهم كقوله تعالى[٣]:﴿ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ﴿٣٤﴾ ﴾"[٤]

ويتضح من كلام ابن كثير أنها صفة سلبيّة كما يسميها علماء التوحيد، وهي عندهم لا تُثبت إلا على سبيل المقابلة، ولا تؤوّل بمجاز بل هي على ظاهرها على سبيل الجزاء وسنفصّل القول في ذلك في باب المشاكلة من هذا البحث بإذن الله.

وفي قوله تعالى:

١٣-﴿ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾

---

(١) حاشية ابن التمجيد:٢٧٤/٩

(٢) روح المعاني:٣٢٣/٩/٥

(٣) الجاثية(٣٤)

(٤) تفسير القرآن العظيم:٣٨٢/٢

لما وصف الحق سبحانه حالة المشبه بهم من الأمم البائدة، أعقب ذلك بالإشارة إليهم؛ للتنبيه على أنهّم بسبب ذلك كانوا جديرين بما سيخبر به عنهم، فقال تعالى: (أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون)وفيه تعريض بأنّ الذين شابهوهم في أحوالهم أحرياء بأن يحلّ بهم ما حلّ بأولئك، وفي هذا التعريض من التهديد والنذارة معنى عظيم" (١)

وفي قوله تعالى:

١٤-﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ ﴾

معنى قوله تعالى:(كرهوا أن يجاهدوا)أيّ كرهوا:"إيثاراً للدعة، والخفض على طاعة الله وفيه تعريض بالمؤمنين الذين آثروا عليها تحصيل رضاه ببذل الأموال والمهج"(٢)

وهو من قول صاحب الكشاف:"تعريض بالمؤمنين وبتحملهم المشاقّ العظام لوجه لله تعالى، وبما فعلوا من بذل أموالهم، وأرواحهم في سبيل الله تعالى، وإيثارهم ذلك على الدعة والخفض" (٣)

وفي قوله تعالى:

١٥-﴿ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾

قال البيضاوي:" الضحك والبكاء:كنايتان عن السرور والغم" (٤)

---

(١) تفسير التحرير والتنوير: ٢٥٦/١٠بتصرف.

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤١٥/١

(٣) الكشاف:٧٤/٣

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤١٥/١

وتبعه الألوسي بقوله:"الضحك كناية عن الفرح ،والبكاء كناية عن الغم،والأول في الدنيا والثاني في الأخرى" (١)

وفي قوله تعالى:

١٦-﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾

قيل إنّ في قوله تعالى: (والذين آمنوا معه):"تعريض بأنّ الذين لم يجاهدوا دون عذر ليسوا بمؤمنين" (٢)

وفي قوله تعالى:

١٧- ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾

الإخبار برُؤية الله – عزّ وجلّ – ورسوله–صلى الله عليه وسلم– عملهم في المستقبل في قوله تعالى:(وسيرى الله عملكم ورسوله):" مستعمل في الكناية عن الترغيب في العمل الصالح والترهيب من الدوام على حالهم، والمراد: تمكنهم من إصلاح ظاهر أعمالهم؛ ولذلك أردف بقوله:(ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة) أي: تصيرون بعد الموت إلى الله، فالرد بمعنى الإرجاع"(٣)

كما اُستعمل قوله تعالى:(فينبئكم بما كنتم تعملون) "في لازم معناه، وهو المجازاة على كل ما عملوه، أي: فتجدونه عالماً بكل ما عملتموه، وهو كناية؛ لأن ذكر المجازاة في مقام الإجرام

---

(١) روح المعاني:٣٣٩/٩/٥

(٢) إرشاد العقل السليم:٩٣/٣

(٣) تفسير التحرير والتنوير:٢٩١/١٠

والجناية لازم لعموم علم مـَلك يوم الدين بكل ما عملوه"[1]

وفي قوله تعالى:

١٨- ﴿ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾ ﴾

قال البيضاوي في قوله تعالى:(فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين) أي:"فإن رضاكم لا يستلزم رضا الله ،ورضاكم وحدكم لا ينفعهم، إذا كانوا في سخط الله وبصدد عقابه، وإن أمكنهم أن يلبُسوا عليكم لا يمكنهم أن يـُلبسوا على الله، فلا يهتك سترهم ولا ينـُزل الهوان بهم، والمقصود من الآية النهي عن الرضا عنهم، والاغترار بمعاذيرهم بعد الأمر بالإعراض وعدم الالتفات نحوهم"[2]

وقيل:"(قوله: النهي عن الرضا عنهم والاغترار بمعاذيرهم) إذ إخباره تعالى بعدم رضائه عنهم مستلزم للنهي عن مخالفة رضائه وإرادته ،فهو مستلزم لنهي المسلمين عن رضائهم،فدلالة الكلام على النهي بطريق الالتزام، والمفهوم لا بطريق المنطوق ولذا قال المصنف: (والمقصود الخ)يعني :الغرض المسوق له ذلك فيكون الكلام نصا بالنسبة إليه ظاهرا بالنظر إلى ما ظهر منه وهو غير مسوق له"[3]

وفي قوله تعالى:

١٩- ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾

جاء قوله تعالى: (فيه رجال يحبون أن يتطهروا) "ثناء على مؤمني الأنصار الذين يصلون

---

(١) تفسير التحرير والتنوير: ٢٩١/١٠

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٤١٨/١

(٣) حاشية القونوي: ٣١٦/٩

بمسجد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وبمسجد قباء، وفيه تعريض بأن أهل مسجد الضرار ليسوا كذلك" (١)

وفي قوله تعالى:

٢٠- ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١١٨﴾

ضيق أنفسهم، هو ضيق قلوبهم، فلم تعد تتسع للسرور والفرح، لامتلائها بالهم والغم فالإناء إذا مُلِيء بشيء ضاق عن غيره.(٢)

ففي الآية الكريمة "تعريض بالذين تخلفوا من أهل المدينة، ومن الأعراب،و ذلك يدل على إيجاب النفير عليهم إذا خرج النبي -صلى الله عليه وسلم -للغزو" (٣)

وفي قوله تعالى:

٢١- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٢٣﴾

قوله تعالى:"(وليجدوا فيكم غلظة)،أي:"شدة وصبراً على القتال"(٤)

وهذا أبلغ من قول: (وأغلظوا عليهم)؛ لكونه كناية ،قالوا :إنها كلمة جامعة للجرأة والصبر على القتال وشدة العداوة والعنف في القتل والأسر ومنه قوله تعالى(٥):(ولا تأخذكم بهما رأفة

---

(١) تفسير التحرير والتنوير:١١/٣٠ بتصرف.

(٢) يُنظر:الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز:١٤١

(٣) تفسير التحرير والتنوير:١٠/٢٩١

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:١/٤٢٥

(٥) النور(٢)

في دين الله)"[1]

وفي قوله تعالى:

٢٢-﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾

"معنى (من أنفسكم) من صميم نسبكم، فتعين أن الخطاب للعرب؛ لأن النازل بينهم القرآن يومئذٍ لا يَعدون العربَ ومن حالفهم ووالاهم مثلَ سلمانَ الفارسي وبلالٍ الحبشي وفيه امتنان على العرب، وتنبيه على فضيلتهم، وفيه أيضاً تعريض بتحريضهم على إتباعه وترك مناوأته وأن الأجدر بهم الافتخار به، والالتفاف حوله "[2]

وختاماً نخلص إلى أن الكناية مظهر من مظاهر البلاغة وغاية لا يَصل إليها إلا من لَطف طبعه، وصفت قريحته وأن السر في بلاغتها يكمن في أنها في صور كثيرة تُعطِينا الحقيقة مصحوبة بدليلها، والقضية وفي طيها برهانها كما قال علماء البلاغة، كما أنها تضع لنا المعاني في حلية أبهى مما هي عليه.

يتضح لنا من خلال الآيات السابقة: أن التعريض أخفى من الكناية؛ لأن دلالة الكناية لفظية ودلالة التعريض من جهة المفهوم، لا بالوضع الحقيقي ولا المجازي.

والكناية تشمل لفظ المفرد والجملة، أما التعريض فلا يكون إلا في الجمل؛ لأنه لا يفهم المعنى فيه من جهة الحقيقة ولا من جهة المجاز، إنما يفهم من جهة التلويح، والإشارة، وذلك لا يستقل به اللفظ المفرد ولكن يحتاج في الدلالة عليه إلى اللفظ المركب.

---

(١) حاشية القونوي:٣٧٢/٩

(٢) تفسير التحرير والتنوير:٧١/١١بتصرف.

الباب الثالث: أحوال الجمل

- الفصل الأول: الفصل والوصل:مواضعهما وأسرارهما.
- الفصل الثاني: لجمل الحالية:أنواعها في السورة وأسرارها.
- الفصل الثالث: الإيجاز :أنواعه وأسراره.
- الفصل الرابع: الإطناب:صوره وأسراره البلاغية.

الفصل الأو ّ ل

الفصل والوصل: موضعهما وأسرارهما

لخص البلاغيون حالات الفصل والوصل في تلخيص ٍ كثير ٍ منهم كان التركيز على الجمل التي لا محل لها من الإعراب دون المفردات .

جاء في المطول "الوصل ُ عطف ُ بعض الجمل ِ على بعض، والفصل تركه أي ّ :ترك ُ عطف بعضها على بعض"(١)

"والحاصل من أحوال الجملتين اللتين لا محل لهما من الإعراب ،ولم يكن للأولى حكم لم يقصد إعطاؤه للثانية ستة مواضع:

- الأول كمال الانقطا ع بلا إيهام .
- الثاني كمال الاتصال.
- الثالث شبه كمال الانقطاع.
- الرابع شبه كمال الاتصال .
- الخامس كمال الانقطاع مع الإيهام.
- السادس التوسط بين الكمالين .

فحكم ُ الأخيرين الوصل وحكم ُ الأربعة السابقة الفصل،أما في الأول والثالث، فلعدم المناسبة ،وأما في الثاني والرابع ،فلعدم المغايرة المفتقرة إلى الربط بالعاطف،(أما كمال الانقطاع

---

(١) المطول:٢٤٧

فلاختلافهما خبرا أو إنشاء لفظا ومعنى) "[1]

ثم تحدث عن الجامع بين الجملتين في الوصل والوصل فقال:

"(والجامع بينهما)أي:بين الجملتين:(يجب أن يكون باعتبار لمسند إليه والمسند جميعاً أي : باعتبار المسند إليه في الجملة الأولى، والمسند إليه في الجملة الثانية ،وكذا باعتبار المسند في الأولى، والمسند في الثانية،أويكون بين تصوّريهما (تضاد)، وهو: التقابل بين أمرين وجوديين يتعاقبان على محل واحد بينهما غاية الخلاف"[2] وهذا ما سار عليه صاحب التلخيص.

وقد آثرت في هذا المبحث أنْ أتحدثَ عن الفصلِ والوصلِ معاً في الآيات دون تخصيص الفصل بمبحث، والوصل بمبحث آخرخشية تقطيع الآياتِ ،وتكرارِها، إذ قد يجتمع الفصل والوصل في الآية الواحدة.

صور من الفصل والوصل في السورة:

١-قال تعالى:﴿فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾﴾

وُصِلتْ جملة:(واعلموا أنكم غير معجزي الله)،بجملة:(فسيحوا في الأرض أربعة أشهر)

لأنّ الحق تبارك" لما أنبأهم بالأمان في أربعة أشهر عقّبه بالتخويف من بأس الله احتْراساً من تطرّق الغرور، تهديداً بأنّ لا يطمئنوا من أنْ يُسلّط الله المسلمين عليهم في غير الأشهر الحرم وإنْ قبعوا في ديارهم"[3]

(١) المطول:٢٥١

(٢) السابق:٢٦٧

(٣) تفسير التحرير والتنوير:١٠٦/١٠

كما جاءت جملة: (وأنّ الله مخزي الكافرين) عطف على جملة: (إنكم غير معجزي الله): "واعلموا أنّ الله مخزيكم"(1)

وفي قوله تعالى:

٢- ﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ ﴾

جاءت "(أذان) خبر لمبتدأ محذوف أي: هذا أذان من الله، أو مبتدأ و(من) متعلقة به والخبر (إلى الناس) والجملة معطوفة على مثلها(2)، والجامع بين طرفي الجملة واضح"(3)

وفي قوله تعالى:

٣- ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ ﴾

فُصلت جملة: (إن الله يحب المتقين)، عن جملة: (فأتموا إليهم عهدهم)؛ لأنها "تعليل وتنبيه على أنّ إتمام عهدهم من باب التقوى"(4)

كما أنه لا مسوّغ للوصل؛ لأنّ جملة: (إنّ الله يحب المتقين): خبرية، وما قبلها، وهي جملة: (فأتموا إليهم عهدهم) إنشاء، فبينهما كمال انقطاع.

---

(1) حاشية القونوي: ٩/١٤٨

(2) المقصود عطفها على (براءة) في أول السورة

(3) حاشية القونوي: ٩/١٤٩

(4) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ١/٣٩٥

وفي قوله تعالى:

٤ - ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾

جاء الوصل في هذه الآية بين عدة جمل:(فاقتلوا)، (وخذوهم)، (واحصروهم)، (واقعدوا)

قال القونوي:" والأمر هنا للإباحة، والتخيير بين هذه الأمور،والعطف بالواو للإذن بأجمعها،البعض يُقتل، والآخر يؤسر،أو يحصر"[1] وهي جملة فعليّة إنشائيّة متناسبة،كما أنّ المسند إليه فيها واحد[2].

كما فُصل قوله تعالى: (إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)،عما قبله لأنه جاء" تعليلاً للأمر أي فخلوهم لأنّ الله غفور رحيم" [3]

والذي سوّغ للفصل كونها خبرية،وما قبلها إنشاء.

وفي قوله تعالى:

٥ - ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ ﴾

فُصلت جملة: (ذلك بأنهم قوم لا يعلمون) عمّا قبلها لأنها جاءت" في موضع التعليل لتأكيد الأمر بالوفاء لهم بالإجارة إلى أن يصلوا ديارهم أي أمَرْنا بذلك بسبب أنّهم قوم لا

(١) حاشية القونوي:٩/١٥٦

(٢) المسند إليه (الفاعل)هو: واو الجماعة.

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:١/٣٩٥

يعلمون، فالإشارة إلى مضمون جملة: (فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه)أي : لا تؤاخذهم في مدّة استجارتهم بما سبق من أذاهم؛لأنّهم قوم لا يعلمون ـ وهذه مذمّة لهم بأنّ مِثلَهم لا يقام له وزن" (١)

وفي قوله تعالى:

٦- ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٧﴾

جاءت جملة:(كيف يكون للمشركين عهد عند الله)استئنافاً بيانياً (٢)، نشأ عن قوله تعالى: (براءة من الله ورسوله)ثم عن قوله: (أن الله بريء من المشركين) وعن قوله (فاقتلوا المشركين)التي كانت تدرجاً في إبطال العهود السابقة بينهم وبين المسلمين؛لأنّ ذلك من شأنه أن يثير سؤالاً في نفوس السامعين من المسلمين الذين لم يطّلعوا على الأمر، فلعلّ بعض المشركين يتعجّب من هذه البراءة، ويسأل عن سرها، وكيف أُنهيت العهود، وأعلنت الحرب، فكان المقام مقام بيان سبب ذلك" (٣)

كما فُصل قوله تعالى:(إن الله يحب المتقين)عمّا قبله؛لأنّه "جاءتعليلاً لاستقامة المسلمين على عهدهم معهم ماداموا على الاستقامة في عهدهم؛ وتنبيهعلى أنّ الاستقامة على العهد من باب التقوى"(٤)

---

(١) تفسير التحرير والتنوير:١٠/١٢٠

(٢) شبه كمال الاتصال

(٣) تفسير التحرير والتنوير:١٠/١٢١

(٤) حاشية ابن التمجيد:٩/١٦٣

وفي قوله تعالى:

٧- ﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨﴾ ﴾

جاء قوله تعالى:(يرضونكم بأفواههم) "استئنافاً لبيان حالهم المنافية لثباتهم على العهد المؤدية إلى عدم مراقبتهم عند الظفر "[(١)]

والبعض جوّز كون جملة(يرضونكم)حالاً [(٢)]

إلا أن البيضاوي لم يجوّز ذلك فقال:"ولا يجوز جعله حالاً من فاعل (لا يرقبوا) فإنهم بعد ظهورهم لا يرضون ولأنّ المراد إثبات إرضائهم المؤمنين بوعد الإيمان، والطاعة، والوفاء بالعهد في الحال، واستبطان الكفر، والمعاداة بحيث إن ظفروا لم يبقوا عليهم والحالية تنافيه"[(٣)]

والراجح فيما أرى ما ذهب إليه البيضاوي.

وفي قوله تعالى:

٨- ﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ ﴾

جاءت جملة: (لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة)"بدلَ اشتمال من جملة: إنهم ساء ما كانوا يعملون)[(٤)] لأنّ انتفاء مراعاة الإلّ والذمّة مع المؤمنين، ممّا يشتمل عليه سوء عملهم،

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:١/٣٩٦

(٢) حاشية القونوي:٩/١٦٦

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:١/٣٩٦

(٤) أيّ : في الآية التي قبلها

ويجوز أن تكون استئنافاً ابتدئ به للاهتمام بمضمون الجملة" [1]،وكون الجملة بدل اشتمال يعني: أن الفصل هنا جاء لكمال الاتصال.

وفي قوله تعالى:

٩- ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ١٢ ﴾

فُصلت جملة:(إنهم لا أيمان لهم)، لأنها تعليل لقتالهم بأنهم استحقوه لأجل استخفافهم بالأيمان التي حلفوها على السلم فغدروا، وفيه بيان للمسلمين كيلا يشرعوا في قتالهم غير مطّلعين على حكمة الأمر به، فيكون قتالهم لمجرد الامتثال لأمر الله، فلا يكونُ لهم من الغيظ على المشركين ما يحقّ ذ شدّتهم عليهم"[2]

بينما وُصلت جملة:(وطعنوا في دينكم)بما قبلها وهي جملة:(نكثوا)لأنّ "العطف هنا كعطف القسيم على قسيمه، فالواو فيه بمعنى (أو)، فإذا حصل أحد هذين الفعلين الذين هما: نكث الأيمان،والطعن في الدين، كان حصول أحدهما موجباً لقتالهم، أي: دون مصالحة ولا عهد، ولا هُدنة بعد ذلك" [3]

كذلك فُصلت جملة(لعلهم ينتهون)عمّا قبلها؛ لأنه:" يجوز أن تكون تعليلاً لجملة (فقاتلوا أئمة الكفر) أي: إنّ قتالهم على أمل أن ينتهوا، فالقتال يُفني كثيراً منهم فالانتهاء المرجو انتهاء الباقين أحياء بعد أن تضع الحرب أوزارها"[4]

---

(١) تفسير التحرير والتنوير: ١٠/١٢٦

(٢) السابق: ١٠/١٣٠

(٣) السابق بصفحته.

(٤) السابق: ١٠/١٣١

وفي قوله تعالى:

١٠ -﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾﴾

عطف قوله تعالى:(ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين) على جملة: (يعذبهم)؛"لأن العطف بالواو لايقتضي الترتيب"(١).

ووُصلت جملة: (ويذهب غيظ قلوبهم) بما قبلها؛لأن هذا العطف"يؤذن باختلاف المعطوف والمعطوف عليه، ويكفي في الاختلاف بينهما اختلاف المفهومين والحالين فيكون ذهاب غيظ القلوب مساوياً لشفاء الصدور، فيحصل تأكيد الجملة الأولى بالجملة الثانية، ويجوز أن يكون المراد بشفاء الصدور ما يحصل من المسّرة والانشراح بالنصر، والمراد بذهاب الغيظ استراحتهم من تعب الغيظ، وتحرّق الحقد" (٢)

وفي قوله تعالى:

١١ - ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾

قال البيضاوي في سبب وصل قوله تعالى:"(ولم يتخذوا) عطف على (جاهدوا) داخل في الصلة." (٣)

(١) حاشية القونوي:١٧٤/٩

(٢) تفسير التحرير والتنوير:١٣٦/١٠

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٣٩٧/١

قال أحد شراحه:"والجامع بينهما خيالي ،إذ المجاهدة في سبيله تعالى، وعدم اتخاذ الوليجة مما يجامع في الخيال،وقد جُوِّز الحال ،ولم يلتفت المصنف إليه لأصالة العطف"(١)

وفي قوله تعالى:

١٢-﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ شَـٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَـٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ ﴾

فُصلت جملة:(أولئك حبطت أعمالهم)عمّا قبلها؛ لأنها جاءت ابتداءً ذمٍّ لهم. (٢)

كما وُصلت جملة:(وفي النار هم خالدون)، بجملة:(حبطت أعمالهم) بخلاف الغالب لأنّها:"جاءت خبراً آخر لأولئك.(٣)

وفي قوله تعالى:

١٣-﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ ﴾

فُصلت جملة :(إنما يعمر مساجد الله)، للاستئناف البياني"فلما اقتضت جملة: (ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله)(٤)إقصاء المشركين عن العبادة في المساجد ،كأنها أثارت سؤالاً في نفوس السامعين أن يسألوا من هم الأحقّاء بأن يعمروا المساجد؟، فكانت هذه الجملة كالجواب على هذا التساؤل" (٥)فالفصل في هذه الآية لشبه كمال الاتصال.

(١) حاشية القونوي:١٧٧/٩

(٢) يُنظر: تفسير التحرير والتنوير:١٤١/١٠

(٣) يُنظر:حاشية القونوي:١٧٩/٩

(٤) أي : في الآية التي قبلها.

(٥) تفسير التحرير والتنوير:١٤١/١٠بتصرف.

وفي قوله تعالى:

١٤-﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾﴾

فُصلت جملة :(لايستوون)عما قبلها؛ لأنها جاءت"مستأنفة استئنافاً بيانياً ،لبيان ما يُسأل عنه من معنى الإنكار الذي في الاستفهام بقوله: (أجعلتم)" [(١)]وسبب الفصل كما في سابقتها شبه كمال الاتصال.

وفي قوله تعالى:

١٥-﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾

قال البيضاوي في قوله تعالى:(أعظم درجة عند الله) أي:"أعلى رتبة وأكثر كرامة ممن لم تُستجمع فيه هذه الصفات،أو من أهل السقاية والعمارة عندكم"[(٢)] وهي إشارة إلى ما في الآية التي قبلها .

قال أحد شراحه:"(قوله: أعلى رتبة وأكثر كرامة)أشار: إلى أن هذا القول الكريم، استئناف لبيان علو مراتبهم بعد بيان عدم تساويهم[(٣)]،وإنما لم يكتف به مع أنّه مغنٍ عن الأول لوجود ادعاء التساوي فرد صريحا ثم أخبر ماهو الواقع تنصيصاً "[(٤)]

---

(١) تفسير التحرير والتنوير:١٤٦/١٠

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٣٩٩/١

(٣) في الآية التي قبلها

(٤) حاشية القونوي:١٨٣/٩

وقيل وُصلت جملة :(وأولئك هم الفائزون) بجملة (أعظم درجة)أي:"أعظم وهم أصحاب الفوزوتعريف المسند باللام مفيد للقصر، وهو قصر ادّعائي للمبالغة في عظم فوزهمحتىّ إن فوز غيرهم بالنسبة إلى فوزهم يُعَدّ كالمعدوم،والإتيان باسم الإشارة للتنبيه على أنهّم استحقوا الفوز لأجل تلك الأوصاف التي ميزّتهم: وهي الإيمان والهجرة والجهاد بالأموال والأنفس" (١)

وفي قوله تعالى:

١٦-﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَاۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾

فُصلت جملة: (إن الله عليم حكيم)عمّا قبلها؛ لأنها جاءت" تعليلا لقوله تعالى: (وإن خفتم عَيلَة)أيّ :إنّ الله يغنيكم؛لأنّه يعلم ما لكم من المنافع من وفادة القبائل، فلمّا منعكم من تمكينهم من الحجّ لم يكن تاركاً منفعتكم فقَدر غناكم عنهم بوسائل أخرى" (٢)

وفي قوله تعالى:

١٧-﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾

قال البيضاوي جاءت جملة:(من الذين أوتوا الكتاب)بيانٌ لجملة:(الذين لا يؤمنون)" (٣)

(١) تفسير التحرير والتنوير: ١٤٨/١٠

(٢) السابق: ١٦٢/١٠

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٤٠٢/١

" وبهذا البيان ظهر وجه تخصيص الإيمان بالله وباليوم الآخر بالذكر وهو: أنهم لم يكونوا مؤمنين بما زعموا أنهم آمنوا به فضلا عن أنهم لم يدعوا الإيمان به(ولا يحرمون)[1] أي: لا يعتقدون حرمته ولا يعاملون معاملة الحرمة"[2]

وفي قوله تعالى:

١٨- ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾﴾

جاء الوصل بين جملة:(وقالت اليهود)،و جملة:(وقالت النصارى)؛لاتحادهما في المسند وهو الفعل(قالت).

كما فُصلت جملة:(ذلك قولهم بأفواههم) عما قبلها لكونها" تأكيداً لنسبة هذا القول إليهم ونفي للتجوز عنها، أو إشعار بأنه قول مجرد عن برهان، وتحقيق مماثل للمهمل الذي يوجد في الأفواه ولا يوجد مفهومه في الأعيان." [3]

والمقصود من نفي التجوز عنها أي: "دفع احتمال كون القائل بعض أتباعهم"[4]

وفي قوله تعالى:

١٩- ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾﴾

---

(١) التوبة(٢٩)

(٢) حاشية القونوي:١٩٩/٩

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤٠٢/١

(٤) حاشية القونوي:٢٠٥/٩

عُطفت الجملة المضارعية:(ويصدون) على الجملة المضارعية قبلها:(ليأكلون أموال الناس) ،لاتحادهما في المسند إليه، وهو هنا (واو الجماعة).

قال القونوي في معنى هذه الآية:"(ويصدون)أي: يمنعون النّاس عن دينه تعالى،إذفيه إشارة إلى فرط شغفهم إلى حبّ الجاه، كما أن قوله تعالى:(ليأكلوا أموال الناس)إشارة إلى كمال حرصهم على المال فيمنعون الخلق عن متابعة الرسول_ صلى الله عليه وسلم_للخوف من انحطاط رتبتهم وانعزالهم عن مناصبهم، وبهذا البيان ظهر أن الجامع بين المتعاطفين خيالي وقيل:إنّه لازم، والمعنى : أنهم يصدون عنه بأكلهم الأموال بالباطل فالجامع حينئذٍ عقليّ والأول أولى؛ لإفادته كونهم مشغوفين بحب المال والجاه كما أشير إليه في التفسير الكبير"[1]

وفي قوله تعالى:

٢٠-﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾

جاء قوله تعالى:(إلا تنصروه)مستئنافاً بيانياً لقوله تعالى: (ولا تضروه شيئاً والله على كل شيء قدير)[2]؛ لأنّ نفي أن يكون قعودهم عن النفير مُضرّاً بالله ورسولِه، يثير سؤالاً عن حصول النصر بدون نصير، فبينّ بأنّ الله ينصره كما نصره حين كان ثاني اثنين لا جيش معه فالذي نصره حين كان ثاني اثنين قدير على نصره وهو في جيش عظيم، فتبينّ أنّ تقدير قعودهم عن النفير لا يضرّ الله شيئاً "[3]

وجاءت جملة: (وأيده بجنود) معطوفة على جملة :(فأنزل الله سكينته عليه)عطفٌ تفسير

---

(١) حاشية القونوي:٢١٢/٩

(٢) في الآية السابقة لها(٣٩)

(٣) تفسير التحرير والتنوير:٢٠٠/١٠ -٢٠١

،فيكون المراد بالجنود: الملائكة الذين ألقوا الحيرة في نفوس المشركين فصرفوهم عن استقصاء البحث عن النبي ــصلى الله عليه وسلمــ، وإكثار الطلب وراءه والترصّد له في الطرق المؤدّية والسبل الموصلة، لا سيما أنّه قصد يثرب مُهاجَرَ أصحابه، ومدينة أنصاره،فكان سهلاً عليهم أنْ يرصدوا له طرق الوصول إلى المدينة"(١)

كما أن جملة:(وجعل كلمة الذين كفروا السفلى) معطوفة على الماضوية قبلها وهي: (وأيده).

وفي قوله تعالى:

٢١-﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱرۡتَابَتۡ قُلُوبُهُمۡ فَهُمۡ فِي رَيۡبِهِمۡ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾﴾

قال ابن عاشور في سبب فصل جملة:(لايستأذنك الذين)عمّا قبلها،لأنها" واقعة موقع البيان لجملة:(حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين)(٢)، وموقع التعليل لجملة:(لم أذنت لهم)، أوهي استئناف بياني لما تثيره جملة:(حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين) والاعتبارات متقاربة ومآلها واحد" (٣)

كما قال في سبب فصل قوله تعالى:(إنما يستأذنك)عمّا قبلها:"الجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً نشأ عن تبرئة المؤمنين(٤) من أن يستأذنوا في الجهاد ببيان الذين شأنهم الاستئذان في هذا الشأن، وأنّهم الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر في باطن أمرهم،لأنّ انتفاء إيمانهم ينفي

---

(١) تفسير التحرير والتنوير: ٢٠٤/١٠

(٢) في الآية التي قبلها

(٣) تفسير التحرير والتنوير:٢١١/١٠

(٤) في الآية التي قبلها(٤٤)

رجاءهم في ثواب الجهاد، فلذلك لا يُعرضون أنفسهم له"(١)

وقال القونوي في سبب وصل جملة:(وارتابت قلوبهم)بما قبلها:"عطفٌ على الصلة عطف العلة على المعلول أي عدم إيمانهم سببٌ عن ارتيابها، وإنما أُسند إلى القلوب مع أن ماهو له ذواتهم؛ لأنها مقر الريب والشك والسوء، كما أنها مقر التصديق وحسن الاعتقاد "(٢)

وقيل:"عَطف (وارتابت قلوبهم) على الصلة وهي: (لا يؤمنون بالله واليوم الآخر) يدل على أنّ المراد بالارتياب: الارتياب في ظهور أمر النبي _صلى الله عليه وسلم_، فلأجل ذلك الارتياب كانوا ذوي وجهين معه،فأظهروا الإسلام ،لئلا يفوتهم ما يحصل للمسلمين من العز والنفع، على تقدير ظهور أمر الإسلام،وأبطنوا الكفر حفاظاً على دينهم الفاسد، وعلى صلتهم بأهل ملّتهم"(٣)

وفي قوله تعالى:

٢٢-﴿وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾

جاءت جملة:(لوخرجوا)مفصولة عمّا قبلها؛ لأنها" استئناف بياني لجملة:(كره الله انبعاثهم فثبطهم)؛ لبيان الحكمة من كراهية الله انبعاثَهم، وهي إرادة الله سلامة المسلمين من أضرار وجود هؤلاء بينهم، لأنّهم كانوا يضمرون المكر للمسلمين فيخرجون مرغمين، ولا فائدة في جيش يغزو بدون اعتقاد أنّه على الحقّ " (٤)

---

(١) تفسير التحرير والتنوير:١٠/٢١٢

(٢) حاشية القونوي:٩/٢٣٩-٢٤٠

(٣) تفسير التحرير والتنوير:١٠/٢١٣

(٤) السابق:١٠/٢١٦

وفي قوله تعالى:

٢٣-﴿ قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾

قال البيضاوي في سبب الفصل في قوله تعالى:(إنكم كنتم قوما فاسقين)"تعليل له على سبيل الاستئناف"[١]

علق عليه أحد شراحه بقوله:"(قوله تعليل له) أي: تعليل لعدم تقبل إنفاقهم على الاستئناف كأنه قيل:ماعلة عدم قبول نفقاتهم؟ فأُجيب بأنّ علته: فسقهم أي: خروجهم عن طاعة الله بكفرهم المبطن في قلوبهم"[٢]

وقد أفاد ابن عاشور من البيضاوي، فقال في سبب الفصل،لأنّها:" تعليل لنفي التقبل ولذلك وقعت فيها(إنَّ)، المفيدة لمعنى فاء التعليل؛لأن الكافر لا يُتقبل منه عمل البرّ"[٣]

وفي قوله تعالى:

٢٤-﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾

جاء قوله تعالى:(ولايأتون الصلاة)وما عُطف عليه، وهو قوله تعالى:(ولاينفقون إلا وهم كارهون):"معطوف على (كفروا)،وتغيير الأسلوب إلى صيغة المستقبل، أي: في قوله تعالى:(ولايأتون)يُحتمل أن يكون لإفادة الاستمرار، أو لحاية الحال الماضية واستحضارها"[٤]

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤٠٨/١

(٢) حاشية ابن التمجيد:٢٥٢/٩

(٣) تفسير التحرير والتنوير:٢٢٦/١٠

(٤) حاشية ابن التمجيد:٢٥٢/٩

وفي قوله تعالى:

٢٥-﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾

عُطفت الجملة الشرطية في قوله تعالى:(وإن لم يعطوا إذا هم يسخطون)، على الجملة الشرطية التي قبلها في قوله تعالى:(فإن أعطوا منها رضوا)، والجامع التضاد كما هو ظاهر.

وفي قوله تعالى:

٢٦-﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾

وصلت جملة:(وقالوا حسبنا الله) حيث جاءت عطف على جملة:(رضوا)"[١]

كما فُصلت جملة:(سيؤتينا الله من فضله)عمّا قبلها،لأنها:" استئناف من مقول القول"[٢]

وقيل: جاءت جملة: (سيؤتينا الله من فضله) مفصولة عمّا قبلها لأنها:" بيان لجملة: (حسبنا الله) لأنّ كفايتهم تقتضي تعهّد المكفي بالعوائد ودفع الحاجة"[٣]

كذلك فُصلت جملة:(إنا إلى الله راغبون)عمّا قبلها لأنها:" تعليل، أي:لأنّنا راغبون فضله"[٤]

(١) حاشية القونوي:٢٥٧/٩بتصرف.

(٢) السابق بصفحته

(٣) تفسير التحرير والتنوير:٢٣٤/١٠

(٤) السابق بصفحته

وفي قوله تعالى:

٢٧-﴿ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾

قال ابن التمجيد في سبب الفصل في قوله تعالى: (قد كفرتم)، عن قوله تعالى:(لاتعتذروا)"لأنها خبرية، وماقبلها:(لاتعتذروا) إنشائية، لذا وجب الفصل"[١]
وقيل فُصلت جملة: (قد كفرتم بعد إيمانكم) لأنها:" في موضع العلّة من جملة: (لا تعتذروا) فهي تعليل للنهي المستعمل في التسوية وعدم الجدوى"[٢]

وفي قوله تعالى:

٢٨-﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾

جاءت جملة:(يأمرون بالمنكر)عطفٌ على جملتي:(وينهون عن المعروف)،(ويقبضون أيديهم) للتناسب بينها.

وفي قوله تعالى:

٢٩-﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ هِيَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾

قيل في سبب فصل جملة:(وعد الله)عمّا قبلها؛ على اعتبار أنها:"استئنافٌ بياني

(١) حاشية ابن التمجيد:٢٧٤/٩

(٢) تفسير التحرير والتنوير:٢٥٢/١٠بتصرف.

ناشيء عن قوله تعالى: (إن المنافقين هم الفاسقون)[1]؛ لأنها مبيِّنة لجملة: (فنسيهم)[2] لأن الخلود في جهنم ،واللعن بيان للمراد من نسيان الله إياهم"[3]

وفي سبب الوصل في قوله تعالى:(ولهم عذاب مقيم)، قيل إنه:"يدل على نوع آخر من العذاب يزيد عليها جزاء"[4] ولذا قال البيضاوي:"وفيه دليل على عظم عذابها"[5]

وفي قوله تعالى:

٣٠- ﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ۖ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾

فُصلت جملة :(أتتهم رسلهم) عما قبلها لأنها:"تعليل، أو استئناف بياني نشأ عن قوله تعالى:(نبأ الذين من قبلهم) أي : أتتهم رسلهم بدلائل الصدق والحق"[6]

وفي قوله تعالى:

٣١- ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾

قال البيضاوي في قوله تعالى:(والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض):هي: "في مقابلة

---

(١) في الآية التي قبلها(٦٧)

(٢) في آية(٦٧)

(٣) تفسير التحرير والتنوير:١٠/٢٥٥

(٤) حاشية القونوي:٩/٢٧٦

(٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:١/٤١١

(٦) تفسير التحرير والتنوير:١٠/٢٦٣

قوله تعالى:(المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض)"[١]

قال أحد شراحه أيّ :"هذه الجملة معطوفة على جملة:(والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) والجامع بينهما شبه التضاد"[٢]

وأضاف ذاكراً التقابل بين هذه الآية، والآية التي أشرنا إليها آنفا[٣]فقال:"كما أنّ قوله تعالى:(يأمرون بالمعروف) في مقابلة:(يأمرون بالمنكر)و(يقيمون الصلاة) في مقابلة (نسوا الله) و(يؤتون الزكاة) في مقابلة(يقبضون أيديهم)و(يطيعون الله ورسوله) في مقابلة وصف المنافقين، أيّ :لا بكمال الخروج عن طاعته"[٤]كما هو حال المنافقين.

والذي يظهر لي هنا في هذه الآية أن جملة:(يأمرون بالمعروف):بيان للتي قبلها في قوله تعالى:(بعضهم أولياء بعض)، ولذلك فُصلت عنها.

ثم عُطفت عليها جملة:(وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله)، وهي جمل مضارعية، والمسند إليه فيها واحد وهو:(واو الجماعة)كما هو ظاهر.

وفُصلت جملة: (إنّ الله عزيز حكيم)عمّا قبلها لأنها:" تعليل لجملة :(سيرحمهم الله) أي: أنّه تعالى لعزّته ينفع أولياءه وأنّه لحكمته يضع الجزاء لمستحقّه" [٥]

وفي قوله تعالى:

٣٢-﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾

(١) في الآية (٦٧)

(٢) حاشية القونوي:٢٨٠/٩

(٣) الآية(٦٧)

(٤) حاشية القونوي:٢٨٠/٩

(٥) السابق بصفحته.

فُصلت جملة:(وعدالله المؤمنين والمؤمنات)عمّا قبلها: "للاستئناف البياني الناشيء عن قوله تعالى: (أولئك سيرحمهم الله)" (١)

وفي قوله تعالى:

٣٣-﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ ﴾

فُصلت جملة:(يحلفون)عمّا قبلها لأنها جاءت"مستأنفة استئنافا بيانيا، يثيره الأمر بجهادهم(٢)، مع مشاهدة ظاهر أحوالهم من التنصل،ممانُقل عنهم ،وقد تكون الجملة في محل التعليل للأمر بالجهاد إن اعتبر المقصود منها قوله تعالى:(ولقد قالوا كلمة الكفر)وأن ذلك إنما أُخّر للاهتمام بتكذيب أيمانهم ابتداء"(٣)

وفي قوله تعالى:(وهموا بما لم ينالوا) قيل:"هوعطف على(قالوا) وفاعله غير فاعل الأوّل كما يظهر من الحكاية ،إلا أن الضمير في كلا الفعلين راجع إلى المنافقين باعتبار تحقق الفعل الأوّل في ضمن بعض، والفعل الآخر في ضمن بعض آخر باعتبار المباشرة مع تحقق الرضا في جميعهم، ومثل هذا كثير في استعمالهم"(٤)

وفي قوله تعالى:

٣٤-﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾

(١) تفسير التحرير والتنوير: ٢٦٣/١٠

(٢) في قوله تعالى:(جاهد الكفار والمنافقين) في الآية التي قبلها(٧٣)

(٣) تفسير التحرير والتنوير: ٢٦٨/١٠

(٤) حاشية القونوي: ٢٨٥/٩

و ُصلت جملة:(ولاتقم على قبره) بجملة:(ولاتصل على أحد منهم مات أبدا)

أما جملة: (إنهم كفروا بالله ورسوله)فقد فُصلت عم ّا قبلها لأنها:"تعليل للنهي" (١)

هذه الجملة:"استئناف لبيان علة النهي عن صلاة من مات منهم، أو لبيان أبدية موته فكأن سائلاً قال:ماعلت النّهي عن صلاته؟فأُجيب بأنهم كفروا"(٢)

وفي قوله تعالى:

٣٥-﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾

ع ُطفت جملة: (وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين) على جملة:(استأذنك)"لما بينهما من المغايرة في الجملةبزيادة في المعطوف؛لأن الاستئذان مجمل، وقولهم فيه بيان ما استأذنوا فيه وهو القعود" (٣)

وفي قوله تعالى:

٣٦-﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾

فُصلت جملة: (رضوا بأن يكونوا مع الخوالف)عم ّا قبلها ، وهي جملة:(وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين)(٤)لأنها استئنافٌ قُصِد منه التعجب من دناءة نفوسهم وقلة رجولتهم بأنّهم رضوا لأنفسهم بأنْ يكونوا تبعا للنساء" (٥)

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤١٦/١

(٢) حاشية ابن التمجيد:٣٠٢/٩

(٣) تفسير التحرير والتنوير:٢٨٩/١٠

(٤) آية(٨٦)

(٥) تفسير التحرير والتنوير:٢٨٩/١٠

وفي قوله تعالى:

٣٧- ﴿ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ ﴾

فُصلت جملة:(أعد الله لهم جنات) عمّا قبلها؛ لأنها جاءت:"بياناً لما لهم من الخيرات الأخروية"[١]

وهذا ما يُسمى: شبه كمال الاتصال، فكأنّه إذا قيل:(أولئك لهم الخيرات)سأل سائل: ما تلك الخيرات المعدة لهم؟ فيُجاب: أعد الله لهم جنات.[٢]

وهذا ما ذكره ابن عاشور أيضا بقوله:" استئناف بياني لجواب سؤال ينشأ عن الإخبار بـ(وأولئك لهم الخيرات)"[٣] فَفُصلت عمّا قبلها لأن السؤال لا يُعطف على جوابه.

وفي قوله تعالى:

٣٨- ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ ﴾

جاءت جملة:(ليس على الضعفاء)"استئناف بياني لجواب سؤال مُقدّر، ينشأ عن تهويل القعود عن الغزو، وما توجّه إلى المخلّفين من الوعيد[٤] استيفاء لأقسام المخلفين من ملوم ومعذور من الأعراب أو غيرهم"[١]

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٤١٦/١

(٢) يُنظر: حاشية ابن التمجيد: ٣٠٥/٩

(٣) تفسير التحرير والتنوير: ٢٨٩/١٠

(٤) في الآية التي قبلها في قوله تعالى:(سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم) ٩٠

كما فُصلت جملة: (ما على المحسنين من سبيل) عمّا قبلها لأنها:" واقعة موقع التعليل؛ لنفي الحرج عنهم ،والمعنى: ليس على الضعفاء،ولا على من عُطف عليهم حرج، إذا نصحوا لله ورسوله؛لأنهّم محسنون غير مسيئين،وما على المحسنين من سبيل، أي: مؤاخذة أو معاقبة" (٢)

وفي قوله تعالى:

٣٩-﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾﴾

سبب الفصل في قوله تعالى:(إنما السبيل):" استئناف لبيان ماهو السبب لاستئذانهم من غير عذر ،وهو رضاهم بالدناءة ،والانتظام في جملة الخوالف إيثارا للدعة"(٣)

وفي قوله تعالى:

٤٠-﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾﴾

سبب الفصل في قوله تعالى:(لن نؤمن لكم) كونها "استئناف تعليلي ،وقع جواباً عن السؤال عن سبب خاص"(٤)

وقال القونوي في سبب فصل جملة:(قد أنبأنا) عمّا قبلها لأنها:" استئناف وقع في معرض بيان علة انتفاء تصديقهم؛لأنّ الله تعالى إذا أوحى إلى رسوله –صلى الله عليه

(١) تفسير التحرير والتنوير:١٠/٢٩٤

(٢) السابق بصفحته

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:١/٤١٧

(٤) حاشية القونوي:٩/٣١٢

وسلم-الإعلام بأخبارهم وأحوالهم وما في ضمائرهم من الشر والفساد لم يستقم مع ذلك تصديقهم في معاذيرهم"[١]

وقد تبعه ابن عاشور بقوله:" لأنها تعليل لنفي تصديقهم، أي: قد نبأنا الله من أخباركم بما يقتضي تكذيبكم" [٢]

وفي قوله تعالى:

٤١ -﴿ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾

قال البيضاوي في سبب الفصل في قوله تعالى:(إنهم رجس)لأنه :"علة للإعراض من تمام التعليل لا ينفع فيهم التوبيخ في الدنيا"[٣] وتبعه ابن عاشور بقوله :"تعليل للأمر بالإعراض" [٤]

وفي قوله تعالى:

٤٢ -﴿ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِندَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ ۚ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾ ﴾

قال البيضاوي في سبب الفصل في قوله تعالى:(ألا إنها قربة لهم):"على الاستئناف مع حرف التنبيه"[٥]

---

(١) حاشية القونوي :٩/٣١٣

(٢) تفسير التحرير والتنوير:١١/٧

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:١/٤١٨

(٤) تفسير التحرير والتنوير:١١/٩

(٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:١/٤١٩

قال أحد شراحه:"كأنّه قيل:هل تكون صدقتهم قربة كما اعتقدوا؟ فأُجيب على ذلك بمؤكدات"(١)

وقيل فُصلت؛ لأنها جاءت"مستأنفة ،مسوقة مساق البشارة لهم بقبول ما رجوه"(٢)

كذلك فُصلت جملة:(سيدخلهم الله في رحمته)لأنّ هذه الجملة كالتأكيد لما قبلها ولذا اُختير الفصل"(٣)

وقيل فُصلت لأنها:"واقعة موقع البيان لجملة :(إنها قربة لهم)؛ لأن القربة عند الله هي الدرجات العلى ورضوانه، وذلك من الرحمة، والقربة عند صلوات الرسول_صلى الله عليه وسلم_ إجابة صلاته، والصلاة التي يدعو لهم طلب الرحمة، فمآل الأمرين هو إدخال الله إياهم في رحمته" (٤)

كما فصلت جملة:(إنّ الله غفور رحيم)عمّا قبلها؛لأنها جاءت توكيداً أو تعليلاً قال ابن عاشور:"أثبت بحرف التأكيد للاهتمام بهذا الخبر، أي: غفور لما مضى من كفرهم، رحيم بهم يفيض النعيم عليهم"(٥)

وفي قوله تعالى:

٤٣ -﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾

(١) حاشية القونوي:٣٢١/٩

(٢) تفسير التحرير والتنوير ١٦/١١

(٣) حاشية القونوي:٣٢١/٩

(٤) السابق بصفحته.

(٥) تفسير التحرير والتنوير:١٦/١١

فُصلت جملة :(نحن نعلمهم)؛"لأنها مستأنفة والخبر مستعمل للوعيد"[1]

كما فُصلت جملة: (سنعذبهم مرتين)؛لأنها:" استئناف بياني للجواب عن سؤال يثيره قوله تعالى: (نحن نعلمهم)، وهو: أن يسأل سائل: عن أثر كون الله تعالى يعلمهم، فأعلم أنّه سيعذبهم على نفاقهم ولا يُفلتهم منه عدمُ علم الرسول _ عليه الصلاة والسلام _بهم" [2]

وفي قوله تعالى:

٤٤ -﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ ﴾

يرى بن عاشور أن جملة :(ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة)فُصلت؛"لأنها جاءت استئنافاً بيانياً ناشئاً عن التعليل بقوله تعالى:(إن صلوتك سكن لهم)[3]لأنه يثُير سؤالَ من يسأل عن موجب اضطراب نفوسهم بعد أن تابوا فيكون الاستفهام تقريراً مشوباً بتعجب من ترددهم في قبول توبتهم،والمقصود منه التذكير بأمر معلوم، لأنهم جروا على حال نسيانه"[4]

ووصلت جملة:(ويأخذ الصدقات)بجملة(يقبل التوبة) كما وصلت جملة: (وأن الله هو التواب الرحيم) بجملة: (أن الله هو يقبل التوبة)؛"تنبيهاً على أنه كما يجب العلم بأنّ الله يفعل ذلك يجب العلم بأن من صفاته العُلى أنّه التّواب الرحيم، أي: الموصوف بالإكثار من قبول توبة التائبين، الرحيم لعباده، ولا شك أن قبول

---

(١) تفسير التحرير والتنوير: ٢٠/١١

(٢) السابق بصفحته

(٣) في الآية التي قبلها(١٠٣)

(٤) تفسير التحرير والتنوير: ٢٤/١١

التوبة من الرحمة، فتعقيب (التواب)بـ (الرحيم) في غاية المناسبة" [1]

وفي قوله تعالى:

٤٥ - ﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾

قال النحاس: إن قوله تعالى:(وآخرون) معطوف[2] والتقدير:ومنهم آخرون مرجون لأمر الله. [3]

وقال ابن عاشور"هذا فريق آخر عُطِف خبره على خبر الفريق الآخرين"[4]

وفي قوله تعالى:

٤٦ - ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾

قال النحاس"إنّ قوله تعالى:(والذين اتخذوا) معطوف[5] أي: ومنهم الذين اتخذوا مسجدا ضرارا"[6]

قال البيضاوي:"(والذين اتخذوا مسجداً ضراراً) عطف على (وآخرون مرجون)"[7]

---

(١) تفسير التحرير والتنوير:٢٥/١١

(٢) على قوله تعالى:(وآخرون اعترفوا) آية(١٠٢)

(٣) يُنظر:إعراب القرآن للنحاس:١٣٣/٢

(٤) تفسير التحرير والتنوير:٢٦/١١

(٥) لعل مراده أنها معطوفة على قوله تعالى:"وممن حولكم من الأعراب..." آية(١٠١)

(٦) إعراب القرآن للنحاس:١٣٣/٢

(٧) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤٢٠/١

قال أحد شراحه:"(قوله عطف على آخرون) الظاهر من عطفه على آخرون أنه من عطف المفردات فحينئذ يكون خبراً وآخرون خبره، وأما إذا جعل مبتدأ خبره محذوف يكون من عطف الجمل،فيكون عطفاً لقصة مسجد الضرار الذي أحدثه المنافقون على سائر قصصهم" (١)

وفي قوله تعالى:

٤٧ -﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾

فُصلت جملة: (يقاتلون في سبيل الله) عما قبلها؛ لأنها"مستأنفة استئنافاً بيانياً ؛لأن اشتراء الأنفس والأموال لغرابته في الظاهر يثير سؤال من يقول: كيف يبذلون أنفسهم وأموالهم؟ فكان جوابه (يقاتلون في سبيل الله)" (٢)

وفي قوله تعالى:

٤٨ -﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾

عُطفت جملة:(وما كان استغفار إبراهيم لأبيه)،على جملة:(ماكان للنبي) السابقة لها" وهي من تمام الآية باعتبار ما فيها من قوله: (ولو كانوا أولي قربى) إذ كان شأن مالا

(١) حاشية ابن التمجيد:٩/٣٣٢

(٢) تفسير التحرير والتنوير:١١/٣٨

ينبغي لنبينا محمد _صلى الله عليه وسلم _أن لا ينبغي لغيره من الرسل _عليهم الصلاة والسلام_ لأن معظم أحكامهم متحدة إلا ما خص به نبينا من زيادة الفضل"[١]

كما فُصلت جملة إن(إبراهيم لأواه حليم)عما سبقها،لأنها:"استئناف ثناء على إبراهيم-عليه السلام-" [٢]

وفي قوله تعالى:

٤٩-﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ ﴾

قال البيضاوي في قوله تعالى:(حتى يتبين لهم):"كأنه بيان عذر للرسول_صلى الله عليه وسلم_في قوله لعمه، أو لمن استغفر لأسلافه المشركين قبل المنع"[٣]

وقيل:جملة:(و ما كان الله ليضل قوما) عطف على جملة: (وما كان استغفار إبراهيم) للاعتذار عن النبي وإبراهيم – عليهما الصلاة والسلام – في استغفارهما لمن استغفرا لهما من أولي القربى فعلهما ذلك ما كان إلا رجاء منهما هُدى من استغفرا له، وإعانة له إن كان الله يريده، فلما تبين لهما الثابتُ على كفره :إما: بموته عليه ،أو باليأس من إيمانه تركا الاستغفار له، وذلك كله بعد أن أبلغا الرسالة ونصحا لمن استغفرا له"[٤]

(١) تفسير التحرير والتنوير:١١/٤٥

(٢) السابق:١١/٤٦

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:١/٤٢٣

(٤) تفسير التحرير والتنوير:١١/٤٧

وفي قوله تعالى:

٥٠- ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ١١٦ ﴾

قال البيضاوي في سبب الفصل في قوله تعالى:(إنّ الله له ملك السموات والأرض):

"لما منعهم من الاستغفار للمشركين وإن كانوا أولي قربى، وتضمن ذلك وجوب التبرؤ منهم رأساًبيّن لهم:أنّ الله مالك كلّ موجود، ومتولي أمره، ولا يتأتى لهم ولاية، ولانصرة إلا منه"[(1)]

وقدعلق عليه أحد شراحه بقوله:"فوجوب التبرؤ عن الاستغفار لانتفاء أهليتهم للمغفرة،فتضمن منع الاستغفار ذلك لايحتاج إلى البيان نعم قوله تعالى:"فلما تبين له أنه عدو الله تبرأ منه"[(2)]

يفيد التبرؤ عن أبيه رأسا كما بيناه آنفاً لكن ماادعاه المصنف غير ذلك"[(3)]

وفي قوله تعالى:

٥١- ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١١٧ ﴾فُصلت جملة: (إنه بهم رءوف رحيم)عمّا قبلها، لأنها" تعليل لما قبلها"[(4)]

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:١/٤٢٣

(٢) آية(١١٤)

(٣) حاشية القونوي:٩/٣٥٤

(٤) تفسير التحرير والتنوير:١١/٥١

وفي قوله تعالى:

٥٢- ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾

قال النحاس :"(ولايطؤن موطئاً عُطف على(لايُصيبهم)"[1]

ولعل السرّ في هذا العطف ما ذكره الرازي عند تفسير هذه الآية بقوله:" واعلم أنه تعالى لما منع من التخلف بين أنه لا يصيبهم في ذلك السفر نوع من أنواع المشقة إلا وهو يوجب الثواب العظيم عند الله تعالى، ثم إنه ذكر أموراً خمسة: أولها: قوله: (ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ) وهو شدة العطش يقال ظمئ فلان إذا اشتد عطشه، وثانيها: قوله: (ولانصب) ومعناه: الإعياء والتعب،وثالثها: (ولا مخمصة في سبيل الله) يريد: مجاعة شديدة يظهر بها ضمور البطن ومنه يقال: فلان خميص البطن، ورابعها: قوله: (ولا يطئون موطئاً يغيظ الكفار) أي: ولا يضع الإنسان قدمه،ولا يضع فرسه حافره، ولا يضع بعيره خفه بحيث يصير ذلك سبباً لغيظ الكفار، قال ابن الأعرابي: يقال غاظه وغيظه وأغاظه بمعنى واحد، أي أغضبه.

و خامسها: قوله: (ولا ينالون من عدو نيلاً)أي أسراً وقتلاً وهزيمة قليلاً كان أو كثيراً

(إلا كتب لهم به عمل صالح) أي: إلا كان ذلك قربة لهم عند الله، ونقول دلت هذه الآية على أن من قصد طاعة الله كان قيامه، وقعوده، ومشيته وحركته، وسكونه كلها حسنات مكتوبة عند الله"[2]

---

(١) إعراب القرآن للنحاس:١٣٧/٢

(٢) مفاتيح الغيب:١٧٨/١

وفي قوله تعالى:

٥٣-﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾﴾

عُطفت جملة:(ولا ينفقون)على جملة:(ولا ينالون)[1]وما بينهما اعتراض،ووجه الاعتراض للترغيب والمبادرة إليه ببيان أجر المذكورين، وإظهار أن المذكور هنا نوع مغاير لما قبله، إذ الإنفاق جهاد بالأموال، وهذا باعتبار الجزء الأول"[2]

كما عُطفت جملة:(ولا يقطعون)على ماقبلها(ولا ينفقون) للتناسب بينهما، فالمسند إليه(واو الجماعة) واحد، وكلاهما مضارعية.

وفي قوله تعالى:

٥٤-﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾

عُطفت جملة: (وهو رب العرش العظيم)، على جملة:(لا إله إلا هو)؛"للثناء بعظيم القدرة؛ لأن من كان ربّاً للعرش العظيم ثبت أنّه قدير؛لأنّه قد اشتهر أن العرش أعظم المخلوقات، ولذلك وصف بالعظيم، فالعظيم في هذه الآية صفة للعرش، فهو مجرور"[3]

(١) آية(١٢٠)

(٢)حاشية القونوي:٩/٣٦٥

(٣) تفسير التحرير والتنوير:١١/٧٤

نستخلص من كل ّ ماسبق أن القرآن الكريم قد يفصل بين معنيين،أو يربط بينهما، متخذاً الإيضاح وسيلة لإبراز جمال المعنى.

وهو في كل هذا يراعي إثارة عقول المخاطبين بمختلف درجات استيعابهم، وإثارة أنفسهم بمختلف نزعاتها، كما أن هذا المبحث في البلاغة ليس بمستقل بأدواته وطرقه عن غيره من فنون البلاغة كالقصر، أو التقديم والتأخير و غيرها،وهي جميعاً تتآزر لإبراز جمال المعنى في أبهى صوره الفنية .

الفصل الثاني

الجمل الحاليّة : أنواعها في السورة وأسرارها

ألحقَ علماءُ البلاغة الكلام في الجملة الحاليّة بالفصل والوصل؛ وذلك لكون الجملة الحاليّة تجري (بالواو) تارة، وبدونها تارة أخرى؛ "فكأن هذا تتميم لباب الفصل والوصل، وتكميل له" [(١)].

أضرب الحال:

تقسم الحال باعتبار دلالتها على هيئة صاحبها إلى قمسين :

١-الحال الثابتة : وهي التي تدل على صفة ملازمةٍ في صاحبها لا تفارقه.

٢-الحال المتنقلة: وهي الأصل وهي التي تبين هيئة صاحبها فترة مؤقتة ثم تفارقه بعدها. [(٢)]

أحوال الجملة الحاليّة وحكم الواو معها:

قال صاحب التلخيص عن أحوال الجملة الحاليّة وحكم الواو معها:

وكلٌّ من الضمير، والواو صالح للربط، والأصل الضمير بدليل المفرد والخبر، والنعت فالجملة إنْ خلت عن ضمير صاحبها: وجب الواو وكلّ جملة خاليةٍ عن ضمير ما يجوز أن ينتصب عنه حال يصح أن تقع حالاً عنه بالواو، وإلا المصدرة بالمضارع المثبت، فيمتنع دخول الواو، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦﴾ [(٣)] وإن كان المضارع منفيّاً ؛ فالأمران، وكذا إن كان ماضياً لفظاً ومعنى وإن كانت اسميّة: فالمشهور جواز تركها [(٤)] وقال عبد القاهر إنْ كان

---

(١) المطول: ٢٧١

(٢) يُنظر: المطول: ٢٧١ ومابعدها

(٣) المدّثر(٦)

(٤) المقصود هنا(الواو)

المبتدأ ضمير ذي الحال وجبت"[1]

صور من الجملة الحاليـة في السورة:

قال تعالى:

١- ﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨﴾ ﴾

قال البيضاوي في قوله تعالى: (وإن يظهروا عليكم)أي: "وحالهم: أنهم إن يظفروا بكم"[2]

قال أحد شراحه:" (وإن يظهروا)جملة حاليّة والواو رابطة مع الضمير، وذووا الحال المشركون المذكورون سابقا"[3]

كذلك رأى الشوكاني بقوله:"التقدير: كيف يكون لهم عهد عند الله وعند رسوله؟ والحال أنهم (إن يظهروا عليكم) بالغلبة لكم(لا يَرْقُبُوا) أي: لا يراعوا فيكم عهدا"[4]

والمستفهم عنه محذوف تقديره:(كيف تطمئنون) أو(كيف لا تقاتلونهم) وحالهم

(إن يظهروا عليكم) فتكون هذه الجملة الشرطية في محل نصب على الحال[5]، والواو هنا عاطفة[6] لاحالية؛لأنّ الجملة الحالية إذا جاء فعلها مضارعاً غير منفي امتنعت الواو.

---

(١) التلخيص:٢٠٠

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٣٩٦/١

(٣) حاشية القونوي:١٦٤/٩

(٤) فتح القدير:٣٣٩/٢ بتصرف.

(٥) الدر المصون:٤٤٨/٣

(٦) إعراب القرآن الكريم:١٨٨

والسر في تجردها من الواو؛ لأنها هي بنفسها الغرض الخاص الذي اتجه إليه السياق فاتصلت بالجملة التي هي قيد فيها،كأنها حال مفردة، كاتصال الصفة بالموصوف.

وفي قوله تعالى:

٢- ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ ﴾

قال البيضاوي في قوله تعالى:(لعلهم ينتهون) إنه متعلق بـ (فقاتلوا)(١)

قال أحد شراحه:" أي :حال من فاعل قاتلوا ،أي :قاتلوا راجين انتهاءهم"(٢)

نلحظ أن الجملة الحالية هنا تجردت من الواو، فأصبحت كأنها في حكم الحال المفردة وبهذا اتصلت بالجملة التي هي قيد فيها اتصالاً ذاتياً ، كما تتصل الصفة بالموصوف، فأصبحت هي بنفسها الغرض الخاص الذي يتجه إليه المعنى،وهذا ماأفاده قول القونوي:" قاتلوا راجين انتهاءهم".

وفي قوله تعالى:

٣ - ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾

جاءت جملة: (وهم صاغرون)"حال من ضمير (يعطوا)" (٣)

وهيجملة اسميّة، مقترنة بالواو، والسر في اقترانها بالواو يعلله قول الخطيب:"فثبت أن أصلها

(١) ينظر:أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٣٩٧/١

(٢) حاشية القونوي:١٧٢/٩

(٣) تفسير التحرير والتنوير:١٦٦/١٠

أن تكون بغير واو، لكن خولف هذا الأصل فيها إذا كانت جملة لأنها بالنظر إليها من حيث هي جملة مستقلة بالإفادة، تحتاج إلى مرابطها بما جُعلت حالاً عنه وكل واحد من الضمير، والواو صالح للربط، والأصل الضمير بدليل الاقتصار عليه في الحال المفردة والخبر والنعت"[1]

وفي قوله تعالى:

٤- ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾

قال ابن عاشور:" جاءت جملة :(وما أمروا) في موضع الحال من ضمير:

(اتخذوا أحبارهم)،وهي محطّ زيادة التشنيع عليهم وإنكار صنيعهم بأنّهم لا عذر لهم فيما زعموا؛لأنّ وصايا كتب الملّتين طافحة بالتحذير من عبادة المخلوقات ،ومن إشراكها في خصائص الإلٰهية" [2]

لقد جاءت الجملة الحالية الماضوية مقترنة بالواو، فدلت على تقدمها في الزمان على ما جُعلت قيداً له، فدخول الواو يشير إلى أن هذه الجملة مقررة في ذاتها سابقة في وجودها على زمن عاملها. [3]

وفي قوله تعالى:

٥- ﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾

---

(١) الإيضاح:١/٣/١٤٢

(٢) تفسير التحرير والتنوير:١٠/١٧٠

(٣)يُنظر:الواو ومواقعها في النظم القرآني:٤٧٧

قال الزمخشري في قوله تعالى:(يهلكون أنفسهم)إما أن يكون بدلاً [(١)] من (سيحلفون)أوحالاً بمعنى :(مهلكين)، والمعنى: أنهم يوقعونها في الهلاك بحلفهم الكاذب،وما يحلفون عليه من التخلف،ويحتمل أن يكون حالاً من قوله: (لخرجنا) ،أي:لخرجنا معكم وإن أهلكنا أنفسنا، وألقيناها في التهلكة بما نحملها من المسير في تلك الشقة" [(٢)]

وامتناع اقتران الحال بالواو؛ لأن الغرض متجه إلى إثبات الهلاك،لذا اتصلت بالجملة التي هي قيد فيها اتصالاً ذاتيا بلا روابط.

ومثلها الحال في قوله تعالى:

٦-﴿ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾

حيث جاءت جملة:(يبغونكم الفتنة)"حال من الضمير في (لأوضعوا)" [(٣)] فهي" حال مؤكدة في المعنى الأول؛ لقوله تعالى: (يبغونكم الفتنة)_أي: الذي ذكره_ وحال متنقلة في المعنى الثاني" [(٤)]

وفي قوله تعالى:

٧-﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾

(١) تبعه في ذلك البيضاوي، وابن التمجيد، والقونوي.يُنظر:أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤٠٦/١ وحاشية ابن التمجيد:٢٣٥/٩ وحاشية القونوي:٢٣٦/٩.

(٢) الكشاف:٤٨/٣

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤٠٧/١

(٤) حاشية القونوي٢٤٤/٩

جاءت جملة:(وهم كارهون)حالاً ، والمعنى: "والحالُ أنهم كارهون لذلك، أي: على رغم منهم"[1] وقيل: أي: "في حال كراهتهم لذلك "[2]

والسر في اقترانها بالواو ، لكونها اسمية فلها بعض الاستقلال فتحتاج إلى مايربطها بما جُعلت حالاً عنه.

والحال ذاته ينطبق على قوله تعالى:

٨- ﴿ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

حيث جاءت جملة(وهم فرحون) "حالٌ من الضمير في: (يقولوا) و(يتولوا)، لا في الأخير فقط لمقارنة الفرَحِ لهما معاً "[3]

ومثلها أيضا قوله تعالى:

٩- ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾

قال البيضاوي في قوله تعالى:(وهم كسالى) أي: "متثاقلين"[4] وقال أحد شراحه:"(وهم كسالى) جملة حاليّة مؤولة بالمفرد و هو هنا: متثاقلين"[5]

وجاء في الدر المصون أنّ قوله تعالى:(وهم كسالىٰ)، وقوله: (وهم كارهون)"كلتا الجملتين

---

(١) إرشاد العقل السليم:٧١/٣

(٢) روح المعاني:٣٠٤/٩/٥

(٣) إرشاد العقل السليم:٧٣/٣

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤٠٨/١

(٥) حاشية القونوي٢٥٣/٩ بتصرف.

حالٌ من الفاعل قبلها" [(١)] ولكونهما جملتان اسميتان، لهما بعض الاستقلال احتاجتا إلى مايربطهما بما جُعلتا حالاً عنه.

كذلك في قوله تعالى:

١٠- ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾

جاءت جملة:(وهم كافرون)"في موضع الحال من الضمير المضاف إليه؛لأنّه إذا زهقت النفس في حال الكفر فقد مات كافراً "[(٢)] ولكونها اسمية، لها بعض الاستقلال احتاجت إلى مايربطها بما جُعلت حالاً عنه، فجيء بالرابط، وهو هنا الواو.

و في قوله تعالى:

١١-﴿ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾

قال البيضاوي في معنى الآية الكريمة،أي:"لا تشتغلون باعتذاراتكم؛ فإنها معلومة الكذب قد أظهرتم الكفر بإيذاء الرسول ــصلى الله عليه وسلم ــوالطعن فيه بعد إظهاركم الإيمان" [(٣)]

وقال أحد شراحه:"(قوله قد أظهرتم الكفر)فسّر (كفرتم)بإظهار كم الكفر؛لأن (قد كفرتم)حال من فاعل (لا تعتذروا) واقعة في معرض التعليل للنهي عن الاعتذار" [(٤)]

فجاءت الحال هنا فعلاً ماضياً مقترناً بقد،ولم تقترن بالواو على أنه يجوز؛وذلك لإمكانة

(١) الدر المصون:٤٧٤/٣

(٢) تفسير التحرير والتنوير:٢٢٩/١٠

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤١١/١

(٤) حاشية ابن التمجيد:٢٧٤/٩

انضمام الفعل في جملة الحال إلى الفعل السابق له(تعتذروا) في إثبات واحد[١]؛و لأن الحال هي الغرض الذي يتجه إليه المعنىوذلك لأنها جاءت تعليلاً للنهي.

وفي قوله تعالى:

١٢-﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾

قال النحاس في قوله تعالى:(تولوا و أعينهم تفيض من الدمع)"الجملة في موضع نصب على الحال"[٢]

وقال البيضاوي:"حال من الكاف في (أتوك)بإضمار(قد) "[٣]

و قال أحد شراحه:"وقيل:(تولوا) مستأنف جواب سؤال مقدر، ولا يبعدأن يكون حالاً مقدراً "[٤]

ونلحظ هنا عدم اقتران الحال بالواو؛ وذلك لأنّ الجملة الحالية جاءت فعلاً مضارعاً غير منفي، والسر في ذلك يوضحه قول الشيخ عبد القاهر:"فاعلم أن كل جملة وقعت حالاً ، ثم امتنعت من الواو، فذاك لأجل أنك عمدت إلى الفعل الواقع في صدرها فضممته إلى الفعل الأول في إثبات واحد "[٥]

---

(١) يُنظر:الواو ومواقعها في النظم القرآني:٤٧٥

(٢) إعراب القرآن للنحاس:١٣٠/٢

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤١٧/١

(٤) حاشية القونوي:٣١٠/٩

(٥) دلائل الإعجاز:١٦٥

وفي قوله تعالى:

١٣- ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾

(يستبشر)أي: "يملأ السرور بشرته، فترى البريق، والفرحة، وكلها من علامات الاستبشار ومن يستبشر بآيات الله، فهو الذي يفهم منهاشيئاً جديداً؛ يُدخل السرور على نفسه ولذلك فهو يرتاح لنزول تكليفات إيمانية جديدة؛ليعظم، ويزداد ثوابه"(١)

فجاءت جملة:(وهم يستبشرون)"في محل نصب حال من الهاء في (فزادتهم)"(٢)

ولكونها اسمية، لها بعض الاستقلال احتاجت إلى مايربطها بما جُعلت حالاً عنه، فجيء بالواو والضمير للربط كما مرّ بنا.

وفي قوله تعالى

١٤- ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾

جاء في معنى قوله تعالى: (وماتوا وهم كافرون)أي:"واستحكم ذلك فيهم إلى أن يموتوا عليه"(٣) فجاءت جملة: (وهم كافرون)" حال من ضمير (ماتوا)" (٤)

ولكونها اسمية، احتاجت إلى مايربطها بما جُعلت حالاً عنه، فجيء بالواو على غرار

---

(١) تفسير الشعراوي:٥٥٩٣/٩

(٢ إعراب القرآن الكريم،محمد الطيب إبراهيم:٢٠٧

(٣) روح المعاني:٣٩٩/١٠/٥

(٤)تفسير تحرير التنوير:٦٦/١١

مثيلاتها في السورة.

مما سبق يتبين لنا أن الجملة الحالية حين تتجرد من الواو تصبح في حكم الحال المفردة، لذا تتصل بالجملة التي هي قيد فيها اتصالاً ذاتياً كما تتصل جملة الخبر بالمبتدأ، والصفة بالموصوف وعندها تكون هي الغرض الخاص الذي يتجه إليه المعنى.

أما حينما تدخل الواو عليها، فلايكون الغرض متجهاً إلى الحال بمفردهاوإنما يُقصد إلى أمرين على سبيل الاستقلال يجُمع بينهما بواو.

كذلك يتين لنا أن معيار الصلة الذاتية في قوتها يكمن في إمكانية انضمام الفعل في جملة الحال إلى الفعل السابق في إثبات واحد، فإذا أمكن ذلك لم تحتج الجملة إلى الربط بالواو، وإذا لم يمكن احتاجت إلى الواو.

الفصل الثالث

الإيجاز :أنواعه وأسراره البلاغية

توطئـة:

قال الخطيب:"الإيجاز أداءُ المقصود بأقلّ من عبارة المتعارف، والإطناب أداؤها بأكثر منها"[1]

وهو" ضربان: إيجاز القِصَر وهو ما ليس بحذف ،و إيجاز الحذف، والمحذوف إما جزءُ جملة،أو مضاف، أو موصوف، أوصفة،أو شرط،أو جواب شرط، أو جملة"[2].

وهذا المحذوف لابد أن يُستغنى عنه ويُفهم الكلام بدونه، كما أن هذا الحذف لابد له من قرينة تدل عليه.[3].

ويُسمى:(الإيجاز)، عند بعض العلماء (الإشارة): وهو حذف زيادات الألفاظ، وهو من أشرف أنواع الكلام، لا يبرع فيه إلا فرسان البلاغة حتى إنه لما سُئل أحدهم:ما البلاغة؟ أجاب: الإيجاز، قيل :وما الإيجاز؟قال:حذف الفضول وتقريب البعيد[4].

---

(١) التلخيص:٢٠٩ بتصرف

(٢) يُنظر:السابق:٢١٤-٢١٧

(٣) البلاغة فنونها وأفنانها:٤٩٥

(٤) يُنظر: الصناعتين:١٧٣.

أنواع الإيجاز:

الأول: إيجاز حذف:

وهو إسقاط كلمة أو جملة، أو أكثر من جملة؛ لدلالة فحوى الكلام على المحذوف. ولا يكون إلا فيما زاد معناه على لفظه، فهذا النوع يتنبه له من غير كبير كلفة.

وهو كما قال عنه ابن الأثير: "عجيب الأمر، شبيه بالسحر، وذاك أنك ترى فيه ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ماتكون مبيناً إذا لم تبين، وهذه جملة تنكرها حتى تخبر، وتدفعها حتى تنظر" [1]

والحذف لا يكون أبلغ من الذكر إلا إن فُهم المحذوف من خلال السياق بقرينة حتى تذهب فيه النفس كل مذهب، ومن هنا تكون بلاغة الإيجاز بالحذف.

الثاني: إيجاز القِصَر:

وهو :"ما ليس بحذف"[2] وقيل:"هو بناء الكلام على تقليل اللفظ، وتكثير المعنى من غير حذف"[3].

وهذا النوع من الإيجاز التنبه له ليس بالأمر السهل؛ لأنه يحتاج إلى فضل تأمّل، وطول تفكّر؛ لخفاء ما يستدل به عليه، ولا يستنبطه إلا من رسخت قدمه في ممارسة علم البيان.

ولكثرة النوع الأوّل؛ فإنّه كثير ما يمتزج بالنوع الثاني، فقد نرى في الآية الواحدة نوعي الإيجاز: الحذف، والقصر.

---

(١) المثل السائر:٢/٦١_٦٢.

(٢) التلخيص:٢١٤

(٣) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني:٧٠

كما يرى بعض البلاغيين: أنّ إيجاز القصر كثيراً مايكون مقترناً ببعض الصور البلاغيّة البيانيّة، كأنواع التشبيه، والمجاز، والكناية؛ لأنّ بعضها عبارة عن إشارات ورموز تُعبرّ عن معانٍ كثيرة، ولكني آثرت عدم الوقوف على شيء منها هنا؛ لوقوفي عند صور البيان في موضعها من هذا البحث، فلم أقف هنا خشية التكرار.

صور من الإيجاز في سورة التوبة:

من إيجاز القِصر في السورة قوله تعالى:

١- ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ شَـٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَـٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ ﴾

قال البيضاوي في قوله تعالى: (مَسَاجِدَ اللهِ) أي: "شيءٍ من المساجد فضلاً عن المسجد الحرام، وقيل: هو المراد وإنما جُمع لأنه قِبلة المساجد وإمامُها فعامره كعامر الجميع" (١)"

قال أحد شراحه: "(قوله وإنما جُمع، لأنه قبلة المساجد وإمامها) فيكون الكلام موجزاً إيجازاً بليغاً، إذ عُبرّ عن الجمع بلفظ الواحد"(٢)

ومنه أيضا قوله تعالى:

٢- ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾

قيل في قوله تعالى: (إنما المشركون نجس) أي: "لخبث باطنهم، أو لأنّه يجب أن يجتنب عنهم

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ١/٣٩٩

(٢) حاشية القونوي: ٩/١٧٨

كما يجتنب عن الأنجاس، أو لأنهم لا يتطهرون ولا يتجنبون عن النجاسات ، فهم ملابسون لها غالباً وفيه دليل على أنّ ما الغالب نجاسته نجس" (١)

و"الحصر المستفاد من (إنما) قصر المشركين على النجس" (٢)وفي القصر من الدلالة على بلاغة الإيجاز مالا يخفى،يُقاس عليه كلّ مامر معنا في هذا البحث من القصر.

أما إيجاز الحذف في السورة فمنه قوله تعالى:

٣-﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ ﴾

ففي قوله تعالى:(براءة من الله ورسوله) حُذف جزء من الجملة أي: (هذه براءة) فحذف المبتدأ، ويجوز أن تكون (براءة) مبتدأ لتخصيصها بصفتها والخبر (إلى الذين عاهدتم من المشركين)وقُرىء بنصبها على تقدير:(اسمعوا براءة)، والمعنى: أن الله ورسوله برئا من العهد الذي عاهدتم به المشركين" (٣)

وقد جاء الحذف هنا بدلالة الصناعة النحوية، فالابتداء بالنكرة لا يجوز، لذا لابد من تقدير مبتدأ محذوف، -إذا ما أغفلنا كونها نكرة موصوفة-واحتياجها إلى عامل ناصب، على قراءة النصب.

و قوله تعالى:

٤-﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ ﴾

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:١/٤٠١

(٢) حاشية القونوي:٩/١٩٥

(٣) يُنظر:أنوار التنزيل وأسرار التأويل:١/٣٩٤

قال النحاس في قوله تعالى:(وإن أحد من المشركين استجارك):"(استجارك)أي :من القتل"(١)

وقوله:(أحد) "مرتفع بفعل الشرط مضمراً يفسره الظاهر، تقديره: (وإن استجارك أحد استجارك) ولا يرتفع بالابتداء؛لأن (إنْ) من عوامل الفعل ،لا تدخل على غيره. والمعنى:وإنْ جاءك أحد من المشركين بعد انقضاء الأشهر،لا عهد بينك، وبينه ولا ميثاق، فاستأمنك ليسمع ما تدعو إليه من التوحيد، والقرآن، وتبيين ما بعثت له فأمّنه" (٢)

فأحد ر فع بفعل محذوف تقديره(٣)(استجارك)وجوّز الحذف كون ما بعده يفسره فحذف بقصد الإيجاز" (٤)

وفي قوله تعالى:

٥- ﴿ اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩) ﴾

قال البيضاوي في قوله تعالى:(إنهم ساء ما كانوا يعملون)أي :"عملهم هذا"(٥)

قال أحد شراحه:"هذا اختيار المصنف:كون ساء بمعنى بئس من أفعال الذم ،فهو إنشاء سأصله:(ساء)نقل إلى (فعُل)بالضم فصار قاصراً لازماً ثم ضمّن معنى:(بئس)فصار جامداً يمتنع تصريفه فحينئذ فاعل (ساء) مضمر ،ولفظة(ما)تمييز بمعنى شيئاً (و ماكانوا يعملون) صفته والمخصوص بالذّم محذوف، أشار إليه المصنف بقوله:(عملهم هذا)أي :لاشتراء الصد عن سبيله"(٦)

---

(١) إعراب القرآن للنحاس:١٠٩/٢

(٢) الكشاف:١٥/٣

(٣) أي: يفسره ما بعده لا بالابتداء لأن (أن) من عوامل الفعل. الكشاف:١٥/٣

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٣٩٦/١

(٥) السابق:٣٩٧/١

(٦) حاشية القونوي:١٦٧/٩

ومثله قال الشهاب:"يجوز أن تكون (ساء) في بابها من التعدي ،ومفعولها محذوف وأن تكون جارية مجرى بئس فيكون المخصوص بالذم محذوف" (١)

ومن حذف المبتدأ قوله تعالى:

٦-﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾

قال البيضاوي في تقدير المحذوف في قوله تعالى(فإن تابوا):"(فإنْ تابوا)،فهم أخوانكم في الدين لهم مالكم وعليهم ماعليكم"(٢)

وعلق عليه أحد شراحه بقوله:"(قوله فهم إخوانكم)فإخوانكم جزاء(٣)، والجزاء لايكون إلا جملة، فقدر المبتدأ"(٤)

ومن حذف المبتدأ أيضا قوله تعالى:

٧-﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾﴾

قال النحاس في قوله تعالى:(عزير ابن الله):" للنحويين في هذا أقوال : فمن أحسنها أنّه: مرفوع على إضمار مبتدأ ،والتقدير :صاحبنا عزير"(٥)

---

(١) عناية القاضي وكفاية الراضي:٥٣٠/٤

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٣٩٧/١

(٣)أي : جواب الشرط.

(٤) حاشية القونوي:١٦٨/٩

(٥) إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس:٢١٠/٢

ومن حذف أداة الشرط وفعل الشرط ماجاءفي قوله تعالى:

٨- ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ١٤﴾

قال النحاس في قوله تعالى:(قاتلوهم يعذبهم الله):"قاتلوهم:أمر،(يعذبهم)جوابه،وهوجزم بمعنى المجازاة والتقدير:(إن تقاتلوهم يعذبهم)"[(١)]

إنّ هذا المعنى المقدّر،فُهم من العبارة الموجزة في الآية الكريمة حيث أطلق الإيجاز هنا سراح الذهن،و جعله يتجول كيف شاء بدون قيود أو حدود، بجعل اللفظ يتملك المعنى بالتفسير و التأويل.

وفي قوله تعالى:

٩- ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩﴾

قيل:لابد في الآية من تقدير محذوف"فالسقاية و العمارة مصدرا سقى وعمر فلا يُشبَّهان بالجثث [(٢)] بل لا بد من إضمار تقديره :(أجعلتم أهل سقاية الحاج كمن آمن)، أو (أجعلتم سقاية الحاج كإيمان من آمن)، والمعنى إنكار أن يُشبَّه المشركون وأعمالهم المحبطة بالمؤمنين وأعمالهم المثبتة" [(٣)]

(١) إعراب القرآن للنحاس:٢/٢٠٥

(٢) أي :كمن آمن بالله.

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:١/٣٩٧

ومن حذف جواب الشرط قوله تعالى:

١٠-﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾

قال النحاس:(آباءكم وإخوانكم أولياء):"مفعولان إن استحبوا الكفر على الإيمان : لا تطيعوهم ولا تختصوهم"(١)

فقوله:(لا تطيعوهم ولا تختصوهم) هو جواب الشرط المحذوف حُذف، لدلالة ما قبله عليه.

ومنه أيضا قوله تعالى:

١١-﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾

قال البيضاوي في قوله تعالى:(ولو كره الكافرون)" محذوف الجواب؛ لدلالة ما قبله عليه"(٢)

قال ابن التمجيد شارحا:"(قوله محذوف الجواب) أي:(ولوكره الكافرون)،ذلك،(يتم نوره) حذف؛ لدلالة (إلا أن يتم نوره) عليه" (٣)

---

(١) إعراب القرآن للنحاس:٢/٢٠٧

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤٠٢/١

(٣) حاشية ابن التمجيد:٢٠٩/٩

ومنه أيضا قوله تعالى:

١٢-﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٤١﴾

فمعنى قوله تعالى: (إن كنتم تعلمون)أي:إن كنتم تعلمون الخير علمتم أنّه خير،أو إنْ كنتم تعلمون أنّه خير إذ لا احتمال لغير الصدق في أخباره تعالى فبادروا إليه، فجواب (إن) مقدر"[١]

وفي قوله تعالى:

١٣-﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ۝٣٥﴾

جاء الإيجاز في قوله تعالى:(هذا ما كنزتم لأنفسكم) وهو:إيجاز بالحذف حيث إن:"مقول القول محذوف وحَذْف القول في مثله كثير في القرآن[٢]

وفي قوله تعالى:

١٤-﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ۝٢٥﴾

قال النحاس:"(و يوم حنين)ظرف أي:(ونصركم يوم حنين)" [٣]

(١) تفسير التحرير والتنوير: ٤٢/١٠

(٢) يُنظر:حاشية القونوي: ٢١٥/٩

(٣) إعراب القرآن للنحاس: ٢٠٧/٢

وقيل: "(ويوم حنين) معطوف على (مواطن) بتقدير مضاف أي: وموطن يوم حنين لئلا يُعطف الزمان على المكان، ورُدّ بأنّه لا استبعاد في عطف الزمان على المكان، فلا يحتاج إلى تقدير. وقيل: إنّ (يوم حنين) منصوب بفعل مقدّر معطوف على (نصركم) أي: ونصركم يوم حنين" [1]

وفي قوله تعالى: (ثم وليتم) قال البيضاوي: "ثم ولّيتم: (ولّيتم) الكفار ظهوركم" [2]

قال القونوي شارحا: "أي: (وليتم) متعد إلى مفعولين لكن حُذفا لقيام القرينة عليهما وتعديته بمفعولين مما جاء مصرحاً في النظم الجليل كقوله تعالى: ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ١٥﴾ [3]

ثم ذكر أنّ الفعل (ولّى) قد يُستعمل لازماً بمعنى: (تولى)، فقال أي: أعرض كقوله تعالى [4]

﴿وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا ١٠﴾ وكقوله تعالى [5]: ﴿وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا ٧﴾)" [6]

وفي قوله تعالى:

١٥- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ٣٨﴾

قال النحاس: المعنى: "(اثّاقلتم) إلى نعيم الأرض، والتقدير: أرضيتم بنعيم الدنيا من نعيم الآخرة؟" [1]

---

(١) فتح القدير: ٣٤٧/٢

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٤٠٠/١

(٣) الأنفال: (١٥)

(٤) النمل: (١٠)

(٥) لقمان: (٧)

(٦) حاشية القونوي: ١٩٢/٩

وفي قوله تعالى:

١٦-﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾

قال البيضاوي في قوله تعالى: (إلا تنصروه فقد نصره الله أي :إنْ لم تنصروه فسينصره[٢] الله كما نصره: (إذا أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين)، ولم يكن معه إلا رجل واحد، فحذف الجزاء وأقيم ما هو كالدليل عليه مقامه، أو: إن لم تنصروه فقد أوجب الله له النصر ،حتى نصره في مثل ذلك الوقت ،فلن يخذله في غيره" [٣]

وفي قوله تعالى:

١٧-﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾﴾

قوله تعالى: (لخرجنا معكم)" سادٌمسدّ جوابي القسم والشرط، وهذا من المعجزات؛لأنّ ه إخبار عما وقع قبل وقوعه" [٤]"

---

(١) إعراب القرآن للنحاس:٢/١١٨

(٢) الشرط لايأتي ماضياً، فأوله بالمستقبل.

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:١/٤٠٥

(٤) السابق:١/٤٠٦

مراده أنّه لما حُذف جواب (لو) دلّ عليه جواب القسم جُعل كأنّه سدّ مسدّ الجوابين"[1]

فالقسم والشرط كما هو معروف يحتاج كلّ واحد منهما إلى جواب، وقد جرت العادة عند العرب أن يحُذف أحد الجوابين، ويبقى جواب الأول منهما.

وفي قوله تعالى:

١٨- ﴿ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَـٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾

قال البيضاوي في تقدير المحذوف أي: "ليس من عادة المؤمنين أن يستأذنوك في أن يجاهدوا، فإنّ الخُلّص منهم يبادرون إليه، ولا يقفون على الإذن فيه،فضلاً أن يستأذنوك في التخلف عنه، أو أن يستأذنوك في التخلف كراهية أن يجاهدوا (إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ)"في التخلف" [2]

قال أحد شراحه:"(قوله:في أن يجاهدوا)متعلق بالاستئذان بتقدير في وقوله:(في التخلف عنه أو أن يستأذنوك أي: صلة الاستئذان محذوفة بقرينة المقام، وهو في التخلف"[3]

وفي قوله تعالى:

١٩- ﴿ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَـٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّـٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾

(١) حاشية القونوي:٩/٢٣٥

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:١/٤٠٦

(٣) حاشية القونوي:٩/٢٣٨

قوله تعالى: (لو خرجوا فيكم ما زادوكم)"أي:بخروجهم شيئاً [١] إلا خبالاً)فساداً وشراً ولا يستلزم ذلك أن يكون لهم خبال حتى لو خرجوا زادوه" [٢]وقيل التقدير:"ما زادوكم قوة ونصرة لكن خبالا وفسادا" [٣]

"وحذف مفعول (زادوكم)لدلالة الخروج عليه، أي : (ما زادوكم قوة أو شيئاً ممّا تفيد زيادته في الغزو نصراً على العدوّ ، ثم استُثني من المفعول المحذوف (الخبالُ) على طريقة التهكّم بتأكيد الشيء بما يشبه ضده فإنّ الخبال في الحرب بعض من عدم الزيادة في قوة الجيش، بل هو أشدّ عدماً للزيادة، ولكنّه ادّعي أنّه من نوع الزيادة في فوائد الحرب، وأنّه يجب استثناؤه من ذلك النفي، على طريقة التهكّم"[٤].

وفي قوله تعالى:

٢٠-﴿ قُلۡ أَنفِقُواْ طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمۡ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ قَوۡمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾

قال البيضاوي في تقدير المحذوف:"أي لن يُتقبل منكم نفقاتكم"[٥]

وقيل:" نائب فاعل يُتقبّل: هو(منكم) أي:لا يتقبّل منكم شيء وليس المقدّرُ الإنفاقَ المأخوذَ من (أنفقوا) بل المقصود العموم"[٦]

وفي قوله تعالى:

٢١-﴿ وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنۡ أُعۡطُواْ مِنۡهَا رَضُواْ وَإِن لَّمۡ يُعۡطَوۡاْ مِنۡهَآ إِذَا هُمۡ يَسۡخَطُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾

---

(١) المستثنى منه المحذوف

(٢)أنوار التنزيل وأسرار التأويل:١/٤٠٧

(٣) حاشية القونوي:٩/٢٤٣

(٤) تفسير التحرير والتنوير:١٠/٢١٤

(٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:١/٤٠٨

(٦) تفسير التحرير والتنوير:١٠/٢١٧

التقدير: "فإن أعطوا منها ما أرادوا رضوا ،وإن لم يعطوه سخطوا ،لا إن لم يعطوا شيئا"[1]

وقيل يحُتمل: أنّ المراد ظاهر الضمير أن يعود على المذكور، أي: إن أعطي اللامزون. أي:إنّ الطاعنين يطمعون أن يأخذوا من أموال الصدقات بوجه هدية وإعانة، فيكون ذلك من بلوغهم الغاية في الحرص، والطمع، ويحتمل أنّ الضمير راجع إلى ما رجع إليه ضمير (منهم) أي: فإن أعطي المنافقون رضي اللاّمزون، وإن أعطي غيرهم سخطوا، فالمعنى:أنهّم يرومون أن لا تقسم الصدقات إلاّ على فقرائهم"[2]

وفي قوله تعالى:

٢٢- ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾

قال البيضاوي في قوله تعالى: (إنا إلى الله راغبون)"في أن يغنينا من فضله، والآية بأسرها في حيز الشرط، والجواب محذوف تقديره:(لكان خيراً لهم)" [3]

قال أحد شراحه :(قوله:والجواب محذوف):"حذف ليذهب السامع في كلّ أمر ممكن ولبيان فخامته؛وللتنبيه على عدم إحاطته، وتقديره:لكان خيرا لهم" [4]

وفي قوله تعالى:

٢٣-﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾

المحذوف قي قوله تعالى:"(وفي الرقاب) أي:وللصرف في فك الرقاب"[1]

---

(١) عناية القاضي وكفاية الراضي:٥٨٥/٤ بتصرف

(٢) تفسير التحرير والتنوير:٢١٩/١٠

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤٠٩/١

(٤) حاشية القونوي:٢٥٧/٩

قال الشهاب شارحا قول البيضاوي: (وللصرف في فك الرقاب):"إشارة إلى تقدير متعلق الجار والمجرور،وأن في الكلام مضافاً مقدراً بحسب الاقتضاء ؛لأنها لاتصرف في الرقاب نفسهاوأنما تصرف في فكها"(٢)

وفي قوله تعالى:

٢٤-﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾﴾

قال النحاس في قوله تعالى:(والله ورسوله أحق أن يرضوه):"ابتدأ وخبر، وذهب سيبويه : أنّ التقدير: (والله أحق أن يرضوه، ورسوله أحق أن يرضوه)ثم حـ ُـذف، وقال محمد بن يزيد(٣) ليس في الكلام حذف والتقدير: (والله أحق أن يرضوه ورسوله) على التقديم والتأخير، وقال أبو جعفر: وقول سيبويه أولاها"(٤)

وفي قوله تعالى:

٢٥-﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾

قال البيضاوي في تقدير المحذوفـأيْ" : بالسيف وبإلزام الحجة"(٥)

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤١٠/١

(٢) عناية القاضي وكفاية الراضي:٥٨٨/٤بتصرف

(٣) محمدب ن يزيدا لأزدي البصري له من المؤلفات :الكامل والمقتضب ومعاني القرآن توفي سنة٢٨٥هـ.يُنظر:بغية الوعاة:٢٦٩/١

(٤) إعراب القرآن للنحاس:١٧٥/٢

(٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤١٣/١

قال أحد شراحه:"(قوله بالسيف: تركه لانفهامه، وقوله بإلزام الحجة) إذ المنافقون لايقاتلون ما لم يظهروا الكفر"[1]

فقوله(جاهد) "مأخوذ من بلوغ الجهد، وهي مقصود بها المكافحة والمخالفة، وتتنوع بحسب المجاهد، فجهاد الكافر المعلن بالسيف، وجهاد المنافق المتستر باللسان، والتعنيف، والاكفهرار في وجهه، ونحو ذلك، فجهاد النفس إنما هو مصابرتها بإتباع الحق وترك الشهوات، فهذا الذي يليق بمعنى هذه الآية لكنا نجلب قول المفسرين نصاً لتكون معرضة للنظر، قال الزجّاج: وهو متعلق في ذلك بألفاظ ابن مسعود: أمر في هذه الآية بجهاد الكفار والمنافقين بالسيف، وأبيح له فيها قتل المنافقين، قال ابن مسعود: إن قدر وإلا فباللسان وإلا فبالقلب والاكفهرار في الوجه"[2]

وفي قوله تعالى:

٢٦-﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ ﴾

مفعول (ما قالوا)محذوف دلّ عليه قوله: (ولقد قالوا كلمة الكفر)"[3]

وفي قوله تعالى:

٢٧-﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾

---

(١) حاشية القونوي:٩/٢٨٣

(٢) زاد المسير: ٥٩٥

(٣) تفسير التحرير والتنوير:١٠/٢٦٨

حُذف مفعول (يجدون)؛ لظهوره من قوله: (الصدقات) أي: لا يجدون ما يتصدّقون به إلاّ جهدهم، فالعلم به سوغ الحذف للإيجاز"(١)

وقوله تعالى:

٢٨- ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ ﴾

قال البيضاوي في قوله تعالى: (لاتنفروا في الحر) أي: قال بعضهم لبعض، أو قالوها للمؤمنين تثبيطاً وفي قوله تعالى: (لوكانوا يفقهون) أي: إنّ مآبهم إليها"(٢)

وعلق عليه أحد شراحه بقوله: "أشار إلى أن مفعول (يفقهون) محذوف، ولم ينزل قوله منزلة اللازم، كما أشار إلى جواب (لو) "(٣)

وفي قوله تعالى:

٢٩- ﴿ لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ ﴾

قال البيضاوي: "والمعنى أن بناءهم هذا لا يزال سبب شكهم وتزايد نفاقهم"(٤)

قال القونوي شارحاً عبارة البيضاوي: "أي المضاف محذوف بقرينة عدم صحة حمل الريبة على البنيان"(٥)

---

(١) تفسير التحرير والتنوير: ١٠/٢٧٤

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ١/٤١٥

(٣) حاشية القونوي: ٩/٢٩٩

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ١/٤٢٢

(٥) حاشية القونوي: ٩/٣٤٣

وفي قوله تعالى:

٣٠-﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾

"حُذف مفعول (يحذرون) للتعميم، والتقدير: يحذرون ما يحُذر)، وهو فعل المحرمات، وترك الواجبات،فا قتصر على الحذر دون العمل للإنذارلأنّ مقتضى الإنذار (التحذير)، وهو يفيد الأمرين" (١)

مما سبق: نخلص إلى أن بلاغة الإيجاز بنوعيه، تكمن في إطلاق سراح الذهن و جعله يتجول في المعاني كيفما شاء بدون قيود أو حدود، مادام يتمكلها اللفظ بالتفسيرو التأويل.

كما نخلص إلى أن مقياس البلاغة في الإيجاز ليس في قله عدد الحروف فقط، بل فيما يحمله اللفظ الواحد من معانٍ وما يثيره من صور وأفكار.

(١) تفسير التحرير والتنوير: ٦٢/١١

الفصل الرابع

الإطناب صوره وأسراره البلاغيّة.

توطئة

الإطناب باب بلاغي من أبواب علم المعاني، وهو باب قديم قدم الإيجاز، ارتبط به ارتباط العضو بالعضو ليؤلفا هيئة سوية البنية والملامح.

جاء في الإيضاح : "المقبول من طرق التعبير عن المعنى: هو تأدية أصل المراد بلفظ مساوٍ له، أو ناقصٍ عنه وافٍ، أو زائد عليه لفائدة"(١)

وقوله:(لفائدة): شرطٌ فيه، فإذا لم توجد الفائدة،فلا يدخل في البلاغة كالتكرير لغير نكتة بلاغية، والتطويل، والحشود المفسد.

(١) الإيضاح:١٧٣/٣/١

صور الإطناب وأنواعه:

للإطناب أشكال متنوعة ومتعددة منها

١. الإيضاح بعد الإبهام؛ ليُرى المعنى في صورتين مختلفتين، أو ليتمكن في النفس فضلَ تمكُّنٍ.

٢. ذكر الخاص بعد العام؛ للتنبيه على فضله، حتى كأنه ليس من جنسه.

٣. التكرير لنكتة.

٤. التذييل وهو: تعقيب الجملة بجملة تشتمل على معناها للتوكيد.

٥. التكميل: ويُسمى الاحتراس وهو أنْ يُؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه.

٦. التتميم: وهو أن يؤتى في كلام لايوهم خلاف المقصود بفضله تفيد نكتة .

٧. الاعتراض: وهو :أن يؤتى به في أثناء الكلام.

٨. الإيغال:وهو:ختم البيت بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها، وليس له وجودٌ في السور لخلوّ القرآن الكريم منه. (١)

(١) الإيضاح :١/٣/١٩٦

صور من الإطناب في السورة:

من صور الإطناب في السورة ما جاء في قوله تعالى:

١- ﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥۚ فَإِن تُبۡتُمۡ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٣ ﴾

"جاء التصريح بفعل البراءة[(١)] مرّة آخرى دون إضمار، ولا اختصار بأن يقال:(وأذان إلى الناس بذلك)،أو(بها)،أو(بالبراءة)لأنّ المقام مقام بيان وإطناب؛لأجل اختلاف أفهام السامعين فيما يسمعونه، ففيهم الذكّي والغبي، ففي الإطناب والإيضاح قطع لمعاذيرهم، واستقصاء في الإبلاغ لهم" [(٢)]

وفي قوله تعالى:

٢- ﴿ كَيۡفَ وَإِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ لَا يَرۡقُبُواْ فِيكُمۡ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ يُرۡضُونَكُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَتَأۡبَىٰ قُلُوبُهُمۡ وَأَكۡثَرُهُمۡ فَٰسِقُونَ ٨ ﴾

قال البيضاوي في قوله تعالى:(كيف وإن يظهروا) [(٣)]" تكرار لاستبعاد ثباتهم على العهد أو بقاء حكمه مع التنبيه على العلة"[(٤)]

(١) المقصود ذكر البراءة في الآية الأولى في قوله تعالى:"براءة من الله ورسوله"

(٢) تفسير التحرير والتنوير: ١٠٩/١٠

(٣) تكرار لورود (كيف) في الآية السابقة لها(٧)

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٣٩٦/١

وفي قوله تعالى:

٣- ﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ ﴾

قال البيضاوي :(لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة) :" تفسير لا تكريوقيل الأو ّ ل عام في الناقضين، وهذا خاص بالذين اشتروا وهم اليهود، أو الأعراب الذين جمعهم أبو سفيان وأطعمهم،ومعنى قوله تعالى: (وأولئك هم المعتدون) أي:في الشرارة" (١)

قال أحد شراحه : "(قوله:(وأولئك هم المعتدون)أي: في الشرارة) تفسير للمخصوص بالذم" (٢) وأعلى الأو ّ ل أي: كون المخصوص بالذم عملهم السابق، فهو تكرير، والقول بأن هذا ناعٍ عليهم عدم مراعاة حقوق عهد المؤمنين على الإطلاق، فلا تكرار يخل بانتظام هذا بما قبله وبما بعده لهذه النكتفر ّ ض المصنف الوجهين الأخيرين" (٣)

وفي قوله تعالى:

٤-﴿ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ ﴾

قال البيضاوي في قوله تعالى:(ونفصل الآيات لقوم يعلمون)" اعتراض للحث على تأمل ما فصل من أحكام المعاهدين أو خصال التائبين"(٤)

قال أحد شراحه:"ووجه الاعتراض: أن قوله تعالى:(وإن نكثوا) عطف على

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٣٩٧/١ بتصرف.

(٢) في قوله تعالى:"إنهم ساء" آية(٩)

(٣) حاشية القونوي:١٦٨/٩

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٣٩٧/١

قوله: (فإن تابوا) ومابينهما اعتراض والجامع بينهما التضاد"[١]

وقد تبعه ابن عاشور وأضاف فقال:"اعتراض وتذييل، فالواو في (ونفصل) اعتراضية" [٢]

والتذييل عند البلاغيين كما مرّ _ يعقب الجملة بجملة تشتمل على معنى الجملة الأولى لإفادة التوكيد وهو ضربان:

ضرب لم يخرج مخرج المثل،وهو ما لم يكن مستقلا بإفادة المراد وتوقف على ماقبله

كقوله تعالى :﴿ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ ﴾ [٣]

والضرب الثاني الذي أخرج مخرج المثل كقوله تعالى﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ [٤]

أُخرج مخرج المثل؛ لاستقلاله بإفادة المراد وعدم توقفه على ما قبله"[٥]

وقد رأيت من خلال البحث في الإطناب أن ابن عاشور توسع في توظيف مصطلح (التذييل)وأدخل فيه كثيراً من الآيات مع أنّ الكثير من المفسرين لم يُشر إلى ذلك، حتى تجاوزت العشرين آية في سورة التوبة، لذا رأيت ألاّ أستقصيها عنده،وألاّ أخذ منه إلا ماانطبق عليه التعريف .

كذلك جاء الإطناب في قوله تعالى:(وإن نكثوا أيمانهم أي ّ :"وإن نكثوا ما بايعوا

(١) حاشية القونوي:٩/١٦٩

(٢) تفسير التحرير والتنوير:١٠/١٢٨

(٣) سبأ (١٧)

(٤) الإسراء (٨١)

(٥) شرح التلخيص للبابرتي:٤٤٨-٤٤٩

عليهمن الإِيمان أو الوفاء بالعهود(وطعنوا في دينكم) بصريح التكذيب،و تقبيح الأحكام. (فقاتلوا أئمة الكفر) أي :فقاتلوهم، فوضع أئمة الكفر موضع الضمير للدلالة على أنهّم صاروا بذلك ذوي الرئاسة، والتقدم في الكفر، أحقاء بالقتل.

وقيل: المراد (بالأئمة): رؤساء المشركين فالتخصيص إما: لأن قتلهم أهم، وهم أحق به أو للمنع من مراقبتهم." (١)"

يقاس على وضع الظاهر موضع الضميركل ما جاء في هذا البحث من بابه، فهو داخل في الإطناب، نكتفي به في موضعه هرباً من التكرار.

وقيل:"(قوله وإن نكثوا) عطف على قوله تعالى:(وإن تابوا)(٢) وما بينهما اعتراض والجامع التضاد"(٣)

وفي ذكر الطعن مع أنّالنقض كافٍ في القتل:"تنبيه على شناعة طعنهم في الإسلام حتى يستحقون بذلك الزجر العظيم كالقتل الجسيم"(٤)

ومن الإطناب أيضا ماجاء في قوله تعالى:

٥-﴿قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾﴾

قال البيضاوي في قوله تعالى:(ويذهب غيض قلوبهم):"لما لقوا منهم وقد أوفى الله بما وعدهم من المعجزات"(٥)

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٣٩٧/١

(٢) في الآية السابقة لها (١١)

(٣) حاشية القونوي:١٦٩/٩

(٤) السابق:١٧١/٩

(٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٣٩٨/١

قال أحد شراحه:"(قوله لما لقوا منهم..)أي: لما لقوا من المكاره والمكائد ،والفرق بين الشفاء وإذهاب الغيظ بحسب المفهوم والتغاير ، كاف في العطف ،وأما التعبير بالقلوب أولا و بالصدور ثانيا مع أن القلوب في الصدور فمن أفانين البلاغة وأساليب الفصاحة"[(1)]

وفي قوله تعالى:

٦-﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٢٠ يُبَشِّرُهُمۡ رَبُّهُم بِرَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَرِضۡوَٰنٖ وَجَنَّٰتٖ لَّهُمۡ فِيهَا نَعِيمٞ مُّقِيمٌ ٢١ ﴾

في قوله تعالى:(برحمة منه ورضوان)" إطناب للتوضيح بعد الإبهام ولو قيل (برحمة)

لفات ذلك، والمرادبالرحمة مطلق الإحسان والتفضل أخروياً كان أو دنيوياً والظاهر أن عطف الرضوان عطف الخاص على العام" [(2)]

وقيل جاءت جملة :(إن الله عنده أجر عظيم)" تذييل وتنويه بشأن المؤمنين المهاجرين المجاهدين مضمون الجملة يعمّ مضمون ما جاءقبلها وغير ه، وفي هذا التذييل إفادة أنّ ما ذكر من عظيم درجات المؤمنين المهاجرين المجاهدين هو بعض ما عند الله من الخيرات وفي هذا ترغيب في الإزدياد من الأعمال الصالحة؛ ليزدادوا رفعة عند الله" [(3)]

و في قوله تعالى:

٧-﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٣٠ ﴾

---

(١) حاشية القونوي:١٧٥/٩بتصرف.

(٢) السابق :١٨٣/٩

(٣) تفسير التحرير والتنوير:١٤٩/١٠

قال الزمخشري في قوله تعالى:(ذلك قولهم بأفواههم):"فيه وجهان: أحدهما: أن يراد أنه قول لا يعضده برهان، فما هو إلاّ لفظ يفوهون به، فارغ من معنى تحته كالألفاظ المهملة التي هي أجراس ونغم لا تدلّ على معان،وذلك أن القول الدال على معنى لفظه مقول بالفم ومعناه مؤثر في القلب، وما لا معنى له مقول بالفم، لا غير، والثاني: أن يراد بالقول المذهب كقولهم: قول أبي حنيفة، يريدون مذهبه وما يقول به، كأنّه قيل: ذلك مذهبهم ودينهم بأفواههم لا بقلوبهم، لأنّه لاحجة معه ولا شبهة حتى يؤثر في القلوب، وذلك أنهّم إذا اعترفوا أنه لا صاحبة له لم تبق شبهة في انتفاء الولد"[(1)]

ولم يبتعد قول البيضاوي عما جاء به الزمخشري في معنى هذه الآية حيث قال:" إما تأكيد لنسبة هذا القول إليهم ونفي للتجوّز عنها، أو إشعار بأنّه قول مجرد عن برهان ،وتحقيق مماثل للمهمل الذي يوجد في الأفواه ولا يوجد مفهومه في الأعيان" [(2)]

وقد علق عليه أحد شراحه بقوله:" إما تأكيد لنسبة هذا القول إليهم ،على منوال: رأيته بعيني، وسمعته، بأذني، وقلته بلساني، وأخذته بيدي،أو إشعار بأنّه قول لامعنى له يرتسم في القلب، بل مجرد لفظ يقال بالفم كالمهمل" [(3)]

وقال شارح آخر:" لم يرتض شراح الكشاف كونه تأكيدا لدفع التجوز عن الكتابة والإشارة، أو كون القائل بعض اتباعهم، ونحوها مثل كتبته بيدي، وأبصرته بعيني لأنّه غير مناسب، ولذا حمله الزمخشري على وجهين الأوّل أنّه مجرد لفظ لامعنى له معقول كالمهملات،أو:أنّه رأي ومذهب لاأثر له في قلوبهم وإنما يتكلمون به جهلاً أو عناداً "[(4)]
وعلى هذا يكون الكلام من باب التتميم.

---

(١) الكشاف:٣/٣٤

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:١/٤٠٢

(٣) حاشية ابن التمجيد:٩/٢٠٥

(٤) عناية القاضي وكفاية الراضي: ٤/٥٥٧

وفي قوله تعالى:

٨-﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾

قال البيضاوي في قوله تعالى: (فلا تظلموا فيهن أنفسكم): " لوا الظلم بارتكاب المعاصي فيهن فإنه أعظم وزرا كارتكابها في الحرم وحال الإحرام"(١)

وقد علق عليه أحد شراحه بقوله: "(قوله فإنه أعظم وزرا)؛ لتخصيص نهي الظلم بالأشهر الحرم مع أنه منهي عنه في عموم الأوقات، ولا بعد تخصيص بعض الأزمنة بمزيد التعظيم والحرمة لتخصيص البقاع بمزيد التعظيم والاحترام"(٢)

وفي قوله تعالى:

٩-﴿ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾

قيل: إنّ قوله تعالى: (والله على كلّ شيء قدير): "تذييل للكلام؛ لأنّه يحقّق مضمون لحاق الضرّ بهم؛ لأنّه قدير عليهم في جملة كلّ شيء، فدخلت الأشياء التي من شأنها الضرّ"(٣)

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٤٠٤/١

(٢) حاشية القونوي: ٢١٨/٩

(٣) تفسير التحرير والتنوير: ١٩٩/١٠

وفي قوله تعالى:

١٠-﴿ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَـٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾

قال البيضاوي في قوله تعالى:(والله أعلم بالمتقين)" شهادة لهم بالتقوى وعدة لهم بثوابه"[١]

قال أحد شراحه:"(قوله شهادة لهم) أي: أن المراد بالمتقين، ليس جنس المتقين إذ لامساس له هنا بل المراد: المعهودون، المذكورون بالذين يؤمنون، فوضع الظاهر موضع الضمير؛ لبيان أنهم المتقون الفائزون بالثواب وحسن المآب"[٢]

وقيل جاءت الجملة:" معترضة؛لتفيد التنبيه على أنّ الله مطّلع على أسرار المؤمنين،وقد كانت مغنية عن الجملة المؤكّدة،لولا أنّ المراد من تقديم تلك الجملة: التنويه بفضيلة المؤمنين، فالكلام إطناب لقصد التنويه" [٣]

وفي قوله تعالى:

١١-﴿ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَـٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّـٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾

جاءت جملة: (وفيكم سماعون لهم)"اعتراض للتنبيه على أنّ بغيهم الفتنةَ أشدّ خطراً على المسلمين؛لأنّ في المسلمين فريقاً تنطلي عليهم حيلهم" [١]

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:١/٤٠٦

(٢) حاشية القونوي:٩/٢٣٨

(٣) تفسير التحرير والتنوير:١٠/٢١٢

كماجاءت جملة :(والله عليم بالظالمين)تذييل قصد منه إعلام المسلمين بأنّ الله يعلم أحوال المنافقين الظالمين ليكونوا منهم على حذر، وليعلموا أنّ الاستماع لهم هو ضرب من الظلم" (٢)

وفي قوله تعالى:

١٢ - ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦٠﴾

جاءت جملة :(والله عليم حكيم)تذييلاً ؛ لإفاده الحصر بـ (إنّما) في قوله تعالى:

(إنما الصدقات للفقراء والمساكين) أي:"والله عليم حكيم في قصر الصدقات على هؤلاء أي: إنّه صادر عن العليم الذي يعلم ما يناسب في الأحكام، والحكيمِ الذي أحكم الأشياء التي خلقها و شرعها" (٣)

وفي قوله تعالى:

١٣ -﴿ وَمِنۡهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٞۚ قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٖ لَّكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡۚ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٦١﴾

قال الشهاب: "والمعنى هو أذن خير، يسمع آيات الله ،ودلائله فيصدقها، ويستمع للمؤمنين فيُسلّم لهم ما يقولون ويصدقهم، والإيمان للمؤمنين بمعنى: جعلهم في أمان من التكذيب بتصديقهم لهم، وجاء مضمون جملة: (ويقولون هو أذن) عطف خاصّ على عامّ لأنّ

(١) تفسير التحرير والتنوير: ٢١٨/١٠

(٢) السابق بصفحته

(٣) السابق: ٢١٨/١٠

قولهم ذلك هو من الأذى" [١]

وفي قوله تعالى:

١٤-﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾﴾

قال البيضاوي في قوله تعالى:(فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم) أي " ذم" الأو " لين باستمتاعهم بحظوظهم المخدجة من الشهوات الفانية، والتهائهم بها عن النظر في العاقبة ،والسعي في تحصيل اللذائذ الحقيقية؛ تمهيدا لذم المخاطبين بمشابهتهم واقتفاء أثرهم" [٢]

وقد علق عليه أحد شراحه بقوله:"هذا جواب سؤال عما يرد ههنا بأن يقال:قوله_عز و جل " _:

(كما استمتع الذين من قبلهم بخلاقهم)، فخلاقهم مغنٍ عن قوله: (فاستمتعوا بخلاقهم) فأي فائدة في قوله:(فاستمتعوا بخلاقهم) مع وجود المغني عنه؟ وتقدير الجواب : لإ" الفائدة فيه: ذم الأو " لين بالاستمتاع بما أوتوا من حظوظ الدنيا وتمهيداً ، وتوطئة، لذم المخاطبين، بمشابهتهم لهم وإتباعهم طريقتهم ويمكن أن يقال:إن" تمثيل الثاني كالفرع على الأو " ل بشهادة الفاءين بأن حب الدنيا رأس كل خطيئة" [٣]

وقيل:" لم يكتف الحق -سبحانه وتعالى- في الكلام بالاقتصار على حال أحد الفريقين وذلك للاعتناء بكليهما، وهذا هو الذي اقتضى هذا الإطناب، ولو اقتصر على قوله تعالى:

---

(١) رعاية القاضي وكفاية الراضي:٤/٥٩٢

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:١/ ٤١١

(٣) حاشية القونوي:٩/٢٧٧-٢٧٨

(فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم)ولم يذكر قبله (فاستمتعوا بخلاقهم) لحصل أصل المعنى ولم يستفد قصد الاهتمام بكلا الفريقين" [١]

وفي قوله تعالى:

١٥-﴿ ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٩ ﴾

قيل:في قوله تعالى:(والذين لايجدون إلا جهدهم)"عطف على المطَّوعين، أي:يلمزون الذين لايجدون إلا جهدهم، والجمع؛لتقسيم الحكم كما فُهم من ظاهر تقرير المصنف فيكون من قبيل عطف الخاص على العام"[٢]

وفي قوله تعالى:

١٦-﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٨٠ ﴾

وجملة:(والله لا يهدي القوم الفاسقين)" تذييل لما سبقها من الكلام، وهي جملة اعتراضية فيها تهديد بأنّهم فضلوا قرابتهم وأموالهم على محبّة الله ورسوله وعلى الجهاد فقد تحقّق أنّهم فاسقون. والله لا يهدي القوم الفاسقين، فأفادالتذييل التعريض بهم بأنّهم من الفاسقين" [٣]

وفي قوله تعالى:

١٧-﴿ وَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَأَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ٨٥ ﴾

---

(١) تفسير التحرير والتنوير:١٠/٢٥٦

(٢) حاشية القونوي:٩/٢٩٣

(٣) تفسير التحرير والتنوير:١٠/٢٨٧

هذه الآية تكرير لما جاء في الآية رقم: (٥٥) من هذه السورة، قال البيضاوي إنها جاءت: " للتأكيد ويجوز أن تكون هذه في طريق غير الأول" (١)

قال أحد شراحه: (قوله تكرير للتأكيد حيث مرّ ذكرها في هذه السورة، مع أن المراد به: الفريق الأول أيضا، ولايضره تغيير يسير في بعض ألفاظه وبُعد مابينهما" (٢)

وفي قوله تعالى:

١٨- ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾

قال البيضاوي في قوله تعالى: (ولا على الذين إذا ماأتوك) "عطف على الضعفاء، أو على المحسنين" (٣)

قال أحد شراحه: "(قوله عطف على..) رجحه مع مابعده؛ لأنّ الثاني يحتاج إلى تأويل؛ لأنّه من قبيل عطف الخاص على العام" (٤)

وقيل جملة: (والله غفور رحيم) "تذييل لما قبلها، وهي جملة اعتراضية، أي: شديد المغفرة، ومن مغفرته أنه لم يؤاخذ أهل الأعذار بالقعود عن الجهاد، شديد الرحمة بالنّاس ومن رحمته أن لم يكلّف أهل الأعذار ما يَشق عليهم" (٥)

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ١/٤١٥

(٢) حاشية القونوي: ٩/٣٠٣

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ١/٤١٧

(٤) حاشية القونوي: ٩/٣٠٩

(٥) تفسير التحرير والتنوير: ١٠/٢٩٥

وفي قوله تعالى:

١٩- ﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ ﴾

قال البيضاوي في قوله تعالى:(والله عليم حكيم) أي: "يعلم حال كل أحد من أهل الوبر والمدر،(حكيم)فيما يصيب به مسيئهم،ومحسنهم عقاباً وثواباً "[(١)]

وقيل:"تذييل لهذا الإفصاح عن دخيلة الأعراب وخلقهم، أي: عليم بهم وبغيرهم، وحكيم في تمييز مراتبهم" [(٢)]

وفي قوله تعالى:

٢٠-﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ ﴾

قال البيضاوي في قوله تعالى:(عليهم دائرة السوء) "اعتراض بالدعاء عليهم"[(٣)]

قال أحد شراحه:"وهو مما بين كلامين متصلين، أي: قوله تعالى:(ويتربص بكم الدوائر)و(والله سميع عليم)، وهو طلب من ذاته أن تنزلهم أنواع المصائب، أو تعليم للمؤمنين أن يدعوا عليهم بنزول أصناف النوائب"[(٤)]

وقيل:جاءت جملة: (والله سميع عليم)تذْييلاً ، أي سميع لما يتناجون به وما يدبرونه من الترصد عليم بما يبطنونه ويقصدون إخفاءه" [(١)]

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤١٨/١

(٢) روح المعاني:١٧/١١/٦

(٣) أنوار التنزيل أسرار التأويل:٤١٨/١

(٤) حاشية القونوي:٣١٨/٩

وفي قوله تعالى:

٢١- ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾

قال البيضاوي في قوله تعالى:(عسى الله أن يتوب عليهم)أي: "بأن يقبل توبتهم وهي: المدلول عليها بقوله تعالى:(اعترفوا بذنوبهم)"(٢)

وقال ابن عاشور في قوله تعالى :(إن الله غفور رحيم) "تعليل لما أفادته من وجوب القبول، كما إنه تعالى كثير المغفرة والرحمة يتجاوز عن التائب ويتفضل عليه، وهذه الجملة تذييل مناسب للمقام" (٣)

وفي قوله تعالى:

٢٢-﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾

قيل في قوله تعالى:(والله لايهدي القوم الظالمين)" المراد بالظالمين: جنس الظالمين فيدخل الذين اتخذوا مسجدا دخولاً أولياً ، ويحتمل أن يكون المراد: له أن تكون اللام للعهد، فوضع الظاهر موضع الضمير؛ للتسجيل على ظلمهم لأنفسهم ،وللإشارة إلى علة الحكيم، والتأكيد المستقى من الجملة للمبالغة في الإقناط"(٤)

وفي التحرير والتنوير:" تذييل: وهو عام يشمل هؤلاء الظالمين الذين بنوا مسجد الضرار

---

(١) تفسير التحرير والتنوير:١٣/١١

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤١٩/١

(٣) روح المعاني:١٦/١١/٦

(٤) حاشية القونوي:٣٤٢/٩

وغيرهم" [١]

وفي قوله تعالى:

٢٣- ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٢﴾

قال البيضاوي في قوله تعالى(والناهون عن المنكر) "العاطف فيه؛للدلالة على أنّه بما عطف عليه في حكم خصلة واحدة كأنه قال: (الجامعون بين الوصفين)"[٢]

وقال في قوله تعالى:(وبشر المؤمنين)"وضع المؤمنين موضع ضميرهم؛ للتنبيه على أن إيمانهم دعاهم إلى ذلك"[٣]

فالعطف فيه من باب عطف الخاص على العام؛لأن المعطوف، والمعطوف عليه ههنا واحد ذاتا والواو لجمع المعطوفين في هذين الوصفين و قيل: الجامعون بين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" [٤]

قال أحد شراحه:"(قوله: العاطف فيه..)أي: الواو في قوله تعالى:(والناهون عن المنكر) يعني أن المعطوف،والمعطوف عليه ههنا واحد ذاتاً ، والواو يدل على المغايرة، فما معنى دخول الواو بينهما؟وحاصل الجواب: أن الواو لجمع المعطوفين في هذين الوصفين، فكأنه قيل: الجامعون بين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والحاصل أن المغايرة المستفادة من الواو راجعة إلى المغايرة في الصفات لا في الذات"[٥]

(١) تفسير التحرير والتنوير: ٣٥/١١

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٤٢٢/١

(٣) السابق: ٤٢٣/١

(٤)حاشية ابن التمجيد: ٣٤٩/٩بتصرف

(٥)السابق: ٣٤٩/٩

وقال شارح آخر:"(قوله: ووضع ضميرهم للتنبيه على أن إيمانهم دعاهم إلى ذلك) أو لإظهار شرف صفة الإيمان، أو لرعاية الفاصلة، أو للإشارة إلى علة التبشير كماهو المتعارف في مثل هذا المقام"(١)

وفي قوله تعالى:

٢٤-﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾

جاء قوله تعالى:(ثم تاب الله عليهم)"تكريراً للتأكيد؛ وللتنبيهعلى أنّه تاب عليهم من أجل ما كابدوا من العسرة"(٢)

قال البيضاوي في قوله تعالى:(لقد تاب الله على النبي):" من إذن المنافقين في التخلف، وقيل: هو بعث على التوبة، والمعنى:ما من أحد إلا هو محتاج إلى التوبة لقوله تعالى:(وتوبوا إلى الله جميعا) وإظهار لفضلها،و تكرير للتأكيد"(٣)

قال ابن التمجيد:"(قوله تكرير للتوكيد، أي: تكرير لقوله تعالى:(لقد تاب الله على النبي)"(٤)

قال القونوي:"والظاهر أن التوبة في هذه الآية عن الذنوب ،مع أن المصنف قصر التوبة هنا على الترقي، وهو لا يتناول التوبة عن الذنوب فالأولى أن يقال: وما من أحد يخلو عن تقصير ما، وما من أحد إلا وله مقام"(١)

---

(١) حاشية القونوي:٩/٣٥٠

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:١/ ٤٢٤

(٣) السابق:١/٤٢٤ بتصرف

(٤) حاشية ابن التمجيد:٩/٣٥٨

وقيل: جملة"إن الله هو التواب الرحيم" تذييل لتفيد معنى الامتنان" (٢)

وفي قوله تعالى:

٢٥-﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾

قوله (ولا ينفقون) عطف على(ولا ينالون)، ومابينهما اعتراض،و وجه الاعتراض: "للترغيب والمبادرة إليه ببيان أجر المذكورين، وإظهار إن المذكورة هنا نوع مغاير لما قبله إذ الإنفاق جهاد بالأموال"(٣)

وقيل:"نبه الحق سبحانه على النفقة الصغيرة؛ ليعلم بذكر الكبيرة حكم النفقة الصغيرةلأنّ العلة في الكبيرة أظهر،وكان هذا الإطناب في عد مناقبهم في الغزو لتصوير ما بذلوه في سبيل الله" (٤)

وقيل:جاء التذييل في قوله تعالى (إن الله لا يضيع أجر المحسنين)"وقد دل على أنهم كانوا بتلك الأعمال محسنين، فدخلوا في عموم قضية(إن الله لا يضيع أجر المحسنين)" (٥)

---

(١) حاشية القونوي:٣٥٦/٩

(٢) تفسير التحرير والتنوير:٥٤/١١

(٣) حاشية القونوي:٣٦٥/٩

(٤) تفسير التحرير والتنوير:٥٨/١١

(٥)يُنظر:السابق:٥٥/١١

يتين لنا مما سبق أن الإطناب لا يقل أهمية في بلاغته عن الإيجاز، فبلاغة الإطناب في موضعه كبلاغة الإيجاز في موضعه.

كما يتضح لنا أن الإطناب يعني: زيادة اللفظ على المعنى لفائدة، وكونه لفائدة: شرط لابد من توفره؛ ليخرج بذلك من الإسهاب، والتطويل لغير فائدة.

كما يظهر لنا أن جمال الإيضاح بعد الإبهام، يكمن في إظهار المعنى بصورتين مختلفتين، الأولى مبهمة مجملة، والثانية: موضحة مفصلة، وأن التكرار، والتذييل غالباً لا يأتيان إلا لأجل التوكيد.

كما نخلص إلى أن وضع الظاهر موضع الضمير يمكن أن يكون من أبواب الإطناب، وأن له فوائد كثيرة، تُدرك لا يدركها إلا أرباب الذوق السليم.

الباب الرابع

فنون البديع

الفصل الأول: فنون البديع المعنوي:

- المبحث الأول:المطابقة والمقابلة
- المبحث الثاني:المبالغة
- المبحث الثالث:التقسيم
- المبحث الرابع:تأكيد الشئ بما يشبه ضده
- المبحث الخامس:المشاكلة

الفصل الثاني: فنون البديع اللفظي:

- المبحث الأول:الجناس ومايلحق به
- المبحث الثاني:رد العجز على الصدر
- المبحث الثالث:رعاية الفاصلة

الفصل الأول: فنون البديع المعنوي

- المبحث الأول:المطابقة والمقابلة.
- المبحث الثاني:المبالغة.
- المبحث الثالث:التقسيم.
- المبحث الرابع:تأكيد الشئ بما يشبه ضده.
- المبحث الخامس:المشاكلة.

فنون البديع

توطئة

علم البديع :هو العلم الثالث من علوم البلاغة، وهو كما جاء في الإيضاح:

"علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة"[(1)]

والمراد بالمطابقة: مطابقة مقتضى الحال، وهو إنما يكون بعلم المعاني.

والمراد بوضوح الدلالة: أي: إيراد أنواع التشبيه، والمجاز، والكناية على وجهها، وهو بعلم البيان[(2)]

وأنواعه كثيرة،والمشهور منها عند السكاكي والخطيب ثلاثون نوعاً ،أو دون ذلك ، وعند ابن أبي الإصبع في كتابيه:(التحرير والتحبير)، و(بديع القرآن) تتجاوز المائة.

أنواع البديع: [(3)]

البديع ضربان ،ضرب يرجع إلى المعنى: كالمطابقة، والمقابلة،و المبالغة، والتقسيم، وتأكيد الشيء بما يشبه ضده والمشاكلة.

وضرب يرجع إلى اللفظ ومنه: الجناس، ورد العجز على الصدر، ورعاية الفاصلة

---

(١) الإيضاح:٢/٦/٤

(٢) شرح التلخيص للبابرتي:٦١٣

(٣) الإيضاح:٢/٦/٥ ومابعدها

ويلحظ الباحث أن كثيراً من المفسرين لم يهتموا بصور البديع في كتبهم، كما اهتموا بباقي علوم البلاغة، وإن أشاروا إلى بعضها فبإشارة سريعة، لاتفسر وجه الحسن في المسألة، ولعل هذه من أبرز الصعوبات التي واجهتني في هذا الباب تحديداً .

و لما كانت المعاني هي الأصل، و الألفاظ لباس، وأوعية لها كما قال عبدالقاهر الجرجاني:

" الألفاظ أوعية المعاني"[1] كان البدء بدراسة المحسنات البديعية المعنوية سابقاً لدراسة المحسنات البديعية اللفظية عند كثير من البديعيين،كما كان مبحث المطابقة و المقابلة من أسبق مباحث المحسنات المعنوية، و أهمها بالبحث، و الدراسة؛ لما له من أثر واضح في تحسين الكلام؛ لذا سيكون الاستهلال به على نهج أهل البلاغة.

(١) دلائل الإعجاز:٨٣

المبحث الأول: المطابقة والمقابلة.

المطابقة والمقابلة:

ويُسمى: الطباق والتضاد أيضا، وهي: الجمع بين متضادين أي: معنيين متقابلين في الجملة، ويكون بلفظين من نوع اسمين، أو فعلين، أوحرفين، أو من نوعين مختلفين.

والمقابلة أن يُؤتى بمعنيين أو أكثر ثم يُؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب. (١)

ما يُلحق بالمطابقة:

يُلحق بالمطابقة شيئان: "أحدهما الجمع بين معنيين يتعلق أحدهما بما يقابل الآخر نوع تعلق مثل: السببية واللزوم والثاني الجمع بين معنيين غير متقابلين عُبر عنهما بلفظين يتقابل معنياهما الحقيقيان، ويسمى إيهام التضاد" (٢)

والمقابلة داخلة في الطباق قال صاحب المطول: "ودخل في الطباق ما يختص باسم المقابلة التي جعلها السكاكي وغيره قسماً برأسه من المحسنات المعنوية، وهي: أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو أكثر، أي: بمعان متوافقة ثم بما يقابل ذلك" (٣)

والأظهر فيما أرى هو: ماذهب إليه السكاكي من جعل المقابلة قسماً برأسه، لاختلافها في تركيبها عن الطباق ،وإن قامت على التضاد والتقابل.

---

(١) يُنظر: التلخيص: ٣٤٨

(٢) المطول: ٤١٨-٤١٩

(٣) السابق بتصرف.

أشهر أنواع الطباق:

ينقسم الطباق بحسب لفظه إلى أقسام:

أ-إما حقيقتان كقوله تعالى: ﴿يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ﴿١٥٦﴾﴾[1]

ب-أو مجازان كقوله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ ﴿١٢٢﴾﴾[2]

جـ-أو يكون أحد اللفظين حقيقة والآخر مجازاً .

كما أنه ينقسم من حيث النوع إلى ضربان:

أ_مطابقة الإيجاب:هي ما صُرِّح فيها بإظهار الضدين، أو هي ما لم يختلف فيه الضدان إيجابياً و سلبياً .

ب_ مطابقة السلب: وهي الجمع بين فعلين من مصدر واحد، أحدهما مثبت والآخر منفي، أو بين أمر ونهي.[3]

صورمن المطابقة والمقابلة في السورة:

من صور المطابقة بين الاسم والفعل ما جاء في قوله تعالى:

١-﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ

---

(١) آل عمران (١٥٦)

(٢) الأنعام (١٢٢)

(٣) يُنظر: شرح التلخيص للبابرتي: ٦١٦

حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾

فقوله تعالى: (وإن خفتم عيلة)" أي فقراً بسبب منع المشركين من الحج ، وما كان لكم في قدومهم عليكم من الإرفاق والمكاسب ،(فسوف يغنيكم الله من فضله) من عطائه أو من تفضله بوجه آخر"(١)

"إن ذلك الخوف إنما يكون: إذا منعوا عن دخول الحرم في الموسم إذ معظم تجارتهم في وقت الحج"(٢)

فجاء الطباق بين الاسم(عيلة)،والفعل المضارع (يغني)؛لأن الإغناء كما يكون بالمادة يكون أيضاً إغناء بالقيم، يؤكد هذا قوله سبحانه وتعالى:(إن الله عليم حكيم) أي: عليم بالأمر الذي يصلح لكم، حكيم في وضع العطاء في موضعه والمنع في موضعه"(٣)

وفي قوله تعالى:

٢- ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾

قال البيضاوي في قوله تعالى:(يوم خلق السموات والأرض) أي:" أن هذا أمر ثابت في نفس الأمر مذ خلق الله الأجرام والأزمنة"(٤)

قال القونوي في شرح قوله:"(منذ خلق الأجرام والأزمنة)"علوية كانت، أو سفلية أشار إلى

(١) الكشاف:٣/٣٠.أنوار التنزيل وأسرار التأويل:١/٤٠١

(٢) حاشية القونوي:٩/١٩٦

(٣)تفسير الشعراوي:٨/٥٠١٤

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:١/٤٠٤

أن المراد بالسموات والأجرام: عام لهما، ولما فيهما من الكواكب وحركاتها وسائر أعراضها"[١]

ومنه قوله تعالى:

٣-﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾

قال البيضاوي:"أي: إن لم تنصروه،فسينصر ه الله كما نصره، ولم يكن معه إلا رجل واحد"[٢]

وفي قوله تعالى: (وجعل كلمة الذين كفروا السفلى) يعني: الشرك أو دعوة الكفر

(وكلمة الله هي العليا) يعني: التوحيد،أو دعوة الإِ سلام، والمعنى: وجعل ذلك بتخليص الرسول ـصلى الله عليه وسلم ـ عن أيدي الكفار إلى المدينة فإنّ ه المبدأ له، أو بتأييده إياه بالملائكة في هذه المواطن، أو بحفظه، ونصره له حيث حضر"[٣]

وفي قوله تعالى:

٤ -﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾

جاء الطباق بين اسمين هما:(خفافاً وثقالاً)؛ ليدل على أن الأمر بالنفور يشمل كلّ الأحوال.

---

(١) حاشية القونوي:٩/٢١٨

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:١/٤٠٥

(٣) السابق بصفحته.

وقد"اختلف أهل التأويل في معنى الخفة والثِّقل اللذين أمر الله من كان به أحدهما بالنَّفر معه فقال بعضهم: معنى الخفة التي عناها الله في هذا الموضع: الشباب، ومعنى الثقل: الشيخوخة إن الله -تعالى ذكره- أمر المؤمنين بالنفر لجهاد أعدائه في سبيله خفافاً وثقالاً وقد يدخل في الخفافكل من كان سهلاً عليه النفر لقوة بدنه على ذلك، وصحة جسمه وشبابه، ومن كان ذا تيسر بمال، وفراغ من الاشتغال،وقادراً على الظهر والركاب، ويدخل في الثقالكل من كان بخلاف ذلك من ضعيف الجسم، وعليله ،وسقيمه، ومن معسر من المال، ومشتغل بضيعة،ومعاش، ومن كان لا ظهر له ولا ركاب، والشيخ وذو السن والعيال" (١)

وقيل:"لما نكر الله التثاقل والتباطؤ عن النفور،خاطبهم وأمرهم بالنفور تشديداً عليهم لتأخرهم عما هو نجاتهم في الدارين ثم سهل عليهم بإنزال قوله تعالى﴿ لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡأَعۡرَجِ حَرَجٞ ﴿٦١﴾ ﴾ (٢)

و(خفافاً وثقالاً) حالان من الفاعل أي على أي وجه كان من عسر ويسر حاصلين بأي سبب كان من الصحة والمرض وغيرهما"(٣)

وفي قوله تعالى:

٥-﴿ إِن تُصِبۡكَ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡۖ وَإِن تُصِبۡكَ مُصِيبَةٞ يَقُولُواْ قَدۡ أَخَذۡنَآ أَمۡرَنَا مِن قَبۡلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمۡ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

جاء الطباق بين اسمين(حسنة)،و(مصيبة)، والحسنة لاتقابلها المصيبة، وإنما تقابلها السيئة، ولكن يصح أن تقابلها لتضمن المصيبة معنى السيئةفالطباق هنا خفيٌّ وليس جلياً

(١) جامع البيان:١١/٤٥

(٢) النور(٦١)

(٣) حاشية القونوي:٩/٢٣٢

قال الشهاب في تفسير ذلك:

"قابل الله تعالى هنا الحسنة بالمصيبة، ولم يقابلها بالسيئة كما قال في سورة آل عمران ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ﴿١٢٠﴾﴾ [(١)]؛لأن الخطاب هنا للنبي–صلى الله عليه وسلم–وهي في حقه مصيبة يثاب عليها لا سيئة يعاتب عليها، والتي في آل عمران خطاب للمؤمنين"[(٢)]

وفي قوله تعالى:

٦–﴿ قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾

قال البيضاوي في تعليل مجيء الضدين في قوله تعالى:(طوعا وكرها):

"أي: لن يتقبل منكم نفقاتكم، أنفقتم طوعاً أو كرهاً ، وفائدته: المبالغة في تساوي الإنفاقين في عدم القبول"[(٣)]

وفي قوله تعالى:

٧–﴿ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾

المعنى:"خلطوا الفعل الصالح الذي هو: إظهار الندم ،والاعتراف بالذنب ،بآخر سيء هو: التخلف وموافقة أهل النفاق" [(٤)]

---

(١) سورة آل عمران(١٢٠)

(٢) عناية القاضي وكفاية الراضي:٥٧٩/٤بتصرف.

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤٠٨/١

(٤) السابق:٤١٩/١

وفي قوله تعالى:

٨- ﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾﴾

قال أبو السعود: "لا ينفقون نفقة (صغيرة)، ولو تمرة، أو علاقة سوط، ولا (كبيرة) كما أنفق عثمان -رضي الله عنه-" (١)

وقيل: "قدم الصغيرة؛ للاهتمام، أي: إذا كتبت الصغيرة، فالكبيرة أحرى"(٢)

وقيل: "لما كان القليل قد يحتقر، ابتدأ به ترغيباً في قوله: (نفقة صغيرة) ولما كان ربما تعنت متعنت فجعل ذكرها قيداً قال: (ولا كبيرة) إعلاماً بأنه معتد به لئلا يترك"(٣)

ومن المطابقة بين فعلين ما جاء في قوله تعالى:

٩- ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾

قال البيضاوي في قوله تعالى: (ويأبى الله إلا أن يتم نوره): "وإنما صح الاستثناء المفرغ والفعل موجب لأنه في معنى النفي"(٤)

قال أحد شراحه: "أشار إلى أن الإيجاب، إنما يؤول بالنفي إذا كان بمعنى النفي كيأبى، فإنه بمعنى: لا يريد كما اختار الكشاف، أو بمعنى لا يرضا كما اختاره المصنف"(٥)

---

(١) إرشاد العقل السليم: ١١١/٣

(٢) المحرر الوجيز: ٢٩٩/٨

(٣) نظم الدرر: ٤٠٢/٣

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٤٠٣/١

(٥) حاشية القونوي: ٢١٠/٩

وقال أبو السعود:"في الآية مقابلة بين إرادتهم إطفاء نور الله، وإباء الله إلا أن يتم نوره، للتوكيد وزيادة توضيح المعنى" [1]

ولعل أبّا السعود ممّن يحمل ُ المقابلة على الطباق.

ومن المطابقة بين فعلين أيضا قوله تعالى:

١٠-﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٣٧)﴾

قال البيضاوي في قوله تعالى:(زيادة في الكفر)؛لأنّه تحريم ما أحله الله، وتحليل ما حرّمه الله فهو كفر أخر ضموه إلى كفرهم،والجملتان [2]تفسير للضلال أو حال"[3]

ومنه أيضا قوله تعالى:

١١- ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (٦٦)﴾

قال الطبري في معنى الآية:"إن تتب طائفة منكم فيعفو الله عنها، يعذّب الله طائفة منكم بترك التوبة[4].

وقال ابن عاشور:"لما كان حال المنافقين عجيباً ،كانت البشارة لهم مخلوطة ببقية النذارة فأنبأهم أنّ طائفة منهم قد يُعفى عنها إذا طلبت سبب العفو:بإخلاص الإيمان، وأنّ طائفة

---

(١) إرشاد العقل السليم:٦/٦١

(٢) المقصود جملة (يحلونه)وجملة (يحرمونه)

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:١/٤٠٤

(٤) جامع البيان:١١/٥٤٦

تَبْقى في حالة العذاب، والمقام دالّ على أنّ ذلك لا يكون عبثاً، ولا ترجيحاً بدون مُرجِّح، فما هو إلاّ أنّ طائفة مرجّوة الإيمان، فيغفر عمّا قدّمت من النفاق، وأخرى تصرّ على النفاق حتى الموت، فتصير إلى العذاب" (١)

وفي قوله تعالى:

١٢-﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ ﴾

قال الألوسي في معنى قوله تعالى:"(وماكان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم) أي:" ما يستقيم من لطف الله تعالى،وإفضاله أن يصف قوماً بالضلال عن طريق الحق ويذمهم ويجري عليهم أحكامه (هَدَاهُمْ) للإسلام (حتى يتبين لهم)بالوحي صريحاً ، أو دلالة (ما يتقون) أي: ما يجب اتقاؤه من محذورات الدين فلا ينزجروا عمّا نهوا عنه، وكأنه تسلية للذين استغفروا للمشركين"(٢)

وفي قوله تعالى:

١٣-﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾ ﴾

قال الألوسي:" إن الله أيها الناس له سلطان السموات والأرض وملكهما، وكلّ من دونه من الملوك، فعبيده، ومماليكه، بيده حياتهم وموتهم، يحيي من يشاء منهم، ويميت من يشاء منهم فلا تجزعوا أيها المؤمنون من قتال من كفر بي من الملوك" (٣)

وكما هو واضح من عبارة المفسر، استعملت الحياة والموت في معناهما الحقيقي

---

(١) تفسير التحرير والتنوير:٣٦/١١

(٢) روح المعاني:٤٥/١٢/٦

(٣) السابق بصفحته

وقد استعملت في مواضع أُخرى من القرآن الكريم في المعنى المجازي كقوله تعالى:

﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢٢)﴾[١]

وفي قوله تعالى:

١٤ - الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١١٨)

قال البيضاوي في قوله تعالى(ضاقت عليهم الأرض بما رحبت)أي" : برحبها لإعراض الناس عنهم بالكلية، وهو مثل في شدة الحيرة"[٢]

قال أحد شراحه"(قوله :(أي برحبها) أي لفظة ما مصدرية لا موصولة وقوله وهو أي" ضيق الأرض(مثل لشدة الحيرة)، كأنهم لايجدون مكاناً يستقرون فيه، وتطمئن إليه نفوسهم،أو كأنهم لا يثبتون فيها، ولا يسعهم مكانهم مع سعة الأرض"[٣]

وقال الطبري في معنى قوله تعالى:(حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت) أي:بسعتها غمًّا وندماً على تخلفهم عن الجهاد مع رسول الله ــصلى الله عليه وسلمــ (وضاقت عليهم أنفسهم) بما نالهم من الوجد والكرب بذلك"[٤]

---

(١) الأنعام(١٢٢)

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٤٢٤/١

(٣) حاشية القونوي: ٣٥٩/٩-٣٦٠

(٤) جامع البيان: ٧٨/١٢

ومن الطباق بين الاسم و الفعل ما جاء في قوله تعالى:

١٥ -﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾﴾

قال القونوي:" وفيه تغيير الأسلوب حيث عبر عن الفريق الأول بالموصول، وعن الثاني باسم الفاعل المحلى باللام الموصولية؛ لرعاية الفاصلة."[١]

قال الشوكاني"كأنه قيل: لم سارعت إلى الإذن لهم؛ وهلا تأنيت حتى يتبين لك صدق من هو صادق منهم في العذر الذي أبداه، وكذب من هو كاذب"[٢]

وفي قوله تعالى:

١٦ - ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾

(قَدْ كَفَرْتُمْ) أي:" أظهرتم الكفر بما وقع منكم من الاستهزاء المذكور (بَعْدَ إِيمَانِكُمْ) أي: بعد إظهاركم الإيمان، مع كونكم تبطنون الكفر"[٣]

---

(١) حاشية القونوي:٢٣٧/٩

(٢) فتح القدير:٣٦٥/٢

(٣) السابق:٣٧٥/٢

ومن طباق السلب ما جاء في قوله تعالى:

١٧- ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾

قال القونوي في قوله تعالى:(فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون) "إشارة إلى فساد لمزهم، وأنه لا باعث عليه سوى الحرص المفرط، والمراد بالإعطاء: إعطاء ما يقصدونه، وعدم إعطائه، أو مطلق الإعطاء وعدمه، وإيراد صفة الشك بالنسبة إلى وقوع الإعطاء في نفسه، لا بالنسبة إلى المتكلم،وذكر الإعطاء مع أنّه لامدخل له في اللمز ظاهراً للتسجيل على حرصهم ،والتنبيه على أن الرضا في حال الإعطاء والسخط في تركه من ديدن السفهاء"(١)

وفي قوله تعالى:

١٨ -﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾

قال البيضاوي في قوله تعالى:(استغفر لهم أو لا تستغفر لهم)" يريد به التساوي بين الأمرين في عدم الإفادة لهم"(٢)

والمراد بالأمرين هنا الأمر والنهي، وما تستلزم من الإثبات والنفي.

---

(١) حاشية القونوي:٩/٢٥٥

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:١/٤١٤

من صور المقابلة في السورة :

١٩- قوله تعالى﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾

قال البيضاوي في قوله تعالى:(بعضهم من بعض):" أي متشابهة في النفاق والبعد عن الإيمان"(١)

والتقابل واضح في قوله تعالى:(يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف)

وفي قوله تعالى:

٢٠-﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾

قوله تعالى:(يأمرون بالمعروف) أي:"بما هو معروف في الشرع غير منكر، ومن ذلك توحيد الله سبحانه ووترك عبادة غيره(عَنِ ٱلْمُنكَرِ) أي: عما هو منكر في الدين غير معروف"(٢)

والتقابل واضح أيضا في قوله تعالى:(يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر)

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤١١/١

(٢) فتح القدير:٣٨١/٢

وفي قوله تعالى:

٢١-﴿ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾

جاءت المقابلة بين قوله تعالى:(يضحكوا قليلاً)وقوله تعالى:(يبكوا كثيراً)

قال البيضاوي:" إخبار عما يؤول إليه حالهم في الدنيا، والآخرة أخرجه على صيغة الأمر للدلالة على أنه حتم واجب، ويجوز أن يكون الضحك والبكاء كنايتين عن السرور والغم والمراد من القلة العدم"(١)

وقيل:" هو إخبار عن عاجل أمرهم وآجله من الضحك القليل في الدنيا والبكاء الكثير في الأخرى، وإخراجه في صورة الأمر للدلالة على تحتم وقوع المخبر به؛وذلك لأنّ صيغة الأمر للوجوب في الأصل والأكثر فاستعمل في لازم معناه، أو لأنه لا يحتمل الصدق والكذب بخلاف الخبر إنه يعبر عن الأمر بالخبر؛ للمبالغة لاقتضائة تحقق المأمور به فالخبر آكد الضحك والبكاء طباق"(٢)

و في المطابقة بين الضحك والبكاء، والقلة والكثرة حكم بالغفلة والجهل حيث راحوا يعيشون أيامهم القليلة في الدنيا في لهو ولذة، فنسوا أن الدنيا ممر الآخرة،وهذه هي الحقيقة التي تنبعث من الطباق هنا.(٣)

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤١٥/١

(٢) الجدول في إعراب:٤٠٦/١٠

(٣) ينظر:المعاني الثانية في الأسلوب القرآني:٤٦٠

مما تقدم يتبين لنا أن بلاغة المطابقة والمقابلة تتجلى في كونهما يجمعان بين الشيء وضده ومن شأن هذه الضدية أن تكون خير معين على تحقيق المعنى وتوكيده.

كما أنهما لا ينفصلان عن باقي علوم البلاغة، فقد يجتمع الطباق، بالكناية، والاستعارة والمجاز، وغيرها من فنون البلاغة في سياق واحد.

المبحث الثاني: المبالغة:

توطئة:

المبالغة، وتسمى الإفراط، والغلو، وهي الزيادة على التمام، سُميت مبالغة؛ لبلوغها إلى زيادة على المعنى، فلو أُزيلت تلك الزيادة، وأُسقطت كان المعنى تاماً دونها، لكن الغرض بها تأكيد ذلك المعنى في النفس وتقريره. [١]

وقد سماها القزويني في التلخيص بـ(المبالغة المقبولة)، وقال في تعريفها: أن "يُدّعى لوصف بلوغه في الشدة، أو الضعف حدّاً مستحيلاً، أو مستبعداً؛ لئلا يُظنّ أنّه غير مُتناه فيه"[٢]

وقد قيدها بالمقبولة فقال: "ومنه[٣] (المقبولة)"[٤]؛ لأنّ المردودة لا تكون من المحسنات.

قال صاحب المطول: "إشارة إلى الرد على من زعم أنها مردودة مطلقاً؛ لأنّ خير الكلام ما خرج مخرج الحق، وجاء على منهج الصدق وعلى من زعم أنّها مقبولة مطلقاً، بل الفضل مقصورٌ عليها"[٥]

---

(١) يُنظر: مقدمة ابن النقيب: ٤٠٦

(٢) التلخيص: ٣٧٠

(٣) أي: من البديع المعنوي

(٤) التلخيص: ٣٧٠

(٥) المطول: ٤٣٤

شروط قبول الغلو:

ذكر صاحب التلخيص أن المبالغة تنحصر في ثلاثة أقسام هي:التبليغ والإغراق، والغلو [1]

وذكر أن المقبول من الغلو أصناف: منها ما أُدخل عليه ما يقربه إلى الصحة نحو: لفظ (يكاد)، ومنها ما تضمّن نوعا حسناً من التخيل، ومنها ما أخرج مخرج الهزل [2].

موقف المفسرين من حصر المبالغة في الأقسام الثلاثة المذكورة:

يلحظ الباحث في كتب التفسير أنّ كثيراً من المفسرين يوسعّون دائرة المبالغة، بحيث تشمل أنواعاً أخرى لم يُشر إليها بعض البلاغيين كالخطيب وشراحه، ومن ذلك:

- التضعيف في الفعل، إذ يرون أنّ (كسّر) أبلغ من: (كَسَر) كما في قوله تعالى:

﴿وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ ﴿٢٣﴾﴾ [3]

- وكحروف الزيادة، وأيضاً وقوع النكرة في سياق النفي إلى غير ذلك مما أُشير إلى شيء منه هنا حسب أقوال بعض المفسرين.

وقد آثرت السير على طريقة المفسرين، لأنّها لا تتعارض مع ما ذكره البلاغيون، بل هي مكملة لها.

والمبالغة التي سنتناولها في هذا البحث ليست من تجاوز الحد في التهويل والتضخيم، فهي من أساليب الكذب لا من أساليب الحقيقة - تعالى كتاب الله عن ذلك عُلوّاً كبيراً - وإنما هي

(١) التلخيص: ٣٧٠

(٢) السابق: ٣٧١

(٣) يوسف(٢٣)

من: بَلَغَ الشيءُ يَبْلُغُ بُلُوغاً وبَلاغاً: وَصَلَ وانْتَهَى[1]، ومن قولنا: البليغ من المتكلمين من يصل معنى كلامه لمستمعيه ببيان حسن، وكتاب الله –عز وجل– خير ميدان لذلك.

فصيغ المبالغة واردة فيه كما في أسماء الله وصفاته كغفار، وتواب،وعليم وغيرها فهي صيغ مبالغة تدل على كثرة الشيء وعلى عظمه،وهي هنا للمدح، وقد ترد مثل هذه الصيغ في حق المشركين، لكثرة إشراكهم بالله –عز وجل– لتفيد المبالغة في الذم ، وهذه الصيغ لا تخرج القرآن الكريم عن أن يكون حقا؛ لأن القرآن ألفاظه هي أحسن ما يدل به على معاني القرآن والأمثلة على ذلك في سورة التوبة أكثر من أن تعد.

صور من المبالغة في السورة:

من المبالغة التي جاءت نتيجة لوقوع النكرة في سياق الكلام قوله تعالى:

١- ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ ﴾

قال ابن عاشور:"ذكر كلمة (شيئاً) للمبالغة في نفي الانتقاص؛لأنّ كلمة (شيء)نكرة عامّة، فإذا وقعت في سياق النفي أفادت انتفاء كلّ ما يصدق عليه أنّه موجود"[2]

وفي قوله تعالى:

٢-﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ ﴾

قال البيضاوي في قوله تعالى:(كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله):

---

(١) لسان العرب:٤٢٠/٨

(٢) تفسير التحرير والتنوير:١١٣/١٠

"استفهام بمعنى الإِ نكار، والاستبعاد؛لأنّ يكون لهم عهد، ولا ينكثوه مع وغرة صدورهم"[(١)]

قال أحد شراحه:"قوله:(لأنْ يكون لهم عهد)، أي: إنكار الكيفية ،كناية عن إنكار العهد ففيه مبالغة"[(٢)]

ونلحظ هنا أن المبالغة جاءت عن طريق الكناية.

قال أبو السعود:"توجيه الإنكارِ إلى كيفية ثبوتِ العهدِ من المبالغة ما ليس في توجهه إلى ثبوته؛لأنَّ كلَّ موجودٍ يجب أن يكون وجودُه على حال من الأحوال قطعاً، فإذا انتفى جميعُ أحوالِ وجودِه فقد انتفى وجودُه على الطريق البرهاني، أي في أي حالٍ أو يوجد لهم عهدٌ معتدٌّ به"[(٣)].

ومن وقوع النكرة في سياق النفي أيضا قوله تعالى:

٣-﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣ ﴾

قال البيضاوي :"(ألا تقاتلون قوما) "تحريض على القتال؛لأنّ الهمزة دخلت على النفي للإنكار، فأفادت المبالغة في الفعل"[(٤)]

قال أحد شراحه:"وجه المبالغة أن الهمزة دخلت على ألا تقاتلون تقريراً بانتفاء المقاتلة ومعناه التحضيض على المقاتلة على سبيل المبالغة"[(٥)]

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:١/٣٩٦

(٢) حاشية القونوي:٩/١٦٠

(٣) إرشاد العقل السليم:٣/٤٤

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:١/٣٩٧

(٥) حاشية ابن التمجيد:٩/١٧٢

وقال شارح آخر:"لأنّه طريق برهاني، إذ إنكار ضد الشيء، ونقيضه دليل برهاني على التحريض على ذلك الشيء"[١]

وفي قوله تعالى:

٤-﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾﴾

قال القونوي في قوله تعالى:(يبشرهم):"هذا أبلغ من قول(بشرهم)لأنّ فيه إجلالاً منه تعالى، ولفظ الربّ أوقع من سائر الأسماء"[٢] وقال ابن عاشور في قوله تعالى:(ورضوان):"الرِضوان ـ بكسر الراء وبضمها ـ: الرضا الكامل الشديد؛لأنّ هذه الصيغة تشعُر بالمبالغة مثل الغُفران والشُكران والعِصيان"[٣]

أما في قوله تعالى:(لهم فيها نعيم)، فقال القونوي:"أي: نعمة خالصة عن الكدورات إذ النعيم مبالغة في النعمة"[٤]

وفي قوله تعالى:

٥-﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾

قال البيضاوي في قوله تعالى:"(في مواطن كثيرة): " مواطن الحرب وهي مواقعها"[٥]

وقال أحد شراحه: "التعبير بالمواطن للمبالغة،لأنّ الحرب تَوَطنُ فيه، كتوطن المتوطن في

(١) حاشية القونوي:٩/١٧٢

(٢) السابق:٩/١٨٣

(٣) تفسير التحرير والتنوير:١٠/١٤٩

(٤) حاشية القونوي:٩/١٨٣

(٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:١/٤٠٠

وطنه"(١)

في قوله تعالى:

٦-﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾

قال البيضاوي في قوله تعالى:(فلا يقربوا المسجد الحرام):"لنجاستهم، وإنما نهى عن الاقتراب للمبالغة،أو للمنع عن دخول الحرم، وقيل المراد به: النهي عن الحج والعمرة لا عن الدخول مطلقاً " (٢)وقال أحد شراحه:" إذالمراد :النهي عن الدخول، فالمنع عن قربه أبلغ "(٣)

وقال ابن عاشور:" ظاهره نهي للمشركين عن القرب من المسجد الحرام، ومواجهةُ المؤمنين بذلك تقتضي نهي المسلمين عن أن يقرب المشركون المسجد الحرامجعُل النهي عن صورة نهي المشركين عن ذلك مبالغة في نهي المؤمنين حين جُعلوا مكلّفين بانكفاف المشركين عن الاقتراب من المسجد الحرام" (٤)

وفي قوله تعالى:

٧-﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

(١) حاشية القونوي:١٨٧/٩

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤٠١/١

(٣) حاشية القونوي:١٩٥/٩

(٤) تفسير التحرير والتنوير: ١٦٠/١٠

قال البيضاوي في قوله تعالى:(قاتلهم الله) أي :"دعاء عليهم بالإِ هلاك،فإن من قاتله الله هلك، أو تعجب من شناعة قولهم" [(١)]

قال القونوي:(قوله دعاء عليهم بالإهلاك):"هو طلب من ذاته أن يلعنهم،أو تعليم للمؤمنين أن يدعوا عليهم بذلك، أشار إلى أن (المقاتلة) على (المفاعلة)إذ المعنى أنّه صار بحيث يتصدى لمحاربته فإن من قاتله الله، فهو مقتول، ومن غالبه فمغلوب"[(٢)]

وقال ابن عاشور جاءت جملة :(قاتلهم الله) دعاءً مستعملاً في التعجيب، وهو مركب يستعمل في التعجيب من عمل شنيع، والمفاعلة فيه للمبالغة في الدعاء:، أي قتلهم الله قتلاً شديداً " [(٣)]

وفي قوله تعالى:

٨-﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾

قال أبو السعود في قوله تعالى:(ويأبى الله):" من المبالغة والدِ لالة على الامتناع، ما ليس في نفي الإرادةِ ، والمعنى المراد أنّه لا يريد شيئاً من الأشياء إلا إتمامَ نورِه ،فيندرج في المستثنى منه بقاؤه على ما كان عليه فضلاً عن الإطفاء"[(٤)]

وقيل: (لو)في قوله تعالى : (ولو كره الكافرون):اتصالية، وهي تفيد المبالغة بأنّ ما بعدها أجدر بانتفاء ما قبلها لو كان منتفياً ، والمبالغة بكراهية الكافرين ترجع إلى المبالغة بآثار تلك الكراهية، وهي التألّب، والتظاهر على مقاومة الدين وإبطاله أمّا مجرد كراهيتهم فلا قيمة لها

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤٠٢/١

(٢) حاشية القونوي:٢٠٧/٩

(٣) تفسير التحرير والتنوير:١٦٩/١٠

(٤) إرشاد العقل السليم:٦١/٣

عند الله تعالى حتى ّ يبالَغ بها" [١]

وفي قوله تعالى:

٩-﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾

قال ابن التمجيد في قوله تعالى:(ليظهره على الدين كله):" في الإظهار على الدين كله مبالغة في إظهار الحق ،كما أن في الترك مبالغة في إظهار الباطل"[٢]

وفي قوله تعالى:

١٠-﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

قال البيضاوي في قوله تعالى:(يوم يحمى عليها في نار جهنم):" أصله تحمى بالنّار فجعل الإِحماء للنّار مبالغة"[٣]

قال أحد شراحه:"(قوله فجعل الإحماء للنّار مبالغة)لأنّ النّار أبلغ ،وأشد في الإحماء والإسخان،للفرق الظاهر بين إحماء النّار على الكنوز،وإحماء الكنوز في النّار،فإنّ معنى إحماء النّار على الكنوز: إيقادها عليها بحرارة شديدة،وإحماء الكنوز في النّار عبارة عن تسخينها والأوّل أبلغ"[٤]

وقد أفاد أبو السعود من البيضاوي في كلامه فقال:يوْم توقد النّار ذات حمى

(١) تفسير التحرير والتنوير: ١٧٢/١٠

(٢) حاشية ابن التمجيد:٢١٠/٩

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٤٠٣/١

(٤) حاشية ابن التمجيد:٢١٥/٩

شديداً عليها وأصله تحمى بالنار فجعل الإِحماء للنّار مبالغة، ثم حذفت النّار، وأسند الفعل إلى الجار والمجرور؛ تنبيهاً على المقصود، فانتقل من صيغة التأنيث إلى صيغة التذكير" [١]

وقيل: بإضافة النّار إلى جهنم، عُلم أن المحمي هو: نار جهنم، التي هي أشد نار في الحرارة، فجاء تركيباً بديعاً من البلاغة، والمبالغة في إيجاز."[٢]

ومن صيغ المبالغة ماجاء في قوله تعالى:

١١- ﴿ لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾

قال البيضاوي في قوله تعالى: (وفيكم سماعون لهم) أي: ضَعَفَة يسمعون قولهم، ويطيعونهم أو نمامون يسمعون حديثكم للنقل إليهم"[٣]

قال أحد شراحه: لم يُشر إلى المبالغة المستفادة من الصيغة[٤] بحسب الظاهر"[٥]

أما ابن عاشور فقال: والسرّ في مجيء صيغة (سمّاعون) بصيغة المبالغة؛ للدلالة على أنّ استماعهم تامّ وهو الاستماع الذي يقارنه اعتقاد ما يُسمع" [٦]

---

(١) إرشاد العقل السليم: ٦٢/٣

(٢) تفسير التحرير والتنوير: ١٧٩/١٠.

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٤٠٧/١

(٤) صيغة: (سمّاعون)

(٥) حاشية القونوي: ٢٤٤/٩

(٦) تفسير التحرير والتنوير: ٢١٨/١٠

وأيضا من المبالغة في الصيغة ما جاء في قوله تعالى:

١٢- ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾﴾

قال ابن عاشور في قوله تعالى:(وقلّبوا لك الأمور):"يجوز أن يكون فعل(قلّبوا) مبالغة في قَلَب الأمر أخفى ما كان ظاهراً منه وأبدى ما كان خفيّاً " (١)

وفي قوله تعالى:

١٣- ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾﴾

قال البيضاوي في قوله تعالى:(ألا في الفتنة سقطوا)" أي: إن الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي: فتنة التخلف، أو ظهور النفاق لا ما احترزوا عنه" (٢)

قال أحد شراحه:"كلام المصنف هنا محمول على هذا الادعاء،كأن فتنة التخلف وظهور النفاق حقيقة الفتنة، فإنها لاحقيقة لها وراء ذلك، وفيه من المبالغة ما لايخفى"(٣)

---

(١) تفسير التحرير والتنوير:١٠/٢١٩

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:١/٤٠٧

(٣) حاشية القونوي:٩/٢٤٧

وكما ترتبط فنونُ البيان كثيراً بالمبالغة، يرتبط القصرُ أيضاً بها، وقد أشار ابن عاشور إلى مواضع كثيرة من القصر ارتبط فيها بالمبالغة كقوله تعالى:

١٤- ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾﴾

قال البيضاوي في قوله تعالى: ﴿إِنَّ المنافقين هُمُ الْفَاسقون﴾ أي: "الكاملون في التمرد والفسوق عن دائرة الخير"(١)

قال أحد شراحه:"حمل الفاسقين على الكمال؛ليصح الحصر"(٢) وقال ابن عاشور:"جاءت صيغة القصر في قوله تعالى:(إن المنافقين هم الفاسقون) للقصر الإضافي الذي يفيد المبالغة؛ لأنهم لما بلغوا النهاية في الفسوق جُعل غيرهم كمن ليس بفاسق" (٣)

وفي قوله تعالى:

١٥- ﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾﴾

قال البيضاوي في قوله تعالى:(أولئك حبطت أعمالهم) أي: "لم يستحقوا عليها ثواباً في الدارين (وأولئك هم الخاسرون) الذين خسروا الدنيا والآخرة"(٤)

قال أحد شراحه:"(قوله:لم يستحقوا) أي: "المراد من الحبط: بطلان العمل

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤١١/١

(٢) حاشية القونوي:٢٧٥/٩

(٣) تفسير التحرير والتنوير: ٢٥٥/١٠

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤١٢/١

بسبب الكفر بعد كونه صحيحاً وهنا ليس كذلك، ولذا قال المصنف:(لم يستحقوا عليها) وحبطه في الآخرة ظاهر، وأما في الدنيا؛ فلأنهم لايجازون بالأعمال فلا تكون سبباً لدفع الهوان،والخزي عنهم كما كانت سبباً له في حق المخلصين وقوله:(الذين خسروا الدنيا) كما يدل عليه ماقبله فلا إشكال في الحصر"(١)

قال ابن عاشور:"السين والتاء في قوله تعالى:(استمتعوا)؛"للمبالغة في قوة التمتع، لما كانت خسارة من ذكروا في هذه الآية جسيمة،جُعل غيرهم من الخاسرين كلا خاسرين،فحُصرت الخسارة في هؤلاء بقوله تعالى:(وأولئك هم الخاسرون)قصراً مقصوداً به المبالغة" (٢)

وفي قوله تعالى:

١٦-﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٖ مِّنۡهُمۡ فَٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِلۡخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدٗا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّاۖ إِنَّكُمۡ رَضِيتُم بِٱلۡقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٖ فَٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡخَٰلِفِينَ ٨٣ ﴾

قال البيضاوي في قوله تعالى:(لَن تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدٗا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّا):"إخبار في معنى النهي؛ للمبالغة"(٣)

قال أحد شراحه: (قوله:إخبار في معنى النهي؛ للمبالغة)،المعنى: "فقل:لاتخرجوا معي أبداً ولاتقاتلوا معي عدواً ، فعدل عنه إلى الخبر مبالغة،كما يُعدلُ عن الأمر إلى الإخبار لذلك، في نحو:(رحمه الله) إذ المعنى :ليرحمه الله ،ويؤيد عطف (فاقعدوا)عليه أن هذا النهي في المعنى وجه المبالغة في مثل ذلك هو: إفادة الكلام حينئذ أن المطلوب بالأمر، أو النهي قد وقع وحصل فاخبر عنه"(٤)

---

(١) حاشية القونوي:٩/٢٧٨-٢٧٩

(٢) تفسير التحرير والتنوير:١٠/٢٥٨ ومابعدها

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:١/٤١٥

(٤) حاشية ابن التمجيد:٩/٣٠٠

وفي قوله تعالى:

١٧ -﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ ﴾

قال البيضاوي في قوله تعالى:(عليهم دائرة السوء): "(السوء)بالفتح مصدر أُضيف إليه للمبالغة ،كقولك: رجل صدق"[1]

قال أحد شراحه:"(قوله: السّوء) بالفتح مصدر أضيف إليه للمبالغة) إذ المصيبة سيئة لا نفس السوء لكن جعلت نفس السوء مبالغة"[2]

وفي قوله تعالى:

١٨ -﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾

قيل:"الاعتراف في قوله تعالى:(وآخرون اعترفوا بذنبهم):"افتعال من الفعل (عَرف) وهو: للمبالغة في المعرفة؛ولذلك صار بمعنى الإقرار بالشيء، والاعتراف بالذنب: كناية عن التوبة منه؛لأنّ الإقرار بالذنب الفائت إنما يكون عند النّدم والعزم على عدم العود إليه، ولا يُتصور فيه الإقلاع الذي هو من أركان التوبة؛لأنّه ذنب مضى، ولكن يشترط فيه العزم على أن لا يعود" [3]

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ١/٤١٨

(٢) حاشية القونوي: ٩/٣١٩

(٣) تفسير التحرير والتنوير: ١١/٢١

وفي قوله تعالى:

١٩-﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٩ ﴾

قيل في قوله تعالى:(والله لايهدي القوم الظالمين)" المراد بالظالمين: جنس الظالمين فيدخل الذين اتخذوا مسجدا دخولاً أولياً ويحتمل أن يكون المراد له: أن تكون اللام للعهد، فوضع الظاهر موضع الضمير؛ للتسجيل على ظلمهم لأنفسهم؛ وللإشارة إلى علة الحكيم، والتأكيد المستقى من الجملة للمبالغة في الإقناط"(١)

وفي قوله تعالى:

٢٠-﴿ لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ١١٠ ﴾

قال البيضاوي في قوله تعالى: (لا يزال بنيانهم الذي بنوا)، المعنى:" أن بناءهم هذا لا يزال سبب شكهم وتزايد نفاقهم فإنه حملهم على ذلك،ثم لما هدمه الرسول ـصلى الله عليه وسلم رسخ ذلك في قلوبهم، وازداد بحيث لا يزول وسمه عن قلوبهم:(إلا أن تقطع قلوبهم)قطعاً بحيث لا يبقى لها قابلية الإدراك، وهو: في غاية المبالغة"(٢)

و قال أحد شراحه:جعل البنيان نفس الريبة مبالغة"(٣)

وقيل:جعل البنيان ريبة في هذه الآية:مبالغة كالوصف بالمصدر، والمعنى أنه سبب للريبة في

(١) حاشية القونوي:٣٤٢/٩

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤٢٢/١

(٣) حاشية القونوي:٣٤٣/٩

قلوبهم"(١)

وفي قوله تعالى:

٢١-﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ١١٣ ﴾

قال ابن عاشور:"جاءت صيغة النهي بطريق نفي الكون مع لام الجحود؛ مبالغة في التنزه عن هذا الاستغفار، وزيادة جملة:(ولو كانوا أولي قربى) في الآية للمبالغة في استقصاء أقرب الأحوال إلى المعذرة، كما هو مفاد (لو) الوصلية، أي فأولى إن لم يكونوا أولي قربى

وهذه المبالغة لقطع المعذرة عن المخالف، وتمهيد لتعليم من اغتر بما حكاه القرآن من استغفار إبراهيم لأبيه" (٢)

وفي قوله تعالى:

٢٢-﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ١١٤ ﴾

قال البيضاوي في قوله تعالى: (إن إبراهيم لأواه) لكثير التأوّه ،وهو كناية عن فرط ترحمه ورقة قلبه"(٣)

قال أحد شراحه:التأوّه عبارة عن قول القائل:(آه) فلزمه ذلك، وهذا المعنى الكنوي هو المراد هنا مع صحة إرادة المعنى الحقيقي"(٤)

(١) تفسير التحرير والتنوير:٣٦/١١

(٢) تفسير التحرير والتنوير:٤٤/١١ ومابعدها

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤٢٣/١

(٤) حاشية القونوي:٣٥٣/٩

قال ابن عاشور:"لفظ (أوّاه) دل على المبالغة؛ لأن أوّاه هو الذي يكثر قول أوّه والوصف (أواه) كناية عن الرأفة ورقة القلب والتضرع حين يُوصف به من ليس به وَجع، والفعل المشتق منه (أوّه) حقه أن يكون ثلاثياً ؛ لأن أمثلة المبالغة تصاغ من الثلاثي" (١)

وفي قوله تعالى:

٢٣-﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾

قال البيضاوي (العسرة):" هي حالهم في غزوة تبوك، كانوا في عسرة من الظَهر(٢)، يعتقب العشرة على بعير واحد والزاد،حتى قيل: إن الرجلين كانا يقتسمان تمرة، والماء حتى شربوا الفَظّ(٣) "(٤)

قال ابن عاشور:" العسرة: اسم العسر، زيدت فيه التاء للمبالغة وهي الشدة" (٥)

وفي قوله تعالى:

٢٤-﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾

قال البيضاوي في قوله تعالى:(إن الله هو التواب) :"من تاب ولو عاد في اليوم مائة مرة"(٦)

(١) تفسير التحرير والتنوير: ٤٦/١١

(٢) الظهر مجاز عن الدابة التي تُركب. ينظر: لسان العرب: ٥٢٢/٤

(٣) الفَظّ: ماء يُعتصر من ماء كرش البعير بعد نحره. ينظر: لسان العرب: ٤٥٢/٧

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٤٢٤/١

(٥) تفسير التحرير والتنوير: ٥٠/١١

(٦) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٤٢٤/١

قال أحد شراحه: قوله: (من تاب ولو عاد في اليوم مائة مرة) فهم من صيغة المبالغة"[1]

وفي قوله تعالى:

٢٥ - ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾

قال البيضاوي في قوله تعالى: (ماكان لأهل المدينة): "عبر به بصيغة النفي للمبالغة"[2]

قال ابن عاشور: "صيغة (ما كان لأهل المدينة) خبر مستعمل في إنشاء الأمر على طريق المبالغة، إذ جعل التخلف ليس مما ثبت لهم، فهم برآء منه، فيثبت لهم ضده، وهو: الخروج مع ـ النبي صلى الله عليه وسلم ـ إذا غزا"[3]

وفي قوله تعالى:

٢٦ - ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾

قال القونوي في قوله تعالى: (وليجدوا فيكم غلظة): "وهذا أبلغ من قول: (واغلظوا عليهم) لكونه كناية، قالوا: إنها كلمة جامعة للجرأة، والصبر على القتال، وشدة العداوة والعنف في القتل والأسر"[4] و قال ابن عاشور: " هو أمر المؤمنين بأن يكونوا أشداء في قتالهم، وهذه مبالغة مبالغة في الأمر بالشدة لأنه أمر لهم بأن يجد الكفار فيهم الشدة، وذلك الوجدان لا يتحقق إلا

(١) حاشية القونوي: ٣٦٠/٩

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٤٢٤/١

(٣) تفسير التحرير والتنوير: ٥٥/١١

(٤) حاشية القونوي: ٣٧٢/٩

إذا كانت الغلظة بحيث تظهر وتَنال العدو فيحِس بها"[1]

وفي قوله تعالى:

٢٧-﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١٢٨﴾

قال البيضاوي في قوله تعالى:(حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم):" قدم الأبلغ منهما وهو الرؤوف؛لأنّ الرأفة شدة الرحمة؛ محافظة على الفواصل" [2]

والأبلغ هنا"من المبالغة لا من البلاغة إذ لا وجه لها هنا (وقوله لأن الرأفة شدة الرحمة)علة الأبلغية"[3]

وقيل:"معنى الرؤوف: الشديد الرأفة، والرحيم: الشديد الرحمة، وهما صيغتا مبالغة، تتنازعان المجرور المتعلق بهما وهو (بالمؤمنين)"[4]

مما سبق يتبين لنا أن المبالغة لا تنفصل عن باقي فنون البلاغة، فهي شبه ملازمة للكثير منها كالقصر والكناية وغيرهما من الفنون البلاغية.

---

(١) تفسير التحرير والتنوير: ٦٣/١١

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٤٢٦/١

(٣) حاشية القونوي: ٣٧٧/٩

(٤) تفسير التحرير والتنوير: ٧٣/١١

المبحث الثالث:التقسيم

توطئة:

قال السكاكي في تعريف التقسيم:"هو أن تذكر شيئاً ذا جزأين، أو أكثر، ثم تضيف إلى كل واحد من أجزائه ما هو عندك."[1]

وقال الخطيب:"هو ذكر متعدد، ثم إضافة ما لكل إليه على التعيين"[2]

وقال أحد شراح الخطيب:"(قوله:ذكر متعدد ثم إضافة مالكل..شامل للف أيضاً وبقوله:(على التعيين) خرج اللف"[3]وهذا يقتضي أن يكون التقسيم أتمّ من (اللف والنشر)

أما الجمع،فهوأن يجمع بين شيئين،أو عدة أشياء،فتحكم عليها بحكم واحد[4]، ومعناه: إدخال جزأين، أو أكثر تحت حكم واحد.

وقيل: التقسم: أن يتعلق فيه منطوق الكلام، أو مفهومه، بمعنى له أقسام عندك، أو في نفس الأمر كقوله تعالى:"﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ ﴾"[5]

فإن الإنسان: إما عقيم،أو غيره، والثاني إما:أن يلد ذكراً أو أنثى، أو كليهما

---

(١) مفتاح العلوم:٥٣٥

(٢) الإيضاح:٢/٦/٤٧

(٣) شرح التلخيص للبابرتي:٦٣٤

(٤) طراز الحلة وشفاء الغلة:٥٠٦

(٥) الشورى(٤٩)

والآية استوفت جميع الأقسام وعليه قوله تعالى:[1]

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ ﴾[2]

صور تمتزج بالتقسيم:

هناك صور أخرى تمتزج بالتقسيم منها:

١-الجمع مع التقسيم.

٢-الجمع مع التفريق والتقسيم.

كما أنه قد يُطلق التقسيم على أمرين آخرين:

أحدهما: أن يذكر أحوال الشيء مضافاً إلى كل حال مايليق به.

والثاني : استيفاء أقسام الشيء بالذكر .[3]

ذكر البابرتي:أن الجمع مع التقسيم على ضربين:

الأول:جمع متعدد تحت حكم، ثم تقسيمه، أو العكس، يعني تقسيمه ثم جمعه.

كقول المتنبي:

---

(١) فاطر(٣٢)

(٢) يُنظر:شرح التلخيص للبابرتي:٦٣٩

(٣) الإيضاح:٢/٦/٤٨

للسبي مانكحوا والقتل ماولدوا   والنهب ماجمعوا والنار مازرعوا

فقد جمع الشاعر في البيت الأوّل: شقاء الروم بالممدوح على سبيل الإجمال حيث قال: تشقى به الروم ثم فصل في الثاني وقسمه.

الثاني كقول حسان بن ثابت[(١)] ـرضي الله عنهـ:

قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم   أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا

سجيّة تلك منهم غير محدثة   إن الخلائق فاعلم شرها البدع

قسم الشاعر في البيت الأوّل صفة الممدوحين إلى ضر الأعداء، ونفع الأولياء، ثم جمعها في البيت الثاني بقوله: (سجيّة) [(٢)]

وفي الجمع مع التفريق والتقسيم قال البابرتي:

"هو كقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦۚ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ ﴾"[(٣)]

جمع تعالى في الآية بقوله: (لا تكلم نفس)؛ لكونها نكرة في سياق النفي تعم، وفرق

(١) حسان بن ثابت بن المنذر الأنصاري جاهلي إسلامي، فحل من فحول الشعراء توفي في خلافة معاوية. يُنظر: الشعر والشعراء: ١٩٢

(٢) شرح التلخيص للبابرتي: ٦٣٦-٦٣٧ بتصرف.

(٣) هود (١٠٥ـ١٠٨)

بقوله:(فمنهم شقي وسعيد)، ثم قسم بقوله:(فأما الذين شقوا ففي النار، وأما الذين سعدوا ففي الجنة)"(١)

ويلحظ الباحث: أنه لا خلاف في حسن هذا النوع البديعي، ولكن كان الأولى في هذه الأقسام الممتزجة بالتقسيم:أن تجُمع تحت مبحث التقسيم بفروعه التي أشرت إليها، لا أن يجُعل كل ّواحد ٍ منها محُسناً منفرداً ،وخاصة أنّ المفسرين لم يتحدث الكثير منهم عن هذه التفريعات.

صور من التقسيم في السورة:

من صور هذا الفن في السورة ماجاء في قوله تعالى:

١ -﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾

قيل:الفاء للإيذان بأن التوبيخ بما نُعي عليهم من الخبائث،يكون سبباً لكونهم فريقين: فريق منهم تائبون، وفريق آخر ناكثون، أو لتفصيل حالهم بعد بيان شناعتهم وشدة شكيمتهم"(٢)

وفي قوله تعالى:

٢ -﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَـٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّـٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾﴾

قال أبو حيان في تفسير هاتين الآيتين:"لما كانت الأوصاف التي تحلو بها وصاروا بها عبيده حقيقة هي ثلاثة: الإيمان، والهجرة ،والجهاد، بالمال، والنفس، قوبلوا في التبشير بثلاثة: الرحمة،

(١) يُنظر:شرح التلخيص للبابرتي:٦٣٧-٦٣٨

(٢) حاشية القونوي:١٦٨/٩

والرضوان، والجنات، فبدأ بالرحمة لأنها الأعم الناشيء عنها تيسير الإيمان لهم ، وثنى بالرضوان؛ لأن الغاية من إحسان الرب لعبده،وهو مقابل الجهاد؛إذا هو بذل النفس والمال وقدم على الجنات لأن رضا الله عن العبد، أفضل من إسكانهم الجنة،وأتى ثالثاً بقوله:(وجنات لهم فيها نعيم مقيم) أي: دائم لاينقطع، وهذا مقابل لقوله تعالى:(وهاجروا)؛لأنهم تركوا أوطانهم التي نشأوا فيها، وكانوا فيها منعمين، فآثروا الهجرة على دار الكفر إلى مستقر الإيمان والرسالة، فقوبلوا على ذلك بالجنات ذوات النعيم الدائم، فجاء الترتيب في أوصافهم على حسب الواقع: الإيمان، ثم الهجرة، ثم الجهاد، وجاء الترتيب في المقابل على حسب الأعلم، ثم الأشرف،ثم التكميل"[1]

وعلى الرغم من أن أبا حيان لم يشر إلى أن في هذه الآية مثل هذا الفن،إلا أن مضمون كلامه يوحي بذلك،وقد يكون مافي هذه الآيتين من قبيل: اللف والنشر المرتب، حيث ذكر المتعدد، ثم جاء بما يناسب كل واحد منها على نفس الترتيب.

وفي قوله تعالى:

٣-﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾

قال البيضاوي في قوله تعالى:(انفروا خفافا) أي:"لنشاطكم له(وثقالاً) لمشقته عليكم، أو لقلة عيالكم، ولكثرتها،ركباناً ومشاة، أو خفافاً وثقالاً من السلاح، أو صحاحاً ومراضاً "[2]

قال القونوي شارحا: قوله:(انفروا)"لما أنكر الله التثاقل،والتباطؤ عن النفور، خاطبهم وأمرهم بالنفور؛تشديداً عليهم؛ لتأخرهم عما هو نجاتهم في الدارين،ثم سهل عليهم بإنزال قوله ﴿لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ ﴿٦١﴾﴾[3]و(خفافا وثقالا):حالان من الفاعل ،أي:على أي وجه

(١) تفسير البحر المحيط:٥/٢٧ ومابعدها

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:١/٤٠٦

(٣) سورة النور(٦١)

كان ،من عسر، أو يسر حاصلين بأي سبب كان من الصحة"(١)

ذكر الله تعالى في هذه السورة بعض أحوال المنافقين في كثير من الآيات بطريقة التقسيم فيما يظهر، وإن كان من وقف عنده من المفسرين قلة، وذلك في الآيات التي تبدأ بقوله تعالى:(ومنهم).

وفي قوله تعالى:

٤-﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾﴾

قال البيضاوي في قوله تعالى (ومنهم من يقول ائذن لي) أي:"في القعود،(ولاتفتني): ولا توقعني في الفتنة ،أي: في العصيان، والمخالفة بأن لا تأذن لي، وفيه إشعار:بأنّ ه لا محالة متخلف: أذن له، أم لم يأذن، أو في الفتنة بسبب: ضياع المال ،والعيال إذ لا كافل لهم بعدي أو في الفتنة بنساء الروم"(٢)

قال القونوي شارحا:"كلام المصنف هنا محمول على هذا الإدعاء، كأن فتنة التخلف وظهور النفاق حقيقة الفتنة، فإنها لاحقيقة لها وراء ذلك"(٣)

وفي قوله تعالى:

٥-﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾﴾

قال البيضاوي في قوله تعالى:(ومنهم من يلمزك)أي:" يعيبك، قيل: إنها نزلت في أبي

---

(١) حاشية القونوي:٩/٢٣٢

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:١/٤٠٧

(٣) حاشية القونوي:٩/٢٤٧

الجواظ المنافق"(١) وقال أحد شراحه:"هذا بيان خبث بعض أصنافهم"(٢)

وفي قوله تعالى:

٦-﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾

قال ابن عاشور:"جاء ذكر هذه الخصلة مع الخصلتين الأُخريَين على عادة القرآن في انتهاز فرصة الإرشاد إلى الخير، بالترغيب والترهيب، فرغَّبَهم في الإيمان ليُكفِّروا عن سيّئاتهم الفارطة ثم أعقب الترغيب بالترهيب من عواقب إيذاء الرسول-صلى الله عليه وسلم- بقوله:(والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم) وهو إنذار بعذاب الآخرة وعذاب الدنيا"(٣)

وفي قوله تعالى:

٧-﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾

قال أبو السعود:"هُم بيانٌ لقبائح بعضٍ آخرَ منهم"(٤)

وفي قوله تعالى:

٨-﴿ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

قال الطبري في معنى هذه الآية:أي:"يا محمد إن يصبك سرور بفتح الله عليك أرض الروم في غزاتك هذه يسوء الجدّ بن قيس ونظراءه وأشياعهم من المنافقين، وإن تصبك مصيبة بفلول

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤٠٩/١

(٢) حاشية القونوي:٢٥٥/٩

(٣) تفسير التحرير والتنوير:٢٤٤/١٠

(٤) إرشاد العقل السليم:٨٥/٣

جيشك فيها يقول الجدّ ونظراؤه: (قد أخذنا أمرنا من قبل) أي: قد أخذنا حذرنا بتخلفنا عن محمدوترك اتباعه إلى عدوّه، (من قبل) يقول: من قبل أن تصيبه هذه المصيبة(وتولوا وهم ففرحون) يقول:ويرتدوا عن محمد، وهم فرحون بما أصاب محمداً -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه من المصيبة بفلول أصحابهوانهزامهم عنه وقَتْل من قُتِل منهم." (١)

وفي قوله تعالى:

٩- ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾

قال البيضاوي في معنى قوله تعالى: (قل هل تربصون بنا)أي:"تنتظرون بنا(إلا إحدى الحسنيين)إلا إحدى العاقبتين اللتين كلٌّ منهما حُسنى العواقب: النصرة، والشهادة(وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ)أيضاً إحدى السوءين (أن يصيبكم الله بعذاب) :بقارعة من السماء(أو بأيدينا) أو بعذاب بأيدينا، وهو القتل على الكفر" (٢)

قال القونوي شارحاً :"أراد المصنف به تحصيل حسن المقابلة بما قبله، فإن في النظم الجليل لم يعبر بالسوء الذي هو مشترك بين جميع القبائح، بل ذكر ماهو المراد من التفصيل والتعيين؛ لانتفاء نكتة الإبهام هنا التي ذكرنا في مقابله، ومن هذا ينكشف وجه تغيير الأسلوب الذي تتحير فيه القلوب"(٣)

وفي قوله تعالى:

١٠ -﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَـٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾

قال البيضاوي:"(ويحلفون بالله)أي: إنهم لمن جملة المسلمين(وَمَا هُم مِّنكُمْ): لكفر

---

(١) جامع البيان:١١/٣٤

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:١/٤٠٨

(٣) حاشية القونوي:٩/٢٥٠

قلوبهم،(ولكنهم قوم فرقون): يخافون منكم أن تفعلوا بهم ما تفعلون بالمشركين فيظهرون الإِ سلام تقية"[(١)]

وفي قوله تعالى:

١١-﴿ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾

قال البيضاوي في قوله تعالى:(لو يجدون ملجأ) أي:حصناً يلجؤون إليه، (أو مغارات)أي: غيراناً (أو مدخلا)أي: نفقاً ينجحرون فيه "[(٢)]

إنهم لخوفهم من الخروج إلى الغزو: لو استطاعوا أن يجوا مكاناً ممّا يختفي فيه المختفي فلا يشعر به الناس، لقصدوه مسرعين خشية أنجُ بروا على الخروج، لذا جاء بهذه التقسيمات الثلاثة التي تشمل كل ّ مايمكن أن يخُ تفى فيه.[(٣)]

وفي قوله تعالى:

١٢-﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾

قوله تعالى:"(إنما الصدقات)شُروعٌ في تحقيقحقِّية ِ ما صنعه الرسولُ -صلى الله عليه وسلم- من القسمتبيان المصارف ِ وردٌّ لمقالة القالة ِ في ذلكوحسمٌ لأطماعهم الفارغة المبنية ِ على زعمهم الفاسد بِبيان أنهم بمعزل من الاستحقاق، أي جنسُ

الصدقات المشتملة ِ على الأنواع المختلفة (للفقراء والمساكين) أي:مخصوصةٌ بهؤلاء الأصناف ِ الثمانية ِ الآتية، لا تتجاوزهم إلى غيرهم، كأنه قيل: إنما هي لهم، لا لغيرهم، فما

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤٠٨/١

(٢) السابق: ٤٠٩/١

(٣) يُنظر: تفسير التحرير والتنوير:٢٣١/١٠

للذين لا علاقة بينها وبينهم يقولون فيها ما يقولون؟ما سوّغ لهم أن يتكلموا فيها وفي قاسمها؟" [١]

وقال ابن عاشور: "قصْر الصدقات في كونها مستحقّة للأصناف المذكورة في هذه الآية وهي: (الفقراء، المساكين، العاملين عليها، المؤلفة قلوبهم، في الرقاب، الغارمين، في سبيل الله ابن السبيل)، و انحصارها في الأصناف الثمانية دون صنف آخر يستفاد من الاقتصار عليها في مقام البيان ،إذ لا تكون صيغة القصر مستعملة للحقيقي،والإضافي معاً ، إلاّ على طريقة استعمال المشترك في معنييه" [٢]

وفي قوله تعالى:

١٣ -﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾

قال البيضاوي في قوله تعالى: (يا أيها النبي جاهد الكفار)"بالسيف(والمنافقين) بإلزام الحجة وإقامة الحدود،(وأغلظ عليهم) في ذلك "[٣]

قال أحد شراحه:"الجهاد مع الكفار بالسيف، ومع المنافقين بإظهار الحجة ، فكل من كان في اعتقاده فساد وجبت مجاهدته،وإن كان كافراً مظهراً الكفر، فجهاده بالسيف ،وإن كان مبطناً به ومظهراً للإسلام، فجهاده بعرض الحجة"[٤]

(١) إرشاد العقل السليم:٧٦/٣

(٢) تفسير التحرير والتنوير: ٢٣٥/١٠

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٤١٢/١

(٤) حاشية القونوي:٢٨٣/٩

وفي قوله تعالى:

١٤ - ﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾ ﴾

قال ابن عاشور:"هذا فريق من الأعراب يُظهر الإيمان ويُنفق في سبيل الله، وإنما يفعلون ذلك تقية، وخوفاً من الغزو، أوحباً للمحمدة، وسلوكاً في مسلك الجماعة، وهم يبطنون الكفر وينتظرون الفرصة التي تمكّنهم من الانقلاب على أعقابهم.

وهؤلاء وإن كانوا من جملة منافقي الأعراب، فتخصيصهم بالتقسيم هنا منظور فيه إلى ما اختصوا به من أحوال النفاق لأن التقاسيم في المقامات الخَطابية، والمجادلات تعتمد اختلافاً ما في أحوال المقسّم، ولا يُعبأ فيها بدخول القسم في قسِيمه"[١]

وفي قوله تعالى:

١٥ -﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾

قال البيضاوي في قوله تعالى:(وممن حولكم من الأعراب)"أي:ممن حول بلدتكم يعني

---

(١) تفسير التحرير والتنوير: ١١/١٥

المدينة"(١)

قال أحد شراحه:"(قوله :ممن حول بلدتكم) أسقط الواو ،كأنه أشار إلى أن الجملة الابتدائية لاعاطفة، ومسوقة؛ لبيان نفاق من سكن ونزل حول المدينة، ولعل التخصيص لخفاء حالهم، قال الإمام:فذكر في هذه الآية أن جماعة من حول المدينة موصوفون بالنفاق، فاتضح وجه التخصيص، مع أنهم من زمرة الأعراب وقد بين الله تعالى أن بعضهم منافقون وبعضهم مؤمنون صالحون"(٢)

أما في قوله تعالى:(وآخرون اعترفوا بذنوبهم) قال القونوي:"(قوله: (وآخرون اعترفوا) عطف على (منافقون)،والظاهر أنهم من المؤمنين المخلصين، وإن ذهب بعضهم إلى أنهم: منافقون لكنهم تابوا عن النفاق"(٣)

وفي قوله تعالى:

١٦- ﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾

قال البيضاوي:"(إما يعذبهم) إن بقوا على الإصرار، ولم يتوبوا، (وإما يتوب عليهم)أي: إن تابوا"(٤)وقال ابن عاشور:"هذا فريق آخر عطف خبره على خبر الفرق الآخرين، والمراد بهؤلاء من بقي من المخلَّفين لم يتب الله عليه، وكان أمرهم موقوفاً إلى أن يقضي الله بما يشاء، وجملة: (إما يعذبهم وإما يتوب عليهم) بيان لجملة(آخرون مُرجَون)باعتبار متعلق خبرها وهو:(لأمر الله)، أي: أمر الله الذي هو: إما تعذيبهم، وإما توبته عليهم" (٥)

مما سبق يتبين لنا أن التقسيم كغيره من فنون البديع لا ينفصل عن بقية فنون البلاغة.

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤١٩/١

(٢) حاشية القونوي:٣٢٤/٩

(٣) السابق:٣٢٥/٩-٣٢٦

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤٢٠/١

(٥) تفسير التحرير والتنوير:٢٦/١١

المبحث الرابع: تأكيد الشيء بما يشبه ضده

هو أحد فنون علم البديع المعنوي،وهو أسلوب يعتمد على مفاجأة السامع ، وذلك باستخدام أداة من أدوات الاستثناء،أو الاستدراك وهو على ضربين:

أحدهما، وهو الأفضل كما قال الخطيب:أن يُستثنى من صفة ذم منفية عن الشيء صفة مدح بتقدير دخولها فيها.

و ثانيهما:أن يُثبت للشيء صفة مدح ويُعقّب بأداة استثناء تليها صفة ذم آخري. [1]

كقول الشاعر: [2]

ولاعيب فيهم غير أن سيوفهم　　　　بهن فلول من قراع الكتائب

أيّ : إن كان فلول السيف من قراع الكتائب،من قبيل العيب،فأثبت شيئاً من العيب على تقدير: أن فلول السيف منه؛ وذلك محال، فهو في المعنى تعليق بالمحال، كقولهم:(حتى يبيض القار)[3]، فالتأكيد فيه من وجهين: أحدهما:أنه كدعوى الشيء ببينة، والثاني: أن الأصل في الاستثناء أن يكون متصلا،فإذا نطق المتكلم بإلا، أو نحوها توهم السامع قبل أن ينطق بما بعدها أن مايأتي بعدها مخرج مماقبلها، فيكون شيء من صفة الذمّ ثابتاً وهذا ذمّ ، فإذا أتت بعدها صفة مدح تأكد المدح؛لكونه مدحاً على مدح.

---

(١) يُنظر:الإيضاح:٢/٦/٧٧

(٢) هذالبيت للنابغة الذبياني:زياد بن معاوية من قصيدته التي يمدح فيها عمروبن الحرث.يُنظر:الشعر والشعراء:٨٧

(٣) وفي رواية حتى(يبيض الفأر)، ولم أجده في مجمع الأمثال.

والثاني: أن يثبت لشيء صفة مدح، ويعقب بأداة استثناء تليها صفة مدح آخرى له كقول الرسول_صلى الله عليه وسلم_:"أنا أفصح(1) العرب بيد أني من قريش"(2)

وقد سماه ابن عاشور:(تأكيد الشيء بما يشبه ضده) فقال عند تفسيره لقوله تعالى:

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٥٦﴾:"كثر في كلام العرب أن يجعل تأكيد الفعلِ في صورة الاستثناء، ويُسمى تأكيد المدح بما يشبه الذمّ ، وبعبارة أتقن:تأكيدَ الشيء بما يشبه ضده" (3)

وهذه التسمية في نظري كافية وافية؛لذا اعتمدتها في بحثي؛ لأنها تفي بالمعنى، وتدل على المراد.

صورمن تأكيد الشئ بما يشبه ضده:

من صور هذا الفن في السورة قوله تعالى:

١-﴿ لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ۝٤٧﴾

أورد بعض العلماء آراء خاصة بالاستثناء في هذه الآية الكريمة أرى أن الوقوف عندها ضرورة يتطلبها الإيضاح.

قال الزمخشري في الاستثناء في قوله تعالى :(إلا خبالاً)إنّه" ليس من الاستثناء المنقطع في

---

(١) هذا الحديث لم أجده في الصحيحين،وقد ذكر ابن كثيرحديث مشابه له وهو:(أنا أفصح من نطق الضاد بيد أني من قريش)، وذكر:أنّه لا أصل له، ولاسند. ينظر:تفسير القرآن العظيم،لابن كثير:٣١/١وهو وإن لم يصح كحديث يُنسب للنبي –صلى الله عليه وسلم_ لايمنع أن معناه صحيح.

(٢) الإيضاح:٧٤/٦/٢-٧٥

(٣) تفسير التحرير والتنوير:٥٧/٩

شيء كما يقولون؛ لأنَّ الاستثناء المنقطع :هو أن يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه كقولك:ما زادوكم خيراً إلاّ خبالا، والمستثنى منه في هذا الكلام غير مذكور، وإذا لم يذكر وقع الاستثناء من أعمّ العام الذي وقع منه الشيء فكان استثناءً متّصلاً ؛ لأنّ الخبال بعض أعمّ العام كأن قيل:ما زادوكم شيئاً إلا خبالاً ، والخبال :الفساد والشر"(١)

وقدتبعه البيضاوي بقوله:أي:"مازادوكم بخروجهم شيئاً إلا فساداً وشراً ، ولايستلزم ذلك أن يكون لهم خبال حتى لو خرجوا زادوه؛لأنّ الزيادة اعتبار أعمّ العام الذي وقع منه الاستثناء ولأجل هذا التوهم جُعل الاستثناء منقطعاً ، وليس كذلك؛لأنّه لايكون مفرغاً"(٢)

قال أحد شراحه:"(قوله:وليس كذلك)أي:وليس الاستثناء منقطعاً لأنّ الاستثناء المنقطع لايكون مفرغاً ، ولو أريد الاستثناء المنقطع لقيل:(مازادوكم خيراً إلا خبالاً) فوجب أن يحمل الاستثناء ههنا على الاتصال،والمستثنى منه أعمّ العام، والتقدير:(مازادوكم شيئاً إلا خبالاً) والخبال: بعض أعم العام، فالاستثناء متصل"(٣)

غير أن ابن عاشور لم يتابع الزمخشري، والبيضاوي فيما ذكراه، وكأنه يميل:إلى أنّ الاستثناء هناجاء على طريقة التهكم، بتأكيد الشيء بما يشبه ضده فقال:"وحذف مفعول (زادوكم)؛ لدلالة الخروج عليه، أي: ما زادوكم قوة،أوشيئاً ممّا تفيدزيادته في الغزو نصراً على العدوّ ، ثم استُثني من المفعول المحذوف (الخبالُ)على طريقة التهكّم،بتأكيد الشيء بما يشبه ضده فإنّ الخبال في الحرب بعض من عدم الزيادة في قوة الجيش، بل هو أشدّ عدماً للزيادة ولكنّه ادّعي أنّه من نوع الزيادة في فوائد الحرب، وأنّه يجب استثناؤه من ذلك النفي، على طريقة التهكّم" (٤)

ومما هو واضح من كلامه:أنّه يرى أن هذه الآية من قبيل تأكيد الشيء بما يشبه ضده ولم يظهر معي أثناء التنقيب في كتب التفاسير:أنّ أحداً قال بهذا، وبذلك يكون هو المتفرد بهذا

(١) الكشاف:٣/٥٠

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:١/٤٠٧

(٣) حاشية ابن التمجيد:٩/٢٤٣

(٤) تفسير التحرير والتنوير:١٠/٢١٦

الرأي حسب علمي -والله أعلم- وتوجيه الآية الكريمة على ماذكره الزمخشري، والبيضاوي فيما أرى أولى.

وفي قوله تعالى:

٢- ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا ۚ وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ ۚ فَإِن يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ ﴾

قال البيضاوي في قوله تعالى:(ومانقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله):"الاستثناء مفرغ من أعم المفاعيل أو العلل"(١)

قال أحد شراحه:"المعنى ومانقموا شيئاً إلا أن أغناهم الله، فعلى هذا لايكون من باب:(فلاعيب فيهم)على أن ماقيل إنّه منه"(٢)

وقال شارح آخر:"أيماكرهوا شيئاً ،أو لأجل شيء،إلا أن أغناهم،أو لأجل أن أغناهم الله،فهو متصل،إذالمفرغ لايكون منقطعاً فهو نظير:(ولاعيب فيهم..)"(٣)

(١) أنوار التنزيل و أسرار التأويل:٤١٣/١

(٢) حاشية ابن التمجيد:٢٨٦/٩

(٣) حاشية القونوي:٢٨٦/٩

وقال ابن الجوزي[1] في كتابه:"قال ابن قتيبة: أي: ليس ينقمون شيئاً، ولا يتعرفون من الله إلا الصنع، ومثله قول الشاعر[2]:

مــانقم الناس من أمية إلا　　　أنهم يحلمون إذا غضبوا

وهذا ليس مما يُنقم، وإنما أراد أن النّاس لا ينقمون عليهم شيئاً، وكقول النابغة:[3]

ولاعيب فيهم غير أن سيوفهم　　　بهن فلول من قراع الكتائب

قال صاحب الدر المصون:" فيه وجهان، أحدهما:أنه مفعولٌ به، أي: ما كَرِهوا وعابُوا إلا إغناءَ الله إياهم، وهو من باب ما لي عندك ذنبٌ إلا أنْ أَحْسَنْتُ إليك.

والثاني: أنه مفعولٌ من أجله، وعلى هذا، فالمفعول به محذوف تقديره: (وما نقموا منهم الإِيمان إلا لأجلِ إغناء الله إياهم.)"[4]

أما الشوكاني فقال:"أي: وما عابوا، وأنكروا :إلا ماهو حقيق بالمدح، والثناء، وهو إغناء الله لهم من فضله، والاستثناء مفرّغ من أعمّ العامّ ،فهو من تأكيد المدح بما يشبه الذم." [5]

---

(١) زاد المسير في علم التفسير:٥٩٥

(٢) هذا البيت لقيس الرقيات وهو:عبيد الله بن قيس،وهو شاعر قريش في العصر الأموي،سمي قيس الرقيات؛لأنّه كان يتغزل بثلاث نساء اسم كل واحدة منهن رقية،توفي سنة ٨٥ هـ،يُنظر:الشعر والشعراء لابن قتيبة:٣٦٦

(٣) سبق التعريف به

(٤) الدر المصون:٤٨٥/٣

(٥) فتح القدير:٣٨٣/٢

وتبعه الألوسي بقوله:

وهو متصل على إدعاء دخوله بناءً على القول بأنّ الاستثناء المفرغ لا يكون منقطعاً وفيه تهكم،وتأكيد الشيء بخلافة" (١)

وكذلك تبعهم ابن عاشور بقوله:" استثناء تهكّمي، وهو من تأكيد الشيء بما يشبه ضدّه(٢)

إنّ من شأن الإغناء أن يكون سبب حبهم والباعث على طاعتهم، لا أن يكون سبب نقمتهم، فجاء ما بعد الاستثناء مؤكداً عدم وجود سبب لنقمتهم

وفي قوله تعالى:

٣- ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾

قال البيضاوي في قوله تعالى:(إلا أن تقطع قلوبهم) :"قطعا بحيث لايبقى لها قابلية الإدارك، والإضمار، وهو في غاية المبالغة، والاستثناء من أعم الأزمنه"(٣)

قال أحد شراحه:"(قوله: والاستثناء من أعم الأزمنة)أي:"لايزال بنياهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم في وقت من الأوقات، إلا وقت مقطع قلوبهم بالفرض والتقدير"(٤)

ولم يصرح بأنه من تأكيد الشيء بما يشبه ضده، أما ابن عاشور فقال:" استثناء تهكمي، وهو من قبيل تأكيد الشيء بما يشبه ضده"(٥)

---

(١) روح المعاني:٥/١٠/٣٢٨ ومابعدها

(٢) تفسير التحرير والتنوير:١٠/٢٦٨

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:١/٤٢٢

(٤) حاشيةابن التمجيد:٩/٣٤٤

(٥) تفسير التحرير والتنوير:١١/٧٨

إن بلاغة هذا الفن تظهر جلية في أنه أسلوب يقوم على مفاجأة السامع بصفة غير متوقعة وذلك باستخدام أداة من أدوات الاستثناء، بحيث يشعر المتلقي بأن حكم مابعد الأداة سيخالف حكم ماقبلها؛ إلا أنه يتفاجأ بأن مابعد الاستثناء جاء مؤكداً للمعنى السابق خير توكيد.

المبحث الخامس :المشاكلة

عرّفها الخطيب بقوله: "هي ذكر الشيء بلفظ غيره؛لوقوعه في صحبته تحقيقاً ، أو تقديراً "[1]

واُختلف في كونها تندرج ضمن مباحث علم البديع، أو مباحث علم البيان، فقد

عرض الدكتور:عبدهقلقيلة المشاكلة عرضاً كان له فيها وجهة نظر تفيد: أنها استعارة مكانها علم البيان،[2] فهي مجاز لغوي علاقته المشابهة من وجهة نظره،والحقيقة أن هذا التصنيف لاينطبق على بعض شواهد المشاكلة، (فذكر الشيء بلفظ غيره)، وإن كان يدخل في علم البيان، إلا أن (وقوعه في صحبته) مخرج لما عدا المشاكلة؛ولأن المشاكلة: نقل المعنى من لباس إلى لباس، والمجاز: نقل اللفظ من معنى إلى آخر، كان الأنسب أن تكون المشاكلة فناً بديعيّا معنويّا. [3]

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ كثيراً من أمثلة المشاكلة في القرآن الكريم تحتاج إلى إعادة نظر خاصة فيما يخص صفات الله عزّوجلّ – لذا لابد من التنبه للتوجيه البلاغي الصحيح لآيات الأسماء والصفات خاصة، فموضوع الأسماء، والصفات،موضوع خفي قد نغفل عنه، فلابد أن نلتزم فيه بأقوال السلف، ونتنبّه إلى أقوال بعض البلاغيين القدماء التي قد تصرف النص الكريم عن وجهه.

ولعلماء العقيدة وقفة مع هذا الفن البلاغي، إذلابد له من ضابط يضبطه، فقدورد في القرآن الكريم أفعال أطلقها الله عزّ وجلّ – على نفسه على سبيل الجزاء العدل، والمقابلة

---

(١) الإيضاح:٢/٦/٢٦

(٢) يُنظر: البلاغة الاصطلاحية:١٤٥

(٣) يُنظر:شرح الدكتور محمد خفاجي في الإيضاح:٢/٦/٢٧

وهي: فيما سيقت فيه مدح وكمال لكن لا يجوز أن يُ شتق له تعالى منهما أسماء، ولا تطلق عليه في غير ما سيقت فيه من الآيات كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ ﴿١٤٢﴾﴾[1] وقوله تعالى ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴿٦٧﴾﴾[2] وقوله تعالى ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾﴾[3] فلا يجوز أن يُ طلق على الله تعالى (مخادع)،(ناسٍ)،(مستهزئ) ونحو ذلك مما يتعالى الله عنه، ولا يقال: الله (يستهزئ) و(يخادع) و(يمكر) و(ينسى) على سبيل الإطلاق تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً [4]

(ومكر الله)- سبحانه وتعالى- هو: إيصال العقوبة إلى من يستحقُّها من حيث لا يشعر. وهو عدلٌ منه سبحانه وتعالى، والله تعالى يقول: ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾[5]؛ فالمكر في حق الله –سبحانه وتعالى- عدل وجزاء يحمد عليه، أما المكر من المخلوقين فهو مذموم؛ لأنّ ه بغير حق.

والمكر من الله نظير الاستهزاء: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾﴾[6]، ونظير السخرية: ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾[7]، ونظير النسيان في مثل قوله تعالى: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴿٦٧﴾﴾[8]

---

(١) النساء(١٤٢)

(٢) التوبة(٦٧)

(٣) البقرة(١٤-١٥)

(٤) يُنظر بمعارج القبول: ١١٨/١

(٥) آل عمران(٥٤)

(٦) البقرة(١٤-١٥)

(٧) التوبة(٧٩)

(٨) التوبة(٦٧)

فهذه أمور تُنسب إلى الله جل وعلا-؛ لأنها من باب المقابلة والجزاء، فهي عدلٌ منه -سبحانه وتعالى- حيث إنه ينزّلها فيمن يستحقُّها، فهي عدلٌ منه سبحانه؛ بخلاف هذه الصفات من المخلوقين، فإنها مذمومة؛ لأنها في غير محلها ولأنها ظلمٌ للمخلوقين. (١)

ومن أفضل ما قيل في ذلك قول ابن عثيمين ــ رحمه الله ــ:

وإذا كانت الصفة كمالاً في حال، ونقصاً في حال، لم تكن جائزة في حق الله، ولا ممتنعة على سبيل الإطلاق، فلا تُثْبَت له إثباتاً مطلقاً، ولا تُنْفَى عنه نفياً مطلقاً ، بل لا بد من التفصيل، فتجوز في الحال التي تكون كمالاً ، وتمتنع في الحال التي تكون نقصاً، وذلك كالمكر والكيد، والخداع، ونحوها، فهذه الصفات تكون كمالاً إذا كانت في مقابلة من يعاملون الفاعل بمثلها، لأنها حينئذٍ تدل على أن فاعلَها قادرٌ على مقابلةِ عدوه بمثلِ فعله، أو أشد، وتكون نقصاً في غير هذه الحال، ولهذا لم يذكرها الله تعالى من صفاته على سبيل الإطلاق، وإنما ذكرها في مقابلة من يعاملونه ورسله بمثلها، كقوله تعالى: ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ۝٥٤ ﴾(٢) وقوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ۝١٤ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ۝١٥ ﴾(٣)

ولهذا لم يذكر الله عز وجل -أنه خان من خانوه، فقال تعالى: ﴿ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدۡ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ فَأَمۡكَنَ مِنۡهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٧١ ﴾(٤) فقال: (فأمكن) منهم، ولم يقل: (فخانهم) لأن الخيانة خدعة في مقام الائتمان، وهى صفة ذم مطلقاً .

---

(١) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد:٢/٧٠

(٢) آل عمران(٥٤)

(٣) البقرة(١٤-١٥)

(٤) الأنفال(٧١)

وبذا عُرِف أن قولَ بعض العوام: (خان الله من يخون)، منكر فاحش يجب النهي عنه"(١)

من صور المشاكلة في السورة:

من صور المشاكلة في السورة ما جاء في قوله تعالى:

١-﴿ وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦١)

قال البيضاوي في معنى قوله تعالى:(هو أذن)أي:"يسمع كل ما يقال له ويصدقه سمّي بالجارحة؛ للمبالغة كأنه من فرط استماعه صار جملته آلة كما سمّي الجاسوس عيناً لذلك" (٢)

قال أحد شراحه:."قوله (يسمع كل ما يقال ويصدقه) يعني: أن الأذن في الأصل اسم لآلة السماع،وأُطلق على من يُصدّق كل ما يُسمع،ويقبل قول كل أحد على طريق التشبيه البليغ من حيث:إنّه لفرط سماعه، وقبول جميع مايسمعه صار بجملته كأنّه آلة السماع" (٣)

فقوله تعالى:"(قل هو أذن خير لكم)، قد يكون على سبيل المشاكلة، حتى وإن وجهه المفسر هنا على أنّه من باب التشبيه، وذلك لأنه ينطبق عليه تعريف المشاكلة.

---

(١) القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى:٢٠

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤١٠/١

(٣) حاشية محي الدين شيخ زاده:٤٨٠/٣.

وفي قوله تعالى:

٢- ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾﴾

قال البيضاوي في معنى قوله تعالى:(نسوا الله فنسيهم) أي: "غفلوا عن ذكره وتركوا طاعته،(فنسيهم) أي: فتركهم من لطفه وفضله"(١)

وقد رأى الشهاب أن قوله تعالى:(نسوا الله فنسيهم) كناية فقال:" جُعل النسيان مجازاً في الترك وهو: كناية"(٢)

أما ابن عطيه فرأى: أنه مبالغة فقال:" وإنما يُعبر بالنسيان عن الترك مبالغة"(٣)

في حين رأي أبو السعود أنها مشاكلة فقال:" (فنسيهم) فتركهم من رحمته وفضله وخذلهم والتعبيرُ عنه بالنسيان للمشاكلة"(٤) وقد تبعه الألوسي بقوله:" التعبير بالنسيان للمشاكلة"(٥)

أما ابن عاشور، فقد وجهها توجيهين مختلفين دون أن يُرجح فتارة يرى أنها استعارة: "والنسيانُ منهم مستعار للإشراك بالله، أو للإعراض عن ابتغاء مرضاته وامتثال ما أمر لأنّ الإهمال والإعراض يشبه نسيان المعرَض عنه." (٦)

وتارة يرى أنها مشاكلة:" ونسيان الله إيَّاهم مُشاكلة أي:حرمانه إياهم ممّا أعدَّ للمؤمنين لأنّ ذلك يشبه النسيان عند قسمة الحظوظ" (٧)

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤١١/١

(٢) عناية القاضي وكفاية الراضي:٥٩٦/٤

(٣) المحرر الوجيز:٢٢٣/٨

(٤) إرشاد العقل السليم:٨٠/٣

(٥) روح المعاني:٢٣/١١/٦

(٦) تفسير التحرير والتنوير:٢٥٣/١٠

(٧) السابق بصفحته.

والأظهر فيما أرى حمل الآية على المشاكلة،وهو أولى من المجاز-والله اعلم-

وفي قوله تعالى:

٣-﴿ ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾

قال ابن عطية في قوله تعالى:(فيسخرون منهم سخر الله منهم)" معناه يستهزئون ويستخفون وقوله: (سخر الله منهم)تسمية العقوبة باسم الذنبوهي عبارة عما حل بهم من المقت والذل في نفوسهم"[١] قال البيضاوي:" جازاهم على سخريتهم"[٢]

قال أحد شراحه:"(قوله: جازاهم الله على سخريتهم)ذكر السببب، وأريد المسبب،وقد ذكر وجوهاً أخر في تفسير قوله تعالى﴿ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ ﴿١٥﴾ ﴾[٣]اختير هنا صيغة الماضي؛ لتحقق وقوعه، والمراد: الاستمرار سواء: أريد به الجزاء في الدنيا أوالآخرة"[٤]

فاستشهاده بقوله تعالى:﴿ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ ﴿١٥﴾ ﴾ :هو مثله على سبيل المشاكلة.

وقدصرح أبو السعود بأنها مشاكلة فقال:إخبارٌ بمجازاته تعالى إياهم على ما فعلوا من السخرية والتعبيرُ عنها بذلك للمشاكلة"[٥]

وتبعه الشوكاني فقال:" جازاهم على ما فعلوه من السخرية بالمؤمنين بمثل ذلك،

---

(١) المحرر الوجيز:٨/٢٣٩

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:١/٤١٤

(٣) البقرة(١٥)

(٤) حاشية القونوي:٩/٢٩٣بتصرف

(٥) إرشاد العقل السليم:٣/٨٦

فسخر الله منهم بأن أهانهم، وأذلهم، وعذبهم، والتعبير بذلك من باب المشاكلة "[١]

وكذلك ابن عاشور بقوله: (سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ)، أي: جازاهم على سخريتهم، فالجملة خبرية والتعبير بذلك للمشاكلة"[٢]

ومن أفضل من فسر هذه الآية الكريمة على منهج أهل السنة والجماعة الشيخ الشعراوي– رحمه الله– حيث قال: "وإذا سمعت فعلاً من البشر يقابله فعل من الله، إياك أن تفهم الفعل من الله كما فهمت فعل البشر، فقوله تبارك وتعالى:

(فيسخرون منهم سخر الله منهم) نعرف منه أن سخرية الله جاءت جزاءً لهم على سخريتهم، والساخر من البشر لا يتجاوز في فعله أكثر من العيب في غيره ولكن سخرية الله تتجاوز إلى العذاب، ولذلك قال الحق سبحانه: (عَذَابٌ أَلِيمٌ) وهذا هو التميُّز في فعل الله عن فعل البشر، فالذين سخروا من المؤمنين عابوا عليهم ما فعلوه، يسخر منهم الحق يوم القيامة أمام خلق جميعاً، ثم يزيد على ذلك بالعذاب الأليم"[٣]

وفي قوله تعالى:

٤- ﴿ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ ﴾

قال الزمخشري في توضيح سبب المشاكلة اللفظية بين لفظتي: (الدوائر) و(دائرة): "دعا عليهم بنحو مادعوا به"[٤] فقوله: (بنحو مادعوا عليه) يوحي بلفظ المشاكلة، والله أعلم.

---

(١) فتح القدير: ٣٨٤/٢

(٢) تفسير التحرير والتنوير: ٢٧٤/١٠

(٣) تفسير الشعراوي: ٥٣٦١/٩

(٤) الكشاف: ٨٤/٣

وفي قوله تعالى:

٥-﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾

قال البيضاوي في قوله تعالى:(رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين) :"من المعاصي والخصال المذمومة طلباً لمرضاة الله"(١)

قال أحد شراحه:" التطهر استعارة في البراءة من الذنوب ويُفهم منه تشبيه المعاصي بالأخباث للتنفير عنها."(٢)

قال الألوسي:" وحمل بعضهم التعبير بها هنا على المشاكلة" (٣)

نستخلص مما سبق أن المشاكلة تكرير لفظي، ولون من ألوان اتحاد اللفظ، واختلاف المعنى يرتكز على انحراف دلالة أحد اللفظين المتشاكلين عن معناه الأصلي، لغاية وهدف مقصود يخرج غالباً ؛ لجعل الجزاء من جنس العمل.

كما نخلص إلى ضرورة التّنبه للتوجيه البلاغي الصحيح لآيات الأسماء والصفات خاصة ونتنبَّه إلى أقوال بعض البلاغيين القدماء التي قد تصرف النص الكريم عن وجهه، فالكثير من أمثلة المشاكلة في القرآن الكريم تحتاج إلى إعادة نظر، خاصة فيما يخص صفات الله عزّ وجلّ -

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٤٢١/١

(٢) حاشية القونوي: ٣٣٧/٩ بتصرف.

(٣) روح المعاني: ٢١/١٢/٦

الفصل الثاني: من فنون البديع اللفظي

- المبحث الأول:الجناس ومايلحق به.
- المبحث الثاني:رد العجز على الصدر.
- المبحث الثالث:رعاية الفاصلة.

المبحث الأول:الجناس ومايلحق به

توطئة:

الجناس ويقال له: التجنيس،والتّجانس، والمجانسة أيضا، [1]هو لون من ألوان الجمال اللفظي، له أثر موسيقي قوى على السامع ،ينبع من تكرار الحروف في أكثر من كلمة في سياق واحد.

جعله الخطيب أوّل المحسنات اللفظية ،لكثرة استعماله بأنواعه، ولم يزد في ضابطه عن قوله: " الجناس بين اللفظين، هو: تشابهما في اللفظ"[2]

و حدّه بدر الدين بن مالك بقوله:" هو: أن تأتي في غير رد العجز على الصدر، بلفظتين بينهما تماثل في الحروف، وتغاير في المعنى"[3]

وقد وُصِف بأنه:" من ألطف مجاري الكلام، ومن محاسن مداخله، وهو من الكلام كالغرة في وجه الفرس"[4]

أقسام الجناس:

للجناس أقسام كثيرة، ولكنه بصورة عامة ينقسم إلى: تام، وغير تام (ناقص)، وبهذا يكون للجناس قسمان رئيسيان هما: [5]

١-**التام**: وهو أن يتفق اللفظان المتجانسان في أنواع الحروف، وعددها،وهيئتها،وترتيبها.

---

(١) يُنظر: طراز الحُلة وشفاء الغُلة:٩٥

(٢) التلخيص:٣٨٨

(٣) المصباح:١٨٣

(٤) الطراز:١٨٥/٢

(٥) التلخيص:٣٨٨ ومابعدهابتصرف

٢-**غير التام**:وهو أن يختلف اللفظان المتجانسان في هيئات الحروف،أو عددها،أو نوعها

ويندرج تحت هذين القسمين،عدة أقسام مبسوطة في كتب البلاغة، ليس هذا مكانها.

الملحق بالجناس:

- قال الخطيب في تعريف الملحق بالجناس:"يُلحق بالجناس شيئان: أحدهما أن يجمع اللفظين الاشتقاق، والثاني: أن تجمعهما المشابهة، وهي ما يشبه الاشتقاق"(١)

-قال صاحب المطول شارحاً معنى الاشتقاق:" هو توافق الكلمتين في الحروف الأصول مرتبة، والاتفاق في أصل المعنى"(٢)

-كما قال عمّا يشبه الاشتقاق:"وذلك بأن يوجد في كلٍّ من اللفظين جميع ما يوجد في الآخر من الحروف، أو أكثر، لكن لا يرجعان إلى أصل واحد في الاشتقاق"(٣)

وهذا النوع له حضور جليّ في سورة التوبة، لم يقف عنده أغلب المفسرين البلاغيين كعادتهم في عدم الوقوف عند مباحث علم البديع.

الشرط في الحسن اللفظي:

قال الشيخ عبد القاهر-رحمه الله-:"وأصل الحسن في جميع ذلك أن تُرسِل المعاني على سجيتها، وتدعها تطلب لأنفسها الألفاظ،فإنها إذا تركت وما تريد لم تكتسِ إلا مايليق بها" (٤)

---

(١) التلخيص:٣٩٢

(٢) المطول:٤٤٩

(٣) السابق بصفحته.

(٤) أسرار البلاغة:٢٥

صور من الجناس ومايلحق به في السورة:

من الجناس غير التام ما جاء في قوله تعالى:

١-﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾

قال ابن التمجيد في قوله تعالى:(هار):"هو مجرى الوادي، والمراد بالهائر الساقط، والهار: الهائر وهو المتصدع الذي أشفا على التهدم والسقوط "[1] فكلا الكلمتين تحمل جذر الكلمة ذاته، إلا أن الترتيب مختلف، والمعنى مختلف.

و من الملحق بالجناس قوله تعالى:

٢-﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾

قال صاحب المطول وهو يتحدث عما يلحق بالجناس لعلاقة شبه الاشتقاق:"ونحو قوله: (أثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا)"[2]

ويلحظ الباحث أن أكثر المفسرين لا يشيرون إلى صور البديع المعنوي، أو اللفظي فهنا مثلا تحدث البيضاوي عن تعدية الفعل: أثاقلتم ب(إلى)دون(في)، ولم يشر إلى ما يلحق بالجناس [3]في حين أن بين (الأرض) و(أرضيتم) شبه اشتقاق؛ وذلكلأنّ حروف الكلمة الأولى موجودة في الثانية، لكن لا يرجعان إلى أصل واحد في الاشتقاق.

---

(١) حاشية ابن التمجيد:٩/٣٣٩

(٢) المطول:٤٤٩ بتصرف

(٣) ينظر:أنوار التنزيل وأسرار التأويل:١/٤٠٤

ومنه قوله تعالى:

٣-﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ أَحَدٖ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ١٢٧ ﴾

فقد جونس بلفظ الانصراف في قوله تعالى:(انصرفوا صرف) عن الذكر، وصرف القلب عن الخير، والأصل فيهما واحد وهو: الذهاب عن الشيء، أما هم: فذهبوا عن الذكر،وأما قلوبهم: فذهب منها الخير، وقد رتب صرف قلوبهم عن الخيرعلى انصرافهم عمّا أنزل من الآيات وكأن انصرافهم ليس لهم، وإنما عليهم.

وهذا النوع يسمى جناساًمزدوجاً ،لتجاور اللفظين دون فاصل(١)

ومن الملحق بالجناس أيضا ماجاء في قوله تعالى:

٤-﴿ مَا كَانَ لِأَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ وَمَنۡ حَوۡلَهُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرۡغَبُواْ بِأَنفُسِهِمۡ عَن نَّفۡسِهِۦۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ لَا يُصِيبُهُمۡ ظَمَأٞ وَلَا نَصَبٞ وَلَا مَخۡمَصَةٞ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوۡطِئٗا يَغِيظُ ٱلۡكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنۡ عَدُوّٖ نَّيۡلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٞ صَٰلِحٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٢٠ ﴾

حيث جاء قوله تعالى:(يطئون موطئا) ملحق بالجناس، لعلاقة الاشتقاق ، وهو مزدوج

قال ابن عاشور:"الوطء: الدوس بالأرجل،والموطيء: مصدر ميمي للوطء، والوطء في سبيل الله هو الدوس بحوافر الخيل، وأخفاف الإبل وأرجل الغزاة في أرض العدو، فإنه الذي يغيظ العدو ويغضبه؛لأنّه يأنف من وطء أرضه بالجيش، ويجوز أن يكون الوطء هنا مستعاراً لإذلال العدو وغلبته، وإبادته، وهو أوفق بإسناد الوطء إليهم" (٢)

(١)إذا ولي أحد المتجانسين الآخر سمُي مزدوجاً،يُنظر:الإيضاح:٩٨/٦/٢

(٢) تفسير التحرير والتنوير:٥٦/١١

ومن جناس الاشتقاق أيضاً ما جاء في قوله تعالى:﴿ لا ينالون من عدو نيلا﴾،حيث توافقت الكلمتين في الحروف الأصول مرتبة ،كما توافقت في أصل المعنى.

ومن الجناس لعلاقة الاشتقاقأيضاً ما جاء في قوله تعالى:

٥- ﴿ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾

ففي قوله تعالى:(وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون)جمُع الفعل (ارتابت) مع مصدره وهو(ّ يب)، لعلاقة شبه الاشتقاق، فأفاد توكيد المعنى المراد.

ومثله قوله تعالى قوله تعالى:

٦-﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾

جمع في الآية بين أربعة ألفاظ من أصل واحد(استغفر،لاتستغفر،تستغفر، يغفر)، فهذه الألفاظ مصدرها اللغوي واحد،فتكون ممايلحق بالجناس لعلاقة الاشتقاق.

و في قوله تعالى:

٧-﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴾

جاء قوله تعالى:(فيقتلون ويُقتلون) ملحق بالجناس وتقديُم حالةِ القاتلية على حالة المقتوليةِ للإيذان بعدم الفرقِ بينهما في كونهما مصداقاً لكون القتالِ بذلاً للنفس وقرئ بتقديم المبنيِّ للمفعول رعايةً لكون الشهادة عريقةً في الباب وإيذاناً بعدم مبالاتهِم بالموت في سبيل الله تعالى

بل بكونه أحبّ إليهم من السلامة"[1]

وفي قوله تعالى:

٨- ﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾

نلحظ أن اللفظة قد تتكرر مع الاختلاف في الصيغة كما أشرنا ومثل ذلك قوله تعالى:(للخروج)،(لن تخرجوا)وقوله:(بالقعود)،(فاقعدوا) ولكن يبقى الاشتراك في أصل المعنى.

وقد تكررهذا في السورة كثيراً .[2]

مما سبق يتبين لنا أن الجناس في سورة التوبة، لم يخرج عن نظرية:(تداعي الألفاظ، وتداعي المعاني)[3] في علم النفس، وهذه الناحية النفسية، هي التي تشرح لنا كيف يقع التجنيس عفو الخاطر دون معاناة، ولاتتهيأ هذه القدرة إلا لمن كان ملماً بلغته،متذوقا لها ،عالماً بتصاريفها واشتقاقها.وأي كلامأجمل إيقاعاً وأحلى جرساً ، وأوفى في التعبير عن المراد من كلام الله -عز وجلّ -؟

إن التجاوب الجرسي، الصادر عن مجيء الكلمات المتماثلة في سياق الآية الواحدة،له بالغ الأثر على الأذن والقلب معاً ، إذ يتوهم السامع أن اللفظ قد تكرر، فتأخذه الدهشة عندما يأتي اللفظ الثاني بمعنى مغاير جديدوهذا ماظهر لنا جليّاً في سورة التوبة.

(١) إرشاد العقل السليم:٣/١٠٥

(٢) وردجناس الاشتقاق في السورةكثيراً منه على سبيل المثال، لاالحصر غير ماتناولناه بالتحليل في هذا البحث: الآيات التالية:(١٣)،(٢٩)،(٤٠)،(٤٦)،(٤٩)،(٥٠)،(٦١)،(٦٢)،(٦٧)،(٦٨)،(٧١) (٩٤)،(٩٥)،(٩٦)،(٩٨) (٩٩)، (١٠٢)،(١١٤)، (١٢٤)

(٣) علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع:٢٩٤

المبحث الثاني:رد العجز على الصدر

توطئة:

ردُّ العَجُز على الصدر من الفنون البديعية التي فطن لها القدماء وهو في النثر :"أن يجعل أحد اللفظين المكررين، أو المتجانسين، أو الملحقين بهما في أول الفقرة والآخر في آخرها" (١)

ويتضح من هذا التعريف العلاقة الوثيقة بين الجناس، ومايلحق به وبين ردّ العجز على الصدر حيث لم يفصل الخطيب في ردّ العجز عن الصدر بين الجناس، ومايلحق به كالاشتقاق وقد تبعه ابن الأثير بقوله:

فقال:"اعلم أن جماعة من علماء البيان يفصلون الاشتقاق عن التجنيس وليس الأمر كذلك بل التجنيس أمر عام لهذين النوعين من الكلام وذاك أن التجنيس في أصل الوضع من قولهم جانس الشيء الشيء إذا ماثله، وشابهه،ولما كانت الحال كذلك ووجدنا من الألفاظ مايتماثل ويتشابه في صيغته، وبنائه علمنا أن ذلك يطلق عليه اسم التجنيس أيضا، فالتجنيس إذاً ينقسم إلى قسمين :أحدهما تجنيس في اللفظ،و الآخر تجنيس في المعنى" (٢)

قال الطوفي موضحاً نوع المادة التي يقوم عليها هذا الفن:"فإما أن يتفقا صورة ومعنى، أو معنى فقط، أو صورة فقط،وإما أن يلتقيا في حقيقة الاشتقاق أو شبهه"(٣)

صورمن رد العجز على الصدر في السورة:

١-قَالَ تَعَالَى:﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

(١) التلخيص:٣٩٢ ومابعدها

(٢) المثل السائر:٢/٢٨٣

(٣) الإكسير في علم التفسير:٣٢٨

جاء رد العجز على الصدر بلفظي:(كنزتم، تكنزون) فهما ملحقين بالجناس لعلاقة الاشتقاق.

فجاءت جملة(هذا ماكنزتم) في صدر الكلام وانتهت الآية بأن رُدّ العجز:(يكنزون) على صدرها" للتنبيه على غلطهم فيما كنزوا لقصد التنديم."[1]

ومثله قوله تعالى:

٢- ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامٗا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ زُيِّنَ لَهُمۡ سُوٓءُ أَعۡمَٰلِهِمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٧﴾

رد العجز(الكافرين) على الصدر(الكفر) قال البيضاوي في معنى الآية:"إي: تأخير حرمة الشهر إلى شهر آخر،كانوا إذا جاءهم شهر حرام ولم يحاربوا أحلوه وحرموا مكانه شهراً آخر"[2] ومثله قوله تعالى:

٣-﴿ قُلۡ هَلۡ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحۡدَى ٱلۡحُسۡنَيَيۡنِۖ وَنَحۡنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمۡ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٖ مِّنۡ عِندِهِۦٓ أَوۡ بِأَيۡدِينَاۖ فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ٥٢﴾

جاء جناس الاشتقاق بين أربعة ألفاظ:(تربصون،نتربص،فتربصوا،متربصون)

وابتدأ صدر الكلام بقوله تعالى:(فَتَرَبَّصُوا)" أي إذا كان الأمر كذلك، فتربصوا بنا ما هو عاقبتنا (إِنَّا مَعَكُم مُتَرَبِّصُونَ) ما هو عاقبتكم فإذا لقي كلٌّ منا ومنكم ما يتربصه لا تشاهدون إلا ما يَسُرنا ولا نشاهد إلا ما يسوءُكم"[3]

(١) تفسير التحرير والتنوير: ١٠/١٨٠

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ١/٤٠٤

(٣) إرشاد العقل السليم: ٣/٧٣

وفي قوله تعالى:

٤- ﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ (٦٤) ﴾

قال الزمخشري:" معنى تنبئهم بما في قلوبهم، كأنها تقول لهم: في قلوبكم كيت وكيت، يعني أنها تذيع أسرارهم عليهم حتى يسمعوها مذاعة منتشرة فكأنها تخبرهم بها"[١]

قال أبو السعود:(ما تحذرون)أي ما تحذرونه من إنزال السورةِ ومن مخازيكم ومثالبِكم المستكنةِ في قلوبكم الفاضحةِ لكم على ملأ الناسِ ، والتأكيدُ لرد إنكارِهم بذلك لا لدفع ترددِهم في وقوع المحذورِ إذ ليس حذرُهم بطريق الحقيقة"[٢]

وفي قوله تعالى:

٥-﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ۖ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٧٠) ﴾

أثبت"ظُلمُهم أنفُسَهم لهم بأبلغ وجه إذْ أسند إليهم بصيغة الكون الماضي، الدالّ على تمكّن الظلم منهم منذ زمان مضى، وصيغ الظلم الكائن في ذلك الزمان بصيغة المضارع للدلالة على التجدّد والتكرّر، أي على تكرير ظلمهم أنفسهم في الأزمنة الماضية"[٣]

---

(١) الكشاف:٣/٦٣

(٢) إرشاد العقل السليم:٣/٧٩

(٣) تفسير التحرير والتنوير:١٠/٢٦٢

وفي قوله تعالى:

٦ - ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ ﴾

جاء قوله تعالى: (وأن الله هو التواب الرحيم) "تأكيداً لما عُطف عليه وزيادةُ تقريرٍ لما يقرره مع زيادةِ معنى ليس فيه، أي ألم يعلموا أنه المختصُّ المستأثرُ ببلوغ الغايةِ القصوى من قبول التوبةِ والرحمةِ وأن ذلك سُنةٌ مستمرةٌ له وشأنٌ دائم"(١)

وفي قوله تعالى:

٧- ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾

قال البيضاوي:" (وقل أعملوا) ما شئتم (فسيرى الله عملكم)فإنه لا يخفى عليه خيراً كان أو شراً "(٢) وقال أحد شراحه:"فسيعلم الله علماً يترتب عليه الجزاء بعد تعلق علمه بأنّه سيوجد تعلقاً قديماً ،وتقديم الغيب للإيذان بأنه تعالى يعلم السر والخفيات"(٣)

(١) إرشاد العقل السليم:٣/١٠٠ بتصرف.

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:١/٤٢٠

(٣) حاشية القونوي:٩/٣٢٩-٣٣٠

وفي قوله تعالى:

٨-﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾

قيل في قوله تعالى:(يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين)أي" : التطهر من الأنجاس وهذا يستدعي كون حمل التطهر على التطهر من الأقذار أولى"(١)

وفيه" إشارة إلى أن نفوسهم وافقت خلقاً يحبه الله تعالى،وكفى بذلك تنويهاً بزكاء أنفسهم" (٢)

وفي قوله تعالى:

٩- ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾

جاءِ قوله تعالى: (ثم تاب عليهم)"عطف على ضاقت عليهم الأرض وما بعده، أي حتى وقع ذلك كله، ثم تاب عليهم بعده واللام في (ليتوبوا) ،للتعليل، أي تاب عليهم؛ لأجل أن يكفوا عن المخالفة؛ ويتنزهوا عن الذنب، أي: ليداوموا على التوبة، فالفعل مستعمل في معنى الدوام على التلبس بالمصدر لا على إحداث المصدر، وليس المراد، ليذنبوا فيتوبوا، إذ لا يناسب مقام التنويه بتوبته عليهم،وجملة: (إن الله هو التواب الرحيم) تذييل مفيد للامتنان"(٣)

---

(١) حاشية القونوي: ٣٣٨/٩

(٢) تفسير التحرير والتنوير:٣٣/١٠

(٣) السابق:٥٣/١١

إنّ البلاغة الحقيقية -كما أجمع البلغاء-هيأن يكون أوّل الكلام دالاً على آخره وأن يكون آخره مرتبطاً بأوّله، وهذا هو المحور الأساسي الذي يقوم عليه رد العجز على الصدر.

المبحث الثالث: رعاية الفاصلة

توطئة:

قال ابن الأثير وهو يتحدث عن السجع: "وحدّه أن يُقال: هو تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور على حرف واحد" (١)

وقد عرّفها السيوطي بقوله: "كلمة آخر الآية كقافية الشعر، وقرينة السجع" (٢) جلّ كتاب الله عن ذلك- والفاصلة آخر الجملة "تواطؤ الفاصلتين في النثر على حرف واحد" (٣)

وقد نقل صاحب التلخيص: "ولا يقال في القرآن أسجاع، بل يقال فواصل" (٤)

ليميّز كلام القرآن الكريم عن غيره من الكلام بتلك اللفظة. (٥)

وفي موضع آخر قال صاحب التلخيص عند حديثه عن الموازنة والمماثلة، مبيناً علاقتها بالفواصل: "ومنه (أي من المحسن اللفظي) الموازنة: وهي تساوي الفاصلتين في الوزن دون التقفية نحو قوله تعالى: ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾﴾ (٦)، فإن كان ما في إحدى القرينتين، أو أكثر مثل ما يقابله من الآخر في الوزن خُص بالمماثلة نحو قوله تعالى: (٧)

(١) المثل السائر: ١/١٩٠

(٢) الإتقان في علوم القرآن: ٢/٢٠٩

(٣) التلخيص: ٣٩٧

(٤) السابق: ٤٠٠

(٥) يُنظر: الصناعتين: ٤٤٥

(٦) الغاشية (١٥-١٦)

(٧) الصافات (١١٧-١١٨)

﴿ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ ﴾ "[١] فظهر من حديث المصنف علاقة الفاصلة بالموازنة والمماثلة.

وقد حاول أحد الباحثين المعاصرين بعد استعراضه لتعريف الفاصلة عبر العصور، عند أكثر من عالم،أن يضع لها تعريفاً جامعاً مانعاً فقال:"الفاصلة كلمة آخر الآية كقافية الشعر وسجعة النثر،والفواصل توافق الآي في حروف الروي ، أو في الوزن، مما يقتضيه المعنى وتستريح إليه النفوس" [٢].

وهو وإن كان يحُمد له هذا الاجتهاد،إلا أن تعريف الخطيب كان كافياً وافياً ، وماذكره الحسناوي، ماهو إلا محاولة جمع ماقيل في الفاصلة.

سبب تسميتها فاصلة:

سميت الفاصلة بذلك:" لأنها ينفصل عندها الكلامان ،وذلك في آخر الآية،فصلٌ بينها وبين مابعدها" [٣]

و رغم شهرة هذا المصطلح، وشيوعه، وكثرة إشارة بعض المفسرين إليه فقد أنكر بعض الباحثين المعاصرين أن يحمل شيء من القرآن الكريم على أنه مراعاة للفاصلة، وقد ذكر ذلك أحد الباحثين بقوله:" بيان ذلك أن معنى فعلين :(ودّع) و(قلى) أما (ودّع) فقد ذكر مفعوله (ودّعك) وأما (قلى) فلم يذكر له مفعول قال كثير من البيانيين_عفا الله عنهم_:"إنما حذف المفعول لرعاية الفاصلة" وقد حذرتك أن تقبل مثل هذا القول" [٤]

ولعله يقصد ماقاله الخطيب في حديثه عن حذف المفعول، عندما قال:" وإما لرعاية

---

(١) التلخيص:٤٠٤

(٢) الفاصلة في القرآن، محمد الحسناوي:٢٩

(٣) الإتقان في علوم القرآن:٢/٢١٠

(٤) البلاغة فنونها وأفنانها،علم المعاني:٢٨٤

الفاصلة، نحو [1]: ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ ﴾" [2] قال صاحب المطول :"أي :ماقلاك فحذف؛لأن فواصل الآي على الألف،ولا امتناع في أن يجتمع في مثال واحد عدة من الأغراض المذكورة؛ لذا ذكر صاحب الكشاف هنا أنه اختصار لفظي؛لظهور المحذوف مثل:

﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ ﴿٣٥﴾ ﴾ ، [3]أي :والذاكراته" [4]

ولاحرج -فيما أرى- من اطلاق هذا المصطلح، وقد قال الرماني:" فواصل القرآن تابعة للمعاني، وأما الأسجاع،فالمعاني تابعةٌ لها، وفواصل القرآن كلها بلاغة وحكمة؛لأنها طريق إلى إفهام المعاني التي يحُتاج إليها في أحسن صورة يُدل بها عليها" [5]

صورمن رعاية الفاصلة في السورة

١- قال تعالى:﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ ۙ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ ﴿٢﴾ ﴾

قال القونوي في قوله تعالى:(وأن الله مخزي الكافرين):"عطف على (إنكم) أي: اعلموا أن الله مخزيكم، كالدليل لما قبله، وإظهار الاسم الجليل؛ لتربية المهابة، وإنما أظهر الكافرين للإشارة إلى علة الحكم، ورعاية للفاصلة"[6]

والفاصلة هنا هي لفظ(الكافرين)،وبيان مراعاتها ؛لأن الفاصلة قبلها هي :(المشركين)

---

(١) الضحي(٣)

(٢) التلخيص:١٣٢

(٣) الأحزاب(٣٥)

(٤) المطول:١٩٧

(٥)النُكت في إعجاز القرآن ،للرماني:٨٩

(٦) حاشية القونوي:١٤٨/٩

قال الشوكاني:"وفي وضع الظاهر موضع المضمر، إشارة إلى أن سبب هذا الإخزاء هوالكفر ً " (١)

وقال ابن عاشور:." مقتضى الظاهر أن يقول:وأنّ الله مخزيكم، ووجه تخريجه على الإظهار للدلالة على سببية الكفر في الخزي" (٢)

وفي قوله تعالى:

٢-﴿ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾

وقوله تعالى:

٣-﴿ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾

استوت الآيتان في إعلامه تعالى نبيه_صلى الله عليه وسلم_ أنه يتوب على من يشاء، إلا أن ختم الآيتين جاء بصفتين مختلفتين في الأولى:(عليم حكيم) وفي الثانية(غفور رحيم)

ففي الآية الأولى أعقب بها ما تقدمها متصلا بها من الآي في كفار مكة وفعلهم مع الرسول_صلى الله عليه وسلم_، وأصحابه من التضييق، والإحراج، وبدئهم بالقتال يوم بدر فأمر الله بقتالهم، ووعد بتعذيبهم، ثم تاب على من أسلم منهم، ثم قال:(والله عليم حكيم) أي: بما في القتال، وفي طي ما جرى من ذلك كله بتقديره السابق، وتقديم علمه وما في ذلك من الحكمة، وختم أفعالهم السيئة بالأوبة ،والرجوع إليه سبحانه فهذا وجه النظم والتناسب.(٣)

وأما الآية الثانية فسببها ما جرى يوم حنين من إدبار المجاهدين، فلم يثبت مع الرسول_ صلى الله عليه وسلم_ في ذلك اليوم إلا القليل،فنادى العباس-رضي الله عنه-بآل الأنصار

---

(١) فتح القدير:٣٣٣/٢

(٢) تفسير التحرير والتنوير:١٠٦/١٠

(٣) ملاك التأويل:٥٨٣/١ ومابعدها

فاستجاب نفر منهم، وأنزل الله سكينته على رسوله، ومكن نبيه_عليه الصلاة والسلام_ من اعدائه، فختمت الآية بقوله تعالى:(والله غفور رحيم)تأنيساً لمن فرّ من المسلمين في ذلك اليوم، وبشارة لهم بتوبتة الله عليهم، فجاءت الفاصلة مناسبة للسياق.(1)

٤- وفي قوله تعالى:

﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ ﴾

قال أبو السعود عن رعاية الفاصلة في الآية:"والظرف (وفي النّار هم)متعلقٌ بالخبرِ قُدم عليه للاهتمام به، ومراعاةِ الفاصلة" (2)وتبعه في ذلك ابن عاشور فقال:

"جاء تقديم (في النار) على (خالدون)؛ لرعاية الفاصلة ،ويحصل منه تعجيل المساءة للكفار إذا سمعوه" (3)

وفي قوله تعالى:

٥-﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾

قال القونوي:" وفيه تغيير الأسلوب حيث عبر عن الفريق الأوّل بالموصول، وعن الثاني باسم الفاعل المحلى باللام الموصولية؛ لرعاية الفاصلة،والتعبير بالتبيين أولاً وبالعلم ثانياً من أفانين البلاغة"(4)

---

(١) ملاك التأويل :٥٨٤/١ ومابعدها

(٢) إرشاد العقل السليم:٥٠/٣

(٣) تفسير التحرير والتنوير:١٤١/١٠

(٤) حاشية القونوي:٢٣٧/٩

وفي قوله تعالى:

٦-﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ ﴾ و قوله تعالى﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾

التواب: من أسماء الله تعالى، وهو الكثير القبول للتوبة، وهو على وزن(فعّال) بينما الرحيم على وزن(فعيل)، وهما :من أوزان المبالغة، ووجه التناسب في العقيب بهذين الوصفين على الآيتين أن لفظ (التواب) لا يناسب أن يكون فاصلة ،اعتباراً لما تقدمها، وما جاء بعدها من الآيات ؛وذلك لأن السورة تنتهي فواصلها بحرفي (النون)و(الميم)، وتأخرت الرحمة؛ لأنها أعم من التوبة، وفي ذلك تقوية للتوكيد، وإطماع للعبد في الرجوع إلى الله،وترغيب في عفوه وإحسانه.(١)

وفي قوله تعالى:

٧- ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾

قال البيضاوي في قوله تعالى:(التائبون العابدون الحامدون...)ز"رُفع على المدح أي: هم التائبون والمراد بهم المؤمنون المذكورون بهذه الخصال، ويجوز أن يكون مبتدأ خبره محذوف تقديره: (التائبون من أهل الجنة، وإن لم يجاهدوا)،وفي قوله تعالى:(والناهون)حال: والعاطف فيه؛للدلالة على أنه بما عُطف عليه في حكم خصلة واحدة، كأنه قال:(الجامعون بين الوصفين)، وقيل :إنه للإذن بأن التعداد تم بالسابع من حيث أن السبعة هي العدد التام، ووضع المؤمنين موضع ضميرهم؛ للتنبيه

(١)يُنظر: التناسب البياني في القرآن:١١٧

على أن إيمانهم دعاهم إلى ذلك"[1]

وقدعلق عليه أحد شراحه بقوله:(قوله: ووضع المؤمنين موضع ضميرهم؛ للتنبيه على أن إيمانهم دعاهم إلى ذلك):الإظهار لشرف صفة الإيمان، أو لرعاية الفاصلة، أو للإشارة إلى علة التبشير كما هو المتعارف في مثل هذا المقام"[2]

وفي قوله تعالى:

٨-﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ﴾

قال البيضاوي في قوله تعالى:(أولايرون)أي: المنافقين يبتلون بأصناف البليات، أو بالجهاد مع رسول الله-صلى الله عليه وسلم-في كل عام، ثم لاينتهون، ولايتوبون من نفاقهم ولايعتبرون"[3]

وفي إشارة لى الموازنة بين الألفاظ في بعض الآيات كما تقدم أيضا في قوله تعالى:(العابدون الحامدون) ثم (لايتوبون) عطف على (يرون) داخل تحت الإنكار والتوبيخ:"اختير في النظم جملة اسمية؛ لإفادة الدوام والثبات؛ ولأن عادتهم الاستمرار على ذلك والواو هنا قائم مقام (ثم)،فهو داخل تحت الاستبعاد، والتذكر، وإن كان مقدما في الوجود والانتفاء لكن التوبة؛ لكونها أهم المطالب قدمتْ في الذكر، وإن كان الخطاب في قراءة:

(أولاترون) بالتاء للمؤمنين كما هو الراجح، فقولهثم لايتوبون مع ما عُطف عليه عطفٌ على يفتنون"[4]

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤٢٣/١

(٢) حاشية القونوي:٣٥٠/٩

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤٢٦/٩

(٤) حاشية القونوي:٣٧٥/٩

والحاصل أنه جمع في الآية الكريمة، أربعة أفعال مضارعية على النحو المذكور في الآية:(يرون، يفتنون، يتوبون، يذكرون)

وفي قوله تعالى:

٩- ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾

الرأفة والرحمة متقاربتان في المعنى، وقيل الرأفة أشد من الرحمة(١) وقيل: أن الرأفة الشفقة والرحمة الإحسان(٢)

قيل في معنى هذه الآية: (رؤوف) بالمطيعين منهم (رحيم)بالمذنبين، وقيل: رؤوف بأقربائه رحيم بأوليائه، وقيل: رؤوف بمن يراه رحيم بمن لم يره(٣) والسر في تقديم الرؤوف على الرحيم رعاية للفاصلة (٤)

و قيل قدم الأبلغ منهماوهو (الرأفة)التي تعني شدة الرحمة، وقيل: تقديم الرأفة باعتبار أن آثارها دفع المضار، وتأخير الرحمة باعتبار أن آثارها جلب المنافع والأول أهم من الثاني، وكأن الرأفة على هذا مأخوذة من رفو الثوب لإصلاح شقه، فيكون في وصفه _صلى الله عليه وسلم _بما ذكر وصف له بدفع الضرر عنهم، وجلب المصلحة لهم، ولم يجمع هذان الاسمان لغيره _عليه الصلاة والسلام- (٥)

---

(١) ينظر: البحر المحيط: ٤١٨/١

(٢) ينظر:روح المعاني: ٥٠/١٢/٦

(٣) السابق بصفحته

(٤) ينظر:أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٤٢٦/١

(٥) روح المعاني: ٥٠/١٢/٦

إنّ (رعاية الفاصلة)في القرآن الكريم، ظاهرة أسلوبية لافتة إلى البيان المعجز، تحتاج إلى مزيد من التدبر في أسرار تعبيرها؛ لما لها من دور كبير في تربية الذوق، والارتقاء بأساليب الكلام.

الخاتمـــــة

وأهم ماتوصل إليه البحث من نتائج وتوصيات

الخاتمـــــــة

بعد انقضاء هذه الرحلة الروحانية في موضوع:(من بلاغة القرآن الكريم في سورة التوبة) الذي تنقّلتُ فيه مع علوم البلاغة الثلاثة:(المعاني،والبيان،،والبديع) متنقلة بين آيات السورة الكريمة من مفسر إلى مفسر، ومن قول إلى قول، محاولة الوصول إلى أقوم الآراء،و أقربها إلى ماقرره علماء البلاغة ففي الباب الأوّل كان الحديث عن البناء الفني للجملة تناولتُ فيه: أحوال الكلمة، وأحوال الجملة الخبرية، ثم ختمت الحديث فيه بأسرار التعبير بالجملة الإنشائية،ثم تحدثت في الباب الثاني عن التصوير البياني في السورة من خلال عرض نماذج من التشبيه، والمجاز، والكناية،ثم انتقلت بالحديث في الباب الثالث إلى أحوال الجمل، فتناولت بالتحليل من خلال أقوال المفسرين نماذج من الفصل والوصل، والجملة الحالية، والإيجاز والإطناب، ثم ختمت رسالتي بالحديث عن بعض ما وجدت في هذه السورة الكريمة من فنون البديع اللفظي والمعنوي.

ولازال للفكر والقلم حكاية مع هذه السورة، فأسرارها البلاغية لا تنفك تستنطق القلم

وتحيك من ثراء المعاني نوايا النهل من جديد، لولا أن كبحت جماح الرغبة فيها بقول الرافعي عن كتاب الله:"كلما زدته فكراً زادك معنى".

ولعل النتائج والتوصيات لاتدع مجالاً للريب في أن حقيقة هذا الكتاب الخالد، وخفاياه أنوار تضيء القلوب والعقول، وتفتح الأبصار، لذا سأكتفي بجهد المقل، راجية من الله أن يغفر لي الزلل، وأن يجعل ماخطته يدي في ميزان حسناتي أنا ومن أشرف على هذه الرسالة ، ومن ناقشها، ومن سعى في تذليل الصعوبات لمناقشتها، هو ولي ذلك والقادر عليه.

أهم ماتوصل إليه البحث من النتائج والتوصيات:

❖ أهمّ النتائج:

بعد هذه الرحلة المباركة مع هذه السورة الكريمة، نخلص إلى عدة نتائج من أبرزها:

- أن التعبير عن الماضي بلفظ المضارع وعكسه ليس طلباً للتوسع في أساليب الكلام فقط، بل لأمر وراء ذلك كتعظيم حال من أُجري عليه الفعل المستقبل؛ تفخيما لأمره، أو للتنبيه على تحقق وقوعه إذا عبر عن المستقبل بلفظ الماضي.

-كذلك نخلص إلى أن الفائدة من حكاية الحال الماضية: بعث الماضي، وتصويره في صورة الذي يحدث في الحال، ونقل ذهن المتلقي إلى تلك اللحظة، كأنه يراها ويعاينها ببصره.

- أن الخبر في سورة التوبة قد يخرج إلى الإنشاء بقصد الدعاء،أوللمبالغة غالباً

- أن إظهار لفظ الجلالة، إذا كان حقه الإضمار يكون، لتربية المهابة

كما أن وضع المظهر موضع المضمر، أو عكسه، قد يأتي للتوكيد، أو للتفخيم، لزيادة التقرير.

-أن استخدام التشبيه في سورة التوبة جاء كالدليل على إثبات الحقائق، و أداة لإيضاح المعنى المقصود سواءكان تنفيراً كما في قوله تعالى:(إنما المشركون نجس)،وقوله تعالى:(يضاهئون قول الذين كفروا)أو تحسيناً لصورة المشبه كقوله تعالى:(قل هو أذن خير).

-أن تشبيهات السورة على الرغم من قلّتها قياساً بباقي سور القرآن الكريم أخذت الطابع العام الذي سارت عليه تشبيهات القرآن الكريم من القدرة على تصوير المشاعر المختلفة،لاسيما عند الحديث عن المنافقين والكفار، للتشهير بصفاتهم السيئة، والاحتراز من الوقوع في شنائعهم.

- أن المجاز العقلي في سورة التوبة يثير الإحساس، فدلالته تكشف عن حقيقة مراده فليس من بين مفرداته مايدل على مجازية الاستعمال، وإنما نستشعر ذلك بالعقل عن طريق الإسناد في الجملة؛ فهو مستنبط من هيئة الجملة العامة، ومستخرج من تركيب الكلام،دون النظر في لفظ أو صيغة معينة.

- أن أنواع المجاز المرسل التي وردت في سورة التوبة لم تتجاوز في الغالب الأعم ثلاثة أنوا ع وهي:السببية، والكلية، والجزئية، وكلها أدت المعني المقصود بإيجاز شديد ،كذلك تجلّت فيها المهارة في تخير العلاقة بين المعني الأصلي، والمعني المجازي ، حيث جاءالمجاز مصوراً للمعنى المقصود خير تصوير ،كما في إسناد الشيء إلي سببه، أو الجزء إلى كله، أو الكل إلى جزئه.

-أن أغلب ضروب المجاز المرسل في السورة لا تخلو من مبالغة بديعة جعلت المجاز رائعاً خلاباً ،فإطلاق الكل علي الجزء، و إطلاق الجزء وإرادة الكل أفادت المبالغة، والإيجاز معا.

- أن الاستعارات في سورة التوبة جاءت متنوعة، تتناوب بين المكنية، والتصريحية، والتمثيلية والتهكمية، والتبعية ،والأصلية .

- أن بلاغة الاستعارة في سورة التوبة تكمن في أن تركيبها يدل على تناسي التشبيه ويحملنا عمداً على تخيل صورة جديدة، تنسينا روعتها ما تضمنه الكلام من تشبيه خفي وعليه فلا ريب أن تكونمجالاً فسيحاً للإبداع، وميداناً يتسابق فيه البلغاء؛ لما تحدثه من أثر في النفوس، وإعمال للفكر.

- أن الكناية مظهر من مظاهر البلاغة وغاية لا يَصل إليها إلا من لَطف طبعه، وصفت قريحته وأن السر في بلاغتها يكمن في أنها في صور كثيرة تُعطِينا الحقيقة مصحوبة بدليلها والقضية وفي طيها برهانها كما قال علماء البلاغة، كما أنها تضع لنا المعاني في حلية أبهى مما هي عليه.

- أن التعريض أخفى من الكناية؛ لأن دلالة الكناية لفظية ودلالة التعريض من جهة المفهوم، لا بالوضع الحقيقي ولا المجازي، والكناية تشمل لفظ المفرد والجملة، أما التعريض فلا يكون إلا في الجمل؛ لأنه لا يفهم المعنى فيه من جهة الحقيقة، ولا من جهة المجاز، إنما يفهم من جهة التلويح، والإشارة، وذلك لا يستقل به اللفظ المفرد، ولكن يحتاج في الدلالة عليه إلى اللفظ المركب.

- أن القرآن الكريم قد يفصل بين معنيين،أو يربط بينهما، متخذاً الإيضاح وسيلة لإبراز جمال المعنى، وهو في كل هذا يراعي إثارة عقول المخاطبين بمختلف درجات استيعابهم، وإثارة أنفسهم بمختلف نزعاتها.

-أن الفصل والوصل في البلاغة ليس بمستقل بأدواته وطرقه عن غيره من فنون البلاغة كالقصر، أو التقديم، والتأخير، أو غيرها من فنون البلاغة وهي جميعاً تتآزر لإبراز جمال المعنى في أبهى صوره الفنية .

- أن الجملة الحالية حين تتجرد من الواو تصبح في حكم الحال المفردة، لذا تتصل بالجملة التي هي قيد فيها اتصالاً ذاتياً كما تتصل جملة الخبر بالمبتدأ، والصفة بالموصوف وعندها تكون هي الغرض الخاص الذي يتجه إليه المعنى، أما حينما تدخل الواو عليها، فلايكون الغرض متجهاً إلى الحال بمفردها إنما يُقصد إلى أمرين على سبيل الاستقلال يجُمع بينهما بواو

وأن معيار الصلة الذاتية في قوتها يكمن في إمكانية انضمام الفعل في جملة الحال إلى الفعل السابق في إثبات واحد، فإذا أمكن ذلك لم تحتج الجملة إلى الربط بالواو، وإذا لم يمكن احتاجت إلى الواو.

- أن بلاغة الإيجاز بنوعيه، تكمن في إطلاق سراح الذهن وجعله يتجول في المعاني كيفما شاء بدون قيود أو حدود، مادام يتمكلها اللفظ بالتفسير و التأويل.

- أن مقياس البلاغة في الإيجاز ليس في قله عدد الحروف فقط، بل فيما يحمله اللفظ الواحد من معانٍ وما يثيره من صور وأفكار.

- أن الإطناب لا يقل أهمية في بلاغته عن الإيجاز، فبلاغة الإطناب في موضعه كبلاغة الإيجاز في موضعه.

- أن الإطناب يعني: زيادة اللفظ على المعنى لفائدة، وكونه لفائدة: شرط لابد من توفره ليخرج بذلك من الإسهاب، والتطويل لغير فائدة.

- أن جمال الإيضاح بعد الإبهام، يكمن في إظهار المعنى بصورتين مختلفتين، الأولى مبهمة مجملة، والثانية: موضحة مفصلة، وأن التكرار، والتذييل غالباً لايأتيان إلا لأجل التوكيد.

- أن وضع الظاهر موضع الضمير يمكن أن يكون من أبواب الإطناب، وأن له فوائد كثيرة، تُدرك، لايدركها إلا أرباب الذوق السليم.

- أن بلاغة المطابقة والمقابلة تتجلى في كونهما يجمعان بين الشيء وضده، ومن شأن هذه الضدية أن تكون خير معين على تحقيق المعنى وتوكيده، كما أنهما لاينفصلان عن باقي علوم البلاغة، فقد يجتمع الطباق، بالكناية، والاستعارة والمجاز، وغيرها من فنون البلاغة في سياق واحد.

- أن المبالغة لاتنفصل عن باقي فنون البلاغة، فهي شبه ملازمة للكثير منها كالقصر والكناية وغيرهما من الفنون البلاغية.

– أن المشاكلة تكرير لفظي، ولون من ألوان اتحاد اللفظ، واختلاف المعنى يرتكز على انحراف دلالة أحد اللفظين المتشاكلين عن معناه الأصلي لغاية وهدف مقصود يخرج غالباً لجعل الجزاء من جنس العمل.

–كما نخلص إلى ضرورة التّنبه للتوجيه البلاغي الصحيح لآيات الأسماء والصفات خاصة ونتنبّه إلى أقوال بعض البلاغيين القدماء التي قد تصرف النص الكريم عن وجهه، فالكثير من أمثلة المشاكلة في القرآن الكريم تحتاج إلى إعادة نظر، خاصة فيما يخص صفات الله عزّ وجلّ –

–إن بلاغة المشاكلة تظهر جلية في أنه أسلوب يقوم على مفاجأة السامع بصفة غير متوقعة،وذلك باستخدام أداة من أدوات الاستثناء، بحيث يشعر المتلقي بأن حكم مابعد الأداة سيخالف حكم ما قبلها؛ إلا أنه يتفاجأ بأن مابعد الاستثناء جاء مؤكداً للمعنى السابق خير توكيد.

– أن الجناس في سورة التوبة، لم يخرج عن نظرية:(تداعي الألفاظ، وتداعي المعاني) في علم النفس، وهذه الناحية النفسية، هي التي تشرح لنا كيف يقع التجنيس عفو الخاطر دون معاناة ولا تتهيأ هذه القدرة إلا لمن كان ملماً بلغته،متذوقا لها ،عالماً بتصريفها .

–إن التجاوب الجرسي، الصادر عن مجيء الكلمات المتماثلة في سياق الآية الواحدة،له بالغ الأثر على الأذن والقلب معاً ، إذ يتوهم السامع أن اللفظ قد تكرر، فتأخذه الدهشة عندما يأتي اللفظ الثاني بمعنى مغاير جديد.

-إنّ البلاغة الحقيقية –كما أجمع البلغاء–هي أن يكون أوّل الكلام دالاً على آخره وأن يكون آخره مرتبطاً بأوّله، وهذا هو المحور الأساسي الذي يقوم عليه رد العجز على الصدر.

-إنّ الفواصل القرآنية ظاهرة أسلوبية لافتة إلى البيان المعجز، تحتاج إلى مزيد من التدبر في أسرار تعبيرها؛ لما لها من دور كبير في تربية الذوق، والارتقاء بأساليب الكلام.

❖ أهم التوصيات:

ختاما أوصي نفسي،كما أوصي غيري من الباحثين في إخلاص النية والجهد لوجه الله تعالى في طلب العلم.

-كما أوصي،قسمنا الحبيب(قسم اللغة العربية) في كلية الآداب ،جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن أن يتبنى سلسلة بعنوان:(من بلاغة القرآن الكريم في سورة...)، تجبر فيها الباحثات في تخصص البلاغة، والنقد لاسيما مرحلة الماجستير على أن يقمن بإتمام هذه السلسلة، حتى تستوعب القرآن الكريم كاملاً ،وفقاً لخطة موحدة، حتى تكتمل الأداة في أيدي الباحثات وخدمة لكتاب الله عزّ وجلّ.

-كذلك أوصي المتخصصين في مجال البلاغة والنقد، لاسيما في مرحلة الماجستير: أن يجعلوا من كتاب الله عزّوجلّ - محطتهم الأولى، فهو أبلغ الكلام على وجه الإطلاق، ومن شأنه أن يمدهم بأداة التمكن التي تصل بهم إلى ذروة التذوق البلاغي.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مستخلص الرسالة باللغتين:
العربية والانجليزية

مستخلص لبحث:

(من بلاغة القرآن الكريم في سورة التوبة)

دراسة بلاغية تحليلية

درست الباحثة في هذه الرسالة بلاغية القرآن الكريم في سورة التوبة من خلال التحليل البلاغي لبعض الآيات مستوفية علوم البلاغة الثلاثة:(المعاني، البيان، البديع) مقسمة على النحو التالي:

الباب الأول:البناء الفني للجملة

الفصل الأول: أحوال الكلمة البلاغية في الجملة من خلال السياق ويتضمن:

- تنوع الصيغ.
- التعريف والتنكير.
- الدقة في استخدام حروف المعاني من خلال السياق.

الفصل الثاني:أحوال الجملة الخبرية ويتضمن:

- أسرار التعبير بالجملة الاسمية، والفعلية، الإطلاق والتقييد ومتعلقات الأفعال.
- التقديم والتأخير وأسرارهما البلاغية.
- القصر طرقه وأسراره البلاغية.

الفصل الثالث: أسرار التعبير بالجملة الإنشائية يتضمن:

أولا-الأسرار البلاغية لأساليب الاستفهام في الجملة.

ثانيا-الأسرار البلاغية لأساليب الأمر والنهي والنداء في الجملة.

ثالثا-خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر ويتضمن:

- الالتفات.
- التعبير عن الماضي بالمضارع وعكسه.
- خروج الخبر إلى الإنشاء.
- وضع الظاهر موضع المضمروعكسه.

الباب الثاني: ألوان التصوير البياني وأسرارها البلاغية ويتضمن ثلاثة مباحث:

- الفصل الأول: التصوير بالتشبيه أنواعه وأسراره.
- الفصل الثاني: التصوير بالمجاز العقلي والمجاز المرسل، والاستعارة.
- الفصل الثالث: التصوير بالكناية والتعريض.

الباب الثالث: أحوال الجمل ويتضمن أربعة فصول هي:

- الفصل والوصل وأسرارهما.
- الجمل الحالية: أنواعها في السورة وأسرارها.
- الإيجاز: أنواعه وأسراره البلاغية.
- الإطناب: صوره وأسراره البلاغية.

الباب الرابع: فنون البديع ويتضمن فصلين هما:

الفصل الأول: فنون البديع المعنوي:

- المطابقة والمقابلة.
- المبالغة.
- التقسيم.
- تأكيد الشئ بما يشبه ضده.
- المشاكلة.

الفصل الثاني: فنون البديع اللفظي:

- الجناس وما يلحق به.
- رد العجز على الصدر.
- رعاية الفاصلة.

هذا والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

Research abstract depicting eloquence of Quran displayed in Sura Repentance

Rhetorical Analysis Study

The researcher examined in this thesis eloquence of the Holy Quran as realized in Sura Repentance through observing rhetorical analysis of some verses that purposely fulfill the three dimensions of rhetoric components: semantics, elocution, and diction.

PART ONE: Artistic Structure of the sentence

i. **Chapter :** Rhetoric word category in the sentence within context including four sections

- Word format
- Definite& indefinite form
- Ellipsis & disclosure
- Semantics accuracy use within context

ii. **Chapter:** Statement sentence category including five sections

- Nominal sentence features
- Verbal sentence features
- Substitution features
- Restriction &unrestraint and verb correlate

- Abridgement modes and its rhetoric aspects

iii. **Chapter:** Composition creation countenance including four sections

- Rhetoric features of interrogation modes of the sentence
- Rhetoric features of command and interdiction modes of the sentence
- Rhetoric features of optative mood and vocative particle of the sentence
- Dissimulationincluding:

A- Reciprocal transfer

B- Expressing past via present & vice versa

C- Converting declaration to composition

Part Two: Similitude standards and their rhetoric aspects including three sections

Chapter Simile illustration: features and types

Chapter Figurative expression, figurative verbs, and metaphor depiction

Chapter: Metonymy & prosopopoeia exposure

Part Three: Sentence status including four chapters

Chapter: Features of conjunctive & disjunctive

Chapter: Manner expressing sentence actions: kinds & features displayed in Sura Repentance

Chapter: Abridgement: kinds and rhetorical features

Chapter: Extravagant or hyperbole statement: illustrations & rhetorical features

Part Four: Rhetoric techniques including two chapters

Chapter One: Abstract incorporeity of rhetoric techniques: including the following

- Antithesis & collation
- Overstatement
- Complete mention of divisions of the same idea
- Antithetical emphasis
- Circumstantial reciprocity between generalization & particularity

Chapter Two: verbal or lexical rhetoric including the following

- Pun and its attendants
- First hemistich & second hemistich interchange
- Rhyming correlatives

Herewith but God know best and blessings of Allah be upon our Prophet Mohammad and his kens & his companions

الفهـــارس

أولاً: فهرس الآيات الكريمة

ثانياً: فهرس المصادر والمراجع

ثالثاً: فهرس الموضوعات

أولا: فهرس الآيات الكريمة

الآيـــــــــــة	صفحات ورودها في البحث
قَالَ تَعَالَى: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ ①﴾	٤٣-٧٠-١٢٦-٢١٣-٣٤٨
قَالَ تَعَالَى: ﴿فَسِيحُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ②﴾	٤٤-٧٢-٧٤-١٢٧-١٩٢-٢١٣-٢٢٨-٣٠٢-٤٦١-
قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ③﴾	٤٥-٤٦-٧٤-١٠٠-٢١٣-٣٠٣-٣٦٥
قَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ④﴾	٧٦-١٠٠-٣٠٣-٤٠٤
قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ⑤﴾	٤٧-٧٢-٢٢٩-٢٦٧-٣٠٤
قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ ⑥﴾	٧٦-١٠١-١٢٧-٣٠٤-٣٤٨
قَالَ تَعَالَى: ﴿كَيْفَ يَكُونُ ⑦﴾	٤٨-٧٧-١٤٨-١٧٨-٢٨٦-٣٠٥-٤٠٤
قَالَ تَعَالَى: ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُواْ ⑧﴾	٣٧-٧٨-١٤٨-١٧٩-٣٠٦-٣٣٦-٣٦٥
قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱشْتَرَوْاْ بِـَٔايَٰتِ... ⑨﴾	٧٨-١٢٨-٢٦٨-٣٤٩

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ ﴿١٠﴾ ﴾	٣٧-٧٨-٧٩-١٢٨-١٧٠-٣٠٦-٣٦٦
قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا ﴿١١﴾ ﴾	١٠١-١٢٨-٢٨٧-٣٥٠-٣٦٦-٤٢٣
قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓا أَيْمَـٰنَهُم ﴿١٢﴾ ﴾	٤٩-١٢٩-٢٢٩-٢٦٩-٣٠٧-٣٣٧-٣٦٦
قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَا تُقَـٰتِلُونَ ... ﴿١٣﴾ ﴾	٧٩-١٠١-١٣٠-١٦٥-١٨١-٤٠٥
قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَـٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ﴿١٤﴾ ﴾	٨٠-١٥١-٢٥٥-٣٥١-٣٦٨
قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيُذْهِبْ غَيْظَ ﴿١٥﴾ ﴾	٢٣٠-٣٠٨-٣٦٨-٤٢٦
قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ ﴿١٦﴾ ﴾	٥١-١٠٢-١٣١-١٥١-١٨٧-٣٠٨
قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ ﴿١٧﴾ ﴾	٤٠-٨١-١٣١-١٤٩-١٦٦-٢٨٧-٣٠٩-٣٤٧-٣٦٧-٤٦٣
قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَـٰجِدَ ﴿١٨﴾ ﴾	٣٨-٨١-١٥٨-١٦١-٣٠٩
قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ ﴿١٩﴾ ﴾	٥٣-٨٢-١٨٠-٢٤٥-٣١٠-٣٥١
قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا ﴿٢٠﴾ ﴾	٨٢-١٧٠-٣١٠-٣٦٩-٤٢٣

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم ﴿٢١﴾﴾	٨٣-١٣٢-٢٥٦-٢٦١-٣٦٩-٤٠٦-٤٢٣
قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ﴿٢٣﴾﴾	٨٤-١٧١-١٩٢-٣٥٢
قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ ﴿٢٤﴾﴾	٥٣-١٩٣-٢٦٠-٢٨٨
قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ ... ﴿٢٥﴾﴾	٥٤-٨٤-١٠٣-٢٨٨-٣٥٣-٤٠٦
قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ ﴿٢٦﴾﴾	١٠٤
قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ ﴿٢٧﴾﴾	٤٦٢
قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ﴿٢٨﴾﴾	٥٥-٨٥-١٣٢-١٦١-١٩٤-٢٤٦-٣١١- ٣٤٧-٤٠٧
قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ ﴿٢٩﴾﴾	٥٥-١٠٥-١٩٥-٢٦٢-٢٨٩-٣١١-٣٣٧
قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ ... ﴿٣٠﴾﴾	٥٦-٨٦-١٨٧-٢٢٠-٢٤٧-٢٦٣-٣١٢- ٣٥٠-٣٦٩-٤٠٧
قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ ﴿٣١﴾﴾	٤١-٤٢-١٥٨-٣٣٨
قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يُرِيدُونَ أَن ... ﴿٣٢﴾﴾	١٥٩-٢٣٠-٢٧٦-٣٥٢-٣٩٣-٤٠٨

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ﴿٣٣﴾ ﴾	٨٦-١٠٤-١٧١-٢٨٩-٤٠٩
قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴿٣٤﴾ ﴾	٨٧-١٩٥-٣٦٣-٢٧٠-٣١٢
قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا ﴿٣٥﴾ ﴾	٨٨-١٩٦-٢٧١-٣٥٣-٤٠٩-٤٥٥
قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ ﴿٣٦﴾ ﴾	٨٨-١٠٥-١٣٣-١٩٦-٣٧١-٣٨٩
قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ ﴿٣٧﴾ ﴾	٥٧-٥٨-٨٩-١٣٣-١٦٢-٢٣١-٢٩٠-٣٩٤-٤٥٥
قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾	٨٥-١٠٦-١٨٨-١٩٧-٢١٦-٢٣٢-٢٩٠-٣٥٤-٣٨٨-٤٥٠
﴿ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ ﴿٣٩﴾ ﴾	١٠٦-٣٧١
قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ ... ﴿٤٠﴾ ﴾	٩٠-١٠٦-١٣٤-١٧٢-٢٥٧-٢٦١-٣١٣-٣٥٥-٣٩٠
قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا ﴿٤١﴾ ﴾	٩٠-١٣٤-١٥٢-١٩٧-٣٥٣-٣٩٠-٤٢٤
قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا ﴿٤٢﴾ ﴾	٩١-١٠٧-١٣٥-٣٣٩-٣٥٥

قَالَ تَعَالَى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ ﴿٤٣﴾﴾	١٨٨-٢٢١-٢٩٠-٣١٤-٣٩٧-٤٦٣
قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ﴿٤٤﴾﴾	١٣٥-٢٣٢-٣١٤-٣٥٦-٣٧٢
قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ ﴿٤٥﴾﴾	١٠٧-١٣٦-١٦٣-٢٦٤-٣١٤-٣٥٦- ٣٧٢-٤٥٢
قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ ﴿٤٦﴾﴾	١٠٧-١٣٦-١٩٨-٣١٥
قَالَ تَعَالَى: ﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم ﴿٤٧﴾﴾	٥٩-١٠٨-١٣٧-٢٧١-٣١٥-٣٣٩- ٣٥٦-٣٧٢-٤١٠-٤٣٣
قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ ﴿٤٨﴾﴾	١٠٨-٢٩١-٣٤٠-٤١١
﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن ﴿٤٩﴾﴾	٩١-١٠٩-١٣٧-١٦٧-١٩٨-٢٣٢- ٢٥٧-٢٧٨-٤١١-٤٢٥
قَالَ تَعَالَى: ﴿إِن تُصِبْكَ ﴿٥٠﴾﴾	٩٢-٣٤٠-٣٩١-٤٢٦
قَالَ تَعَالَى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ ﴿٥١﴾﴾	١٥٠-١٦٠-١٦٨-١٧٢-١٩٨-٢٣٣
قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ ﴿٥٢﴾﴾	١١٠-١٣٨-١٥٠-١٦٨-١٨٦-٤٢٧- ٤٥٥

قال تعالى: ﴿ قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا ﴿٥٣﴾ ﴾	١٠٩-١٣٨-١٩٩-٢٢٥-٣١٦-٣٥٧-٣٩٢
قال تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ ﴿٥٤﴾ ﴾	٢١٨-٣١٦-٣٤٠
قال تعالى: ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ ﴿٥٥﴾ ﴾	١١٠-١٥٢-١٩٩-٣٤١
قال تعالى: ﴿ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ ﴿٥٦﴾ ﴾	١٣٨-٤٢٨
قال تعالى: ﴿ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا ﴿٥٧﴾ ﴾	٦١-١٣٩-١٢٧-٤٢٨
قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ ﴿٥٨﴾ ﴾	٣٦-١١٠-٣١٧-٣٥٧-٣٩٨-٤٢٥
قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا ﴿٥٩﴾ ﴾	١٥٠-١٦٩-٣١٧
قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ ﴿٦٠﴾ ﴾	١١١-١٥٢-١٦٣-٢٣٣-٣٧٣-٤٢٨
قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ ﴿٦١﴾ ﴾	١١٢-٢٣٤-٢٤٨-٣٧٣-٤٢٦-٤٤٢
قال تعالى: ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ ﴿٦٢﴾ ﴾	١٥٣-٣٥٩
قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا ﴿٦٣﴾ ﴾	١٨٣

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾	١٣٩-٢٠٠-٢٢٢-٢٣٤-٢٧٩
قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ... ﴿٦٥﴾ ﴾	١٥٣-١٦٤-١٦٩-١٨٠-٢٠٠
قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم ﴿٦٦﴾ ﴾	٩٢-١١٢-١٣٩-٢٠٠-٣١٨-٣٤١-٣٩٤-٣٩٧
قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ ﴿٦٧﴾ ﴾	١١٢-١٧٣-٢٣٥-٣١٨-٣٩٩-٤١٢-٤٤٣
قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ﴿٦٨﴾ ﴾	٩٣-١٤٠-٢١٤-٢٣٥-٢٥٦-٣١٨
قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴿٦٩﴾ ﴾	٩٤-١٧٣-٢١٤-٢٤٩-٢٧٢-٢٩٣-٣٧٤-٤١٢
قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ﴿٧٠﴾ ﴾	١٨٣-٢١٧-٣١٩
قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ ﴿٧١﴾ ﴾	٩٥-١١٣-٢٣٦-٣١٩-٣٩٩
قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾	٩٥-١٧٤-٢٣٦-٢٥٧-٣٢٠
قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ﴿٧٣﴾ ﴾	٢٠١-٣٥٩-٤٢٩

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ ﴿٧٤﴾ ﴾	١٤٠-٢١٩-٢٦٤-٣٢١-٣٦٠-٤٣٥
قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ ﴿٧٥﴾ ﴾	٤٢٦
قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا ﴿٧٧﴾ ﴾	١١٣-١٤٠-١٢٨
قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ ﴿٧٨﴾ ﴾	١٨٤
قَالَ تَعَالَى: ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾	١١٣-١٤١-٢٢٤-٢٧٣-٣٦٠-٣٧٥-٤٤٤
قَالَ تَعَالَى: ﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴿٨٠﴾ ﴾	١١٠-١٤١-٢٠٢-٢٢٥-٣٧٥-٣٩٨-٤٥٢
قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ ﴿٨١﴾ ﴾	٢٠٣-٢٩٤-٣٦١-٣٦٧
قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا ﴿٨٢﴾ ﴾	٢٠٣-٢٢٢-٢٩٤-٤٠٠
قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَإِن رَّجَعَكَ اللَّهُ ﴿٨٣﴾ ﴾	٨٠-١١٤-١٤١-٢٢٣-٤١٣-٤٥٣
قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم ﴿٨٤﴾ ﴾	١٤٢-٢٠٤-٢١٨-٣٢٢
قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ ﴿٨٥﴾ ﴾	١٩٩-٣٧٥-

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ ﴿٨٦﴾ ﴾	٢٠٤-٢٦٥-٣٢٢
قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ ﴿٨٧﴾ ﴾	٣٢٢
قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ ﴿٨٨﴾ ﴾	٩٦-١١٤-٢٣٧-٢٩٥
قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ ﴿٨٩﴾ ﴾	٩٦-٣٢٣
قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَجَآءَ ٱلۡمُعَذِّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾	٦٤-٩٤
قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّيۡسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ ﴿٩١﴾ ﴾	١١٥-٢٣٧-٢٧٤-٣٢٣-٣٧٦
قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾	١١٥-٢٥٨-٣٤٢-٣٧٦
قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ ﴿٩٣﴾ ﴾	١٦٤-٣٢٤
قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَعۡتَذِرُونَ إِلَيۡكُمۡ ﴿٩٤﴾ ﴾	٢٣٨-٢٩٥
قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ سَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ ﴿٩٥﴾ ﴾	٢٠٤-٣٢٥
قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ ﴿٩٦﴾ ﴾	٢٣٨-٢٩٦
قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلۡأَعۡرَابُ أَشَدُّ ﴿٩٧﴾ ﴾	٣٧٧-٤٣٠

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ ﴿٩٨﴾ ﴾	٦٥-١١٥-٢٢٣-٢٧٥-٣٧٧-٤١٤-٤٣٠-٤٤٥
قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ ﴿٩٩﴾ ﴾	٩٦-١٤٢-٢٥٨-٢٧٥-٣٢٥-٤٣٠
قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾	١٥٤-١٧٤
قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمِمَّنۡ حَوۡلَكُم مِّنَ ﴿١٠١﴾ ﴾	١٤٣-٣٢٧-٤٣٠
قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ ﴿١٠٢﴾ ﴾	١١٦-٣٨٧-٣٩٢-٤١٤-٤٣٠
قَالَ تَعَالَى: ﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةً ﴿١٠٣﴾ ﴾	٢٠٥
قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ ﴿١٠٤﴾ ﴾	١١٦-١٧٤-١٨٥-٢٨٠-٣٢٧-٤٥٧-٤٦٣
قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ ﴿١٠٥﴾ ﴾	٢٠٦-٣٢٩-٤٥٧
قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَءَاخَرُونَ مُرۡجَوۡنَ ﴿١٠٦﴾ ﴾	٦٥-١١٧-٣٢٨-٤٣١
قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ﴿١٠٧﴾ ﴾	٣٢٨
قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ ﴿١٠٨﴾ ﴾	١١٧-٢٠٦-٢٩٧-٤٥٨

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ ﴿١٠٩﴾ ﴾	٦٦-١٨١-٢٣٩-٢٨١-٣٨٧-٤١٥-٤٥٠
قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ ﴿١١٠﴾ ﴾	٣٦١-٤١٥-٤٣٧
قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ ﴿١١١﴾ ﴾	١١٨-١٤٣-١٥٥-١٨٩-٢٠٧-٢١٥-٢٨٣-٣٢٩-٤٥٢
قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ... ﴿١١٢﴾ ﴾	١١٨-٢٤٠-٣٧٩-٤٦٤
قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ ﴿١١٣﴾ ﴾	٤٠-٤١٦
قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ ﴿١١٤﴾ ﴾	١١٩-٣٢٩-٤١٦
قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ ﴿١١٥﴾ ﴾	٤٠-٣٣٠-٣٩٥
قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ﴿١١٦﴾ ﴾	١٤٤-٣٣١-٣٩٥
قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ ﴿١١٧﴾ ﴾	١١٩-١٥٥-٣٣١-٤١٧
قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾	٨٣-٩٧-١١٩-٢٨٣-٢٩٧-٣٨٠-٣٩٦-٤١٧-٤٤٦-٤٥٨-٤٦٤

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴿١١٩﴾ ﴾	٢٠٧
قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَا كَانَ ﴿١٢٠﴾ ﴾	٤٠-٩٧-١٢٠-٢٥٩-٣٣٢-٣٨١-٤١٨-٤٥١
قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً ﴿١٢١﴾ ﴾	٩٨-١٤٤-٣٣٣-٣٨١-٣٩٣
قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾	٤٠-٤٢-٩٨-١٢١-٣٦١-٣٩٦
قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴿١٢٣﴾ ﴾	١٤٥-٢٠٨-٢٩٧-٤١٨
قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ ﴿١٢٤﴾ ﴾	١٢٢-١٨٧-٢٥٩-٣٤٣
قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾	٣٤٣
قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ ﴿١٢٦﴾ ﴾	١٢٢-١٤٥-١٨٥-٤٦٥
قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ ﴿١٢٧﴾ ﴾	١٨٦-٢٢٤-٤٥١
قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ ﴿١٢٨﴾ ﴾	١٢٣-١٤٩-٢٩٨-٣٣٣-٤١٩-٤٦٦
قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ ﴿١٢٩﴾ ﴾	١٥٠-١٦٠-٢١٥-٣٣٣

ثانيا:فهرس المصادر والمراجع

أ- المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- الإتقان في علوم القرآن،لأبي الفضل جلال الدين السيوطي،(لبنان،بيروت،دار الكتب العلميّة،د.ت)
- أسرار البلاغة،عبد القاهر الجرجاني، قراءة وتعليق:محمود محمد شاكر،(دار المدني، جدة،الطبعة الأولى،١٤١٢هـ-١٩٩١م)
- أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية،حسن طبل(دار الفكر العربي،القاهرة،١٤١٨هـ-١٩٩٨م)
- الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة،محمد الجرجاني،تحقيق:د.عبد القادر حسين،(مكتبة الآداب،ميدان الأوبرا،١٤١٨هـ-١٩٩٧م)
- الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز،عز الدين الشافعي،تحقيق:محمد الحسن بن إسماعيل،دار الكتب العلميّة،لبنان،بيروت، الطبعة الأولى،١٤١٦هـ-١٩٩٥م)
- إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد،صالح بن فوزان الفوزان،(مؤسسة الرسالة الطبعة الثالثة،١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م) الجزء الثاني
- الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ دراسة تحليلية للإفراد والجمع في القرآن ،محمد الأمين الخضري،الطبعة الأولى١٤١٣هـ-١٩٩٣م،د.ت)

- إعراب القرآن الكريم،أ.محمد الطيب الإبراهيم (دار النفائس،لبنان،بيروت،الطبعة الثالثة:١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م)

- إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس،تحقيق:د،زهير غازي زاهد،(عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، لبنان، بيروت، الطبعة الثالثة،١٤٠٩هـ،١٩٨٨م)

- الإكسير في علم التفسير، الطوفي، تحقيق:د.عبد القادر حسين (المطبعة النموذجية،د.ت)

- الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، شرح وتعليق وتنقيح:د. محمد عبد المنعم خفاجي،(دار الجيل، بيروت،الطبعة الثالثة،د.ت)

- البرهان في ترتيب سور القرآن،الغرناطي،تحقيق:محمد شعباني،(وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة،المملكة المغربية،١٤١٠هـ-١٩٩٠م)

- البرهان في علوم القرآن، الزركشي،تعليق:مصطفى عبد القادر عطا،(لبنان،بيروت،دار الكتب العلميّة، الطبعة الأولى،١٤٠٧هـ-١٩٩٨م)

- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ،جلال الدين السيوطي تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (المكتبة العصرية، لبنان، بيروت ،صيدا،د.ت) المجلد الأول.

- البلاغة الاصطلاحية،د.عبده قلقيلة،(دار الفكر العربي، مصر،القاهرة ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م)

- البلاغة فنونها وأفنانها،فضل حسن عباس،دار الفرقان الأردنعمـ ّـان، الطبعة الأولى١٤٠٧هـ،١٩٨٧م)

- التبيان في علم المعاني والبديع والبيان،الطيبي،تحقيق:د.هادي الهلالي،(عالم الكتب،لبنان، بيروت،الطبعة الأولى،١٤٠٧هـ-١٩٨٧م)

- تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم،لأبي السعود محمد بن محمد العمادي،(دار إحياء التراث العربي،لبنان بيروت،الجزء الثالث،د.ت)

- تفسير البحر المحيط،ابن حيان،تحقيق:عبد الرزاق المهدي،(دار إحياء التراث العربي، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى،١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م)

- التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم،د.عبد العظيم المطعني،(مكتبة وهبة،مصر، القاهرة،الطبعة الثانية،١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م)

- تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي (منشورات علي بيضون دار الكتب العلميـ ّـة، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى،١٤٢٠هـ-١٩٩٩م)المجلد الأول

- تفسير الجلالين،جلال الدين السيوطي، جلال الدين المحلي،(دار الفكر،د.ت)

- تفسير الشعراوي،محمد متولي الشعراوي،(أخبار اليوم. قطاع الثقافة،د.ت)

- تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، الطبري، تحقيق:د.عبد اللهالتر كي،(دار عالم الكتب،المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى،١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م)الجزء الحادي عشر.

- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير(دار المعرفة،لبنان،بيروت،الطبعة السابعة،١٤١٥هـ-١٩٩٥م)

- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) ،القرطبي،تحقيق:عبد الرزاق المهدي،(دار الكتاب العربي،لبنان،بيروت،الطبعة الأولى،١٤١٨هـ-١٩٩٧م)الجزء الثامن.

- التفسير الكبير أو(مفاتيح الغيب)،للإمام فخر الدين الرازي،(دار الكتب العلمية، لبنان،بيروت،الطبعة الأولى،١٤١١هـ-١٩٩٠م)

- تفسير التحرير والتنوير،محمد الطاهر ابن عاشور،الجزء العاشر، والجزء الحادي عشر،د.ت)

- تلخيص البيان في مجازات القرآن، الشريف الرضي،تحقيق:محمد عبد الغني حسن،(دار إحياء الكتب العربية و فيصل عيسى البابي الحلبي،د.ت)

- التلخيص في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، ضبط وشرح:عبد الرحمن البرقوقي،(دار الكتاب العربي،لبنان،بيروت، د.ت)

- التناسب البياني في القرآن(دراسة في النظم المعنوي والصوتي)، أحمد أبو زيد(مطبعة النجاح، المغرب، الدار البيضاء.د.ت)

- تناسق الدرر في تناسب السور، السيوطي،تحقيق:عبد القادر أحمد عطا،(دار الكتب العلميّة، لبنان ،بيروت،الطبعة الأولى،١٤٠٦هـ-١٩٨٦م)

- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني في الدراسات القرآنية والنقد الأدبي، تحقيق:محمد خلف الله، وآخرون،(دار المعارف،مصر،د.ت)

- الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه مع فوائد نحوية هامة، محمود الصافي،(دار الرشيد، لبنان، بيروت،الطبعة الثالثة،١٤١٦هـ-١٩٩٥م)

- الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي، تحقيق:د.فخر الدين قباوة وآخرون،(دار الكتب العلميّة، لبنان، بيروت،الطبعة الأولى،١٤١٣,١٩٩٢م)

- جواهر الكنز(تلخيص كنز البراعة في أدوات ذوي اليراعة)،أحمد بن إسماعيل الحلبي،تحقيق:محمد زغلول سلام،(منشأة المعارف ، الإسكندرية،د.ت)

- حاشية ابن التمجيد،مصلح الدين الرّومي الحنفي،تخريج:عبد الله محمود محمد عمر،منشورات:محمد علي بيضون،(دار الكتب العلميّة، لبنان، بيرت الطلعة الأولى،١٤٢٢هـ-٢٠٠١م)

- حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي شهاب الدين الخفاجي،ضبط وتخريج:الشيخ : عبد الرزاق المهدي،منشورات محمد علي بيضون،(دار الكتب العلميّة، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى،١٤١٧هـ-١٩٩٧م) الجزء الرابع

- حاشية القو نوي على تفسير البيضاوي،عصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي ضبط وتصحيح:عبد الله محمود محمد عمر،منشورات علي بيضون (دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت،الطبعة الأولى،١٤٢٢هـ-٢٠٠١م)

- حاشية الكازروني على البيضاوي،لأبي الفضل القرشي،تحقيق:الشيخ:عبد القادر عرفات العشّا حسّونة،إشراف:مكتب البحوث والدراسات،(دار الفكر،١٤١٦هـ-١٩٩٦م)

- حاشية محيي الدين شيخ زادة على تفسير القاضي البيضاوي،محيي الدين شيخ زادة،(دار الكتب العلميّة،لبنان، بيروت، د.ت)

- الخصائص،لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار،(د.ت)

- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون،السمين الحلبي، تحقيق وتعليق: الشيخ على محمد معوض وآخرون،تقديم:د:أحمد محمد صيرة،(دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى،١٤١٤هـ-١٩٩٤م، الجزء الثالث)

- دلائل الإعجاز،عبد القاهر الجرجاني،قراءة وتعليق:محمود محمد شاكر،(مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة،الطبعة الثالثة،١٤١٣هـ-١٩٩٢م)

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، ضبط وتصحيح:علي عبد الباري عطية،(دار الكتب العلميّة،لبنان،بيروت،الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م) المجلد الخامس، الجزء التاسع.

- زاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج الجوزي القرشي البغدادي،(المكتب الإسلامي،دار ابن حزم،لبنان، بيروت،الطبعة الأولى،١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م)

- شرح التلخيص ،البابرتي،دراسة وتحقيق د.محمد مصطفى رمضان وفيه،(المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ،ليبيا، طرابلس، الطبعة الأولى،١٣٩٢هـ-١٩٨٣م)

- شروح التلخيص، للتفتازاني، المغربي، السبكي (دار السرور لبنان،بيروت،د.ت)

- الشعر والشعراء، ابن قتيبة(دار إحياء العلوم،لبنان، بيروت الطبعة الخامسة،١٤١٤هـ-١٩٩٤م)

- الصناعتين الكتابة والشعر، تصنيف: أبي هلال العسكري، تحقيق: على البجاوي وآخرون،(المكتبة العصرية،لبنان، صيدا، بيروت،١٤١٩هـ-١٩٩٨م)

- طراز الحُلة وشفاء الغُلة،شهاب الدين الغرناطي،تحقيق:د.رجاء السيد الجوهري،(مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية،د.ت)

- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز،العلوي،تحقيق:د.عبد الحميد هنداوي،(المكتبة العصرية، لبنان، صيدا، بيروت،الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م)

- علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع،د: بسيوني فيود،(مصر، القاهرة،مؤسسة المختار،الطبعة الثانية،١٤١٨هـ-١٩٩٨م)

- الفاصلة في القرآن، محمد الحسناوي،(دار عمار، الأردنعمّان،الطبعة الثانية،١٤٢١هـ-٢٠٠٠م)

- فتحالقدير الجامع بين فنّي الرواية والدراية من علم التفسير،محمد الشوكاني،(عالم الكتب،د.ت)

- في ظلال القرآن، سيد قطب،(دار الشروق، مصر، القاهرة،د.ت)

- القاموس المحيط، الفيروز آبادي،(دار الجيل، لبنان، بيروت،د.ت)

- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، محمد بن صالح بن عثيمين (الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة،الطبعة الثالثة،١٤٢١هـ-٢٠٠١م)

- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل الزمخشري، تحقيق:الشيخ عادل أحمدعبد الموجود وآخرون،مكتبة العبيكان،الجزء الثالث،د.ت)

- لباب النقول في أسباب النزول،جلال الدين السيوطي،(دار إحياء العلوم، لبنان، بيروت،الطبعة الثامنة،١٤١٤هـ-١٩٩٤م)

- لسان العرب، لابن منظور،(دار الفكر،لبنان،بيروت،الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠)

- لطائف قرآنية، صلاح الدين الخالدي(دار القلم،سوريا، دمشق،الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م).

- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر،ابن الأثير،تحقيق:الشيخ: كامل محمد عويضة،منشورات محمد علي بيضون،دار الكتب العلميّة،لبنان، بيروت،الطبعة الأولى ١٤١٩هـ-١٩٩٨م)

- مجمع الأمثال للميداني،تحقيق:محمد أبو الفضل إبراهيم(دار الجيل،لبنان،بيروت،الطبعة الثانية،١٤٠٧هـ-١٩٨٧م)الجزء الثاني

- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، تحقيق:المجلس العلمي بفارس، الجزء الثامن،د.ت)

- المصباح في المعاني والبيان والبديع، بدر الدين بن مالك، تحقيق:د.حسني عبد الجليل يوسف، (مكتبة الآداب،ميدان الأوبرا،د.ت)

- المطول في شرح تلخيص المفتاح، سعد الدين التفتازاني،(المكتبة الأزهرية للتراث،د.ت)

- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، حافظ بن أحمد حكمي تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر (دار ابن القيم،السعودية، الدمام الطبعة الأولى ، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م)

- المعاني الثانية في الأسلوب القرآني،فتحي عامر،(منشأة المعارف الإسكندرية)

- معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق:عبد السلام هارون،(دار الجيل لبنان، بيروت،الطبعة الأولى،١٤١١هـ،١٩٩١م)
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام،تحقيق:محمد محيي الدين عبد الحميد،(المكتبة العصرية، لبنان، بيروت، صيدا الطبعة الأولى،١٤٠٧هـ_١٩٨٧م)
- مفتاح العلوم،لأبي يعقوب السكاكي، تحقيق:د.عبد الحميد هنداوي،منشورات محمد علي بيضون،(دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م)
- المفردات في غريب القرآن،الراغب الأصفهاني،(مكتبة نزار مصطفى الباز، السعودية،الرياض،الطبعة الأو لى، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م)
- المفصل في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع،د:عيسى العاكوب،(دار القلم.الأمارات،دبي، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ،١٩٩٦م)
- مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون،(دار الجيل، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى١٤١١هـ-١٩٩١م)
- مقدمة ابن النقيب في علم البيان والمعاني والبديع وإعجاز القرآن،لابن النقيب،تعليق:د.زكريا سعيد علي،(مكتبة الخانجي،القاهرة،د.ت)
- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل،الغرناطي،تحقيق: سعيد الفلاح(دار الغرب الإسلامي،لبنان،بيروت،١٩٠٣م-١٤٠٣هـ)

- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور،البقاعي،تخريج:عبد الرزاق غالب المهدي،(دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت،الطبعة الأولى،١٤١٥هـ-١٩٩٥م) الجزء الثالث.
- وفيات الأعيان وأنباء الزمان، ابن خلكان،تحقيق:الدكتور إحسان عباس(دار صادر،لبنان،بيروت،ط.ت) الجزء الأول.

ب-الرسائل العلمية:

- أهداف ومقاصد موضوعات سورة التوبة، الجامعة الإسلامية، غزة كلية أصول الدين، قسم القرآن وعلومه،حسن عبد الله طه الخطيب،رسالة ماجستير، ١٤٢٩-٢٠٠٨م.
- الواو ومواقعها في النظم القرآني، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه محمد الأمين الخضري، إشراف الدكتور:محمد عبد الرحمن الكردي جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية، قسم البلاغة والنقد١٤٠٣هـ.

ثالثا:فهرس الموضوعات

الموضـــــــــــوع	رقم الصفحة
المقدمة	٢
أسباب اختيار الموضوع	٣
أهداف الموضوع	٣
الدراسات السابقة	٤
منهج البحث	٦
الصعوبات التي واجهتني في البحث	٧
خطة البحث	٧
الشكر والتقدير	١١
التمهيد	١٣
التعريف بالسورة	١٣

سبب نزول السورة	١٦
سبب عدم البدء بالبسملة	٢٢
الأسماء التي أطلقت على السورة	٢٤
سبب تسميتها بسورة التوبة	٢٦
موضوعات السورة وعلاقتها بسورة الأنفال	٢٩
الباب الأول:البناء الفني للجملة	٣٢
الفصل الأول: أحوال الكلمة في الجملة	٣٢
المبحث الأول:تنوّع الصيغ	٣٦
المبحث الثاني:التعريف والتنكير	٦٩
المبحث الثالث:الدقة في استخدام حروف المعاني	٩٩
الفصل الثاني:أحوال الجملة الخبرية	١٢٤
المبحث الأول:أسرار التعبير بالجملة الاسمية والفعلية	١٢٥

المبحث الثاني: التقديم والتأخير وأسرارهما البلاغية	١٤٧
المبحث الثالث:القصر طرقه وأسراره البلاغية	١٥٧
الفصل الثالث: أسرار التعبير بالجملة الإنشائية	١٧٧
المبحث الأول:الأسرار البلاغيّة لأساليب الاستفهام	١٧٨
المبحث الثاني:الأسرار البلاغيّة لأساليب الأمر والنهي والنداء	١٩١
المبحث الثالث:خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر	٢١٠
الالتفات	٢١٠
التعبير عن الماضي بالمضارع وعكسه	٢١٦
خروج الخبر إلى الإنشاء وعكسه	٢٢٠
وضع الظاهر موضع المضمر وعكسه	٢٢٧

الباب الثاني:ألوان التصوير البياني	٢٤١
الفصل الأول: التصوير بالتشبيه أنواعه وأسراره	٢٤٢
الفصل الثاني التصوير بالمجاز	٢٥٢
التصوير بالمجاز العقلي	٢٥٣
التصوير بالمجاز المرسل	٢٦٠
التصوير بالاستعارة	٢٦٦
التصوير بالكناية والتعريض	٢٨٥
الباب الثالث: أحوال الجمل	٣٠٠
الفصل الأول:الفصل والوصل وأسرارهما	٣٠١
الفصل الثاني:الجمل الحالية	٣٣٥
الفصل الثالث:الإيجاز	٣٤٥

الفصل الرابع:الإطناب	٣٦٣
الباب الرابع: فنون البديع	٣٨٣
الفصل الأول: فنون البديع	٣٨٥
المبحث الأول:المطابقة والمقابلة	٣٨٧
المبحث الثاني:المبالغة	٤٠٢
المبحث الثالث: التقسيم	٤٢٠
المبحث الرابع:تأكيد الشيء بما يشبه ضده	٤٣٢
المبحث الخامس: المشاكلة	٤٣٩
الفصل الثاني: فنون البديع اللفظي	٤٤٧
المبحث الأول:الجناس وما يلحق به	٤٤٨
المبحث الثاني :رد العجز على الصدر	٤٥٤
المبحث الثالث:رعاية الفاصلة	٤٥٩

الخاتمة	٤٦٨
أهم ما توصل إليه البحث من نتائج وتوصيات	٤٦٩
مستخلص الرسالةباللغة العربيّة	٤٧٦
مستخلص الرسالة باللغة الإنجليزية	٤٧٩
الفهارس	٤٨٢
فهرس الآيات	٤٨٣
فهرس أهم المصادر والمراجع	٤٩٥
فهرس الموضوعات	٥٠٦